رسائل
الشعائر الحسينيّة
رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المويّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة
رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المويّدة والمعارضة لهما

تأليف
مجموعة من العلماء
جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الجزء الثامن

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء الثامن)

الشيخ محمّد الحسّون

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك (ج٨) : ٥ - ١١٩ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

شابك (الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣

(للتواصل معنا) Info@dalilema.ir | www.dalilema.ir

سرشناسه : الحسون، محمد، ١٣٣٨ -

عنوان و پديدآور : رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل الموىدة والمعارضة لهما / تاليف مجموعة من العلماء؛ جمعها وحققها و علق عليها محمدالحسون.

مشخصات نشر : تهران : دليل ما، ١٣٩٧.

مشخصات ظاهرى : ١٠ ج.

شابک : دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978 ؛ ج٨: 5 - 119 - 442 - 600 - 978

وضعيت فهرستنويسى : فيپا

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه.

موضوع : حسين بن على(ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها

موضوع : Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments

موضوع : سوگواريها -- آداب و رسوم

موضوع : Mourning etiquette

موضوع : شعاير و مراسم مذهبى

موضوع : Rites and ceremonies

رده بندى كنگره : ۱۳۹۷ ۵ ر ۴۷۶ ح / ۳/ BP۲۶۰

رده بندى ديويى : ۲۹۷/ ۷۴

شماره كتابشناسى ملى : ۵۴۵۰۰۱۳

دليل الكتاب

(*) بعد أن أكملنا عملنا في هذه المجموعة، وصلت إلينا النسخة الخطيّة لهذه الرسالة ـ بعد تتبّع استمرّ أكثر من سنة ـ بواسطة الأخ العزيز والصديق الوفيّ، المحقّق العلّامة السيّد عليّ الخراسانيّ الكاظميّ ـ حفظه الله ورعاه ومَنَّ عليه بالشفاء العاجل ـ لذلك أدرجناها هنا في آخر هذه المجموعة .

(٣٢) ردع الناكب عن فضيلة المواكب

نسلّط الضوء يشكل مختصر على المؤلِّف والمؤلَّف:

المؤلِّف

ذكره الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧هـ) في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» قائلاً:

«الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ أحمد بن حسن ابن الشيخ جواد ابن الشيخ حسين بن مظفّر.

ولد في المحرّم سنة ١٣١٠ هـ ، من الفضلاء المحصّلين، له خبرة واسعة واطّلاع تامّ على التأريخ الإسلامي، خصوصاً سيرة أهل البيت عليهم السلام وسبر أحوالهم.

وقد انقطع من مقتبل عمره وعنفوان شبابه لسبر كتب السيرة والتأريخ، حتّى مهر في هذا الموضوع، يقصده خطباء المنبر الحسينيّ في ترتيب خطبهم وتهذيبها، وتنظيم مجالسهم وتبويبها.

وقد ألّف كثيراً من الكتب في هذا الموضوع، وغيره من المواضيع المفيدة، وقد تخرّج على المراجع من أهل العلم، فهو اليوم فاضل ملمّ جامع وأديب شاعر.

له كثير من المؤلّفات، المطبوع منها:

(١) بطل العلقمي العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام، يقع في ثلاثة أجزاء.

(٢) سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل.

(٣) قائد القوات العلويّة مالك الأشتر أعلى الله مقامه.

(٤) البطل الأسدي حبيب بن مظاهر.

(٥) سلمان المحمّدي.

(٦) الأمالي المنتخبة في العترة المنتجبة، ثلاث أجزاء.

وغير المطبوع له:

(١) السياسة العلويّة: وهو شرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر أعلى الله مقامه.

(٢) الميزان الراجح في الرجال، كبير.

(٣) أعلام النهضة الحسينيّة، ستّة أجزاء.

(٤) المستدرك على مقاتل الطالبين، جزءان كبيران.

(٥) حياة النبي: الولادة، الإسراء، البعثة.

(٦) البشرى ببعثة البشير.

(٧) إعجاز القرآن فيما اكتشفه العلم الحديث.

(٨) رسالة ردع الناكب عن فضيلة الواكب.

(٩) رسالة الأساليب: ردع ابن حزم عن تفضيل الصحابة على القرابة.

(١٠) كشف المستور، كبير لم يكمل، نتج منه أربعة أجزاء.

(١١) شبيه رسول الله علي بن الحسين الأكبر.

(١٢) سيّدة النسوان سكينة بن الحسين عليهما السلام.

(١٣) النقد والحلّ لمسائل الدين.

(١٤) نزهة الأبصار في الأدب.

(١٥) ديوان شعر.

(١٦) وفاة أمير المؤمنين عليه السلام.

(١٧) فارس ذي الخمار مالك بن نويرة»[١].

وذكره الدكتور كامل سلمان الجبوري، في كتابه «معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتّى سنة ٢٠٠٢ م» قائلاً:

«عالمٌ أديب مؤرّخ، ولد في النجف ـ العراق، ونشأ به.

قرأ مقدّماته الأوليّة وسطوحه على أساتذة أفاضل، ثمّ حضر الأبحاث العالية على الشيخ أحمد كاشف الغطاء، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ علي باقر الجواهري، والشيخ مهدي المازندراني، والشيخ حسين النائيني، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد كاشف الغطاء، حتى تخرّج عليهم.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

كان باحثاً محقّقاً، واسع الاطّلاع والخبرة في التأريخ الإسلامي، كثير التأليف.

وله خلق إسلاميّ رفيع، عفيف النفس متواضع.

انتقل إلى مدينة الدير ـ البصرة داعياً ومرشداً لأحكام الدين، وإماماً للجماعة في جامعها الكبير»[1].

المؤلَّف:

أولاً: ذكر اسمها كاملاً، في مقدّمته لها، قائلاً: «وقبل شروعنا في رسالتنا هذه، التي وسمناها بـ«ردع الناكب عن فضيلة المواكب» نقدّم كلمة وجيزة.

ثانياً: أثبت تأريخ انتهائه من تأليفها، قائلاً في آخرها: «محرّرها مؤلّفها، الأقلّ الأحقر، عبد الواحد آل شيخ أحمد آل مظفّر، صادف الفراغ من نسخها ٥ ذي الحجّة سنة ١٣٤٧ هـ».

ثالثاً: الهدف من تأليفها هو الردّ على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، للسيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، إذ ذكر عبارات «التنزيه» ثمّ قام بردّها، مستدلّاً ببعض الآيات والروايات وأقوال الأعلام.

وتعرّض أيضاً لرسالة «الصولة» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٦٥ هـ).

رابعاً: يستشهد في ردّه على «التنزيه» و«الصولة» بكلام بعض أعلام المستشرقين، مثل: المستر جون دافنبورت في كتابه «محمّد والقرآن»،

---

(١) معجم الأدباء ٤: ١٦٤.

والكونت هنري دي كاستري في كتابه «الإسلام خواطر وسوانح»، وكذلك بكلام المستر دار كوهارت، والمسيو ماربين، والدكتور جوزف الفرنسي.

خامساً: يردّ على مقالة أحد البصريين الذي دافع عن «التنزيه» و«الصولة»، والتي قامت مجلّة «العرفات» بنشرها ج ٤ ص ٤٨٨، قائلاً:

«وبعد الفراغ من تسويد هذه الرسالة، عثرنا على مقالة لرجل بصريّ، يعترض فيها المعترضين، وينتصر فيها لصولة البصريّ الحمقاء، ولتنزيه الشاميّ الشنعاء، وليست هي من قوسه؛ لأنّه بلا وتر.

وكيف كان، لا هو في العير، ولا في النفير».

سادساً: اعتمدنا في تحقيقنا لهذه الرسالة، على النسخة الخطيّة الوحيدة التي بخطّ مولّفها، التي تقع في ١٤٨ صفحة.

(٣٢)

ردع الناكب عن فضيلة المواكب(*)

تأليف

الشيخ عبد الواحد المظفّر

(*) ورد في الصفحة الأُولى من هذه الرسالة، التي بخطّ مصنّفها عبارة: «رسالة ردع الناكب عن فضيلة المواكب، أو التنبيه على خطأ التنزيه، بقلم المؤلّف عبد الواحد المظفّر.

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم، وسلك بنا على نهج صراطه المستقيم.

والصلاة والسلام على نبيّه المقوّم لاعوجاج ذوي التضليل والإلحاد، الناكبين عن طريق الهداية والإرشاد، وعلى آله ميزان الحقّ الراجح، وبرهان الحقيقة الواضح، الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فأوضح بهم مناهج الهداية لمن أراد لها الانتهاج، وأصلح بهم مفاسد أهل الأهواء والآراء من ذوي الزيغ والاعوجاج، فهم العصمة والاعتصام، وعليهم من الله آلاف التحية والسلام.

خطابي تجاه الدينيّن، ضالتي المنشودة أيّها المتنوّرون المستنيرون بنور الحقّ المبين، والمتمسكون بولاء عترة خاتم النبيين:

جائتكم أمّ البدع، والضلالات لها تبع. هذه البدعة الولود لأنواع المحن، والمقدّمة المنتجة لأصناف البلايا والفتن. فهي مبدأ انتشار المفاسد القاضية على الدين الحنيف، وأُسّ الشرور المتطرقة على الشرع الشريف. فإنّ استلاق[1] السلّم بأوّل مراقيه، وارتقاء الصعب يسهل بالتدرج لراقيه.

إنّ من أعظم المحن، تتابع الانتقادات على هذه المواكب الحسينيّة، التي تقيمها ...[2] في جميع الآفاق، وسائر المدن والأطراف، وفي عامّة بلاد الشيعة، سيّما عواصم المدن الإسلاميّة والمراكز المهمّة للشيعة، وخصوصاً العتبات المقدّسة.

يقوم بها الصلحاء والأخيار؛ تقرباً إلى الله تعالى، وجعلوها من أكبر الوسائل الدينيّة، التي يتوسّلون بها لرسول الله صلى الله عليه وآله وآله الهداة. مقتفين بذلك آثار من تقدّمهم من المتديّنين في القرون المتقدّمة من عصر الدولة البويهيّة، عهد فطاحل العلماء وزعماء الملّة ومؤسّسي المذاهب والديانة، كالشيخ المفيد، وشيخه ابن قولويه، والسيّدين الشريفين، والديلمي.

حتّى عصر شيخ الطائفة، الزاهي بفحول العلماء وأركان الفرقة المحقّة، وأساطين الطائفة الحقّة، تجتاز الصور الحالية بأرباب العلم والفضيلة، الزاهرة بالأعلام والأفاضل، الذين لم تسمح بمثلهم أمّ الزمان، و عقمت أن تلد نضيراً لهم في سائر الفرق والأديان، كنصير الدين الطوسيّ، والمحقّق والعلّامة، والشهيدين.

---

(١) تسلّق الجدار: أي تسوّره. الصحاح ٤: ١٤٩٨ «سلق».

(٢) فراغ بمقدار الكلمتين.

إلى عصر الوحيد البهبهاني، والعلّامة الطباطبائي بحر العلوم، وكاشف الغطاء، إلى عصرنا الحاضر.

لم يخطر ببال أحد منهم تشكيك في رجحانها، فضلاً عن الحرمة، حتّى حملت عليها دمشق، إثر الحملة البصريّة، فالعاملي(١) والبصري(٢) أوّل متهجّم على تلك الشعائر المقدّسة، والمشاعر المحترمة عند كلّ ذي بصيرة متديّن.

فهما الصائلان(٣) على الآثار الحسينيّة، والجائلان على تلك المواكب البارزة في الأسواق والطرقات، تنعى ريحانة رسول الله ﷺ، و تمثّل أمام العالم المتمدّن ظلامة ابن بنت نبيها، وتأسف لما فاتها من نصرته، إذ لم تكن شهدت يوم شهادته.

فهي تلطم على الصدور أسفاً، وتضرب بالسلاسل على الظهور تلهّفاً، وتصكّ الجباه بالسيوف، فتجري الدماء على وجوهها، تأسياً بالدماء السائلات من جبين السبط والأماثل من اخوته وولده، الّذين ليس لهم على وجه الأرض نظير، والعصابة الباذلة لنفوسها أمامه.

وتضرب بالطبول، تمثّل للأمّة ما أبدته دمشق وعواصم الشام، من ضرب الطبول فرحاً بقتله، فهذه الطبول المحزنة للمؤمنين تحكي تلك الطبول المطربة لأعداء الدين.

---

(١) إشارة للسيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، صاحب رسالة «التنزيه».

(٢) إشارة للسيّد محمد مهدي الموسوي البصري (ت ١٣٦٥ هـ) صاحب رسالة «الصولة».

(٣) الاسم الكامل لرسالة السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري «صولة الحقّ على جولة الباطل».

وترفع المشاعل الساعرة تشبيهاً وتمثيلاً للنار المستعرة في مخيّم آل الرسول، وغير تلك من المصانع الشيعيّة في المواكب العزائية الحسينيّة.

فالشاميّ والبصريّ لهما الصولة والجولة في سدّ تلك المشاعر ، واخفاء ذلك الشعار، وما بقي إلّا نزعات شيطانيّة بإيعازات أمويّة، تعضدها أغراض شخصيّة منوطة بأُمور طفيفة دنيويّة، جعلاها وسيلة وذريعة للرئاسة، زاعمين أنّ الأمر بالمعروف دعاهما، والنهي عن المنكر حداهما.

كلا، هذه الدنيا نصب أعينهما تموج بالأضاليل والأباطيل، وتتموّج بالمناكير، وتتطوّر بالمعاصي، وتتلوّن بالارتكابات.

هذه المعازف تُضرب والخمور تشرب علانية وجهارا، هذه القيّان تعزف بالأغاني والألحان، إلى غير ذلك من المحرّمات التي تهتّك بها المتهتّكون، وانتهكها المجرمون.

فما بالهما لا يأمران بالمعروف، ولا ينكران المنكر؟! ﴿**إِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ**﴾[1]؛ ظنّاً منهما أنّ التزاويق النيرجيّة والخيالات السفسطائية، إذا راجت على البسطاء وساذجة العقول، تروج على الحلماء وحملة العلم وعرش الحكمة.

---

(١) الحج (٢٢): ٤٦.

[سبب التهجّم على الشعائر الحسينيّة]

أُطلع القارئ الكريم على مغزى المتهجّم على الشعائر الحسينيّة ومقصده الأقصى، انظر واعتبر أنّ سالفة الأمويين قد بذلوا جهدهم وجدّهم كلّه في محو ذكر آل محمّد من لوح الوجود، وأن لا يبقى لهم مركز في العالم الإسلامي، فأخذوا يتطوّرون في ذلك تطوّراً.

فأوّل الفكرة السائدة على أذهانهم في ذلك العصر، صرف الأمر عنهم، وعزلهم عن الخلافة.

وثانياً: حين نهوضهم بأعباء الخلافة، تمرّدوا عن طاعتهم وقبول أحكامهم، حتّى أشعروا السيوف، وقامت أم الوقائع صفّين، وما انجلت إلّا بقتل الأمويّين، فلاذوا بالمصاحف ودعوا إليها أهلها مكراً وخداعاً، فاستولوا على عقول البسطاء، حتى أقاموا الأشعري[1] حجر عثرة في طريق أمير المؤمنين.

---

(١) أبو موسى الأشعري.

وثالثاً: حين تمّ لهم الغلب، أخذوا بالقذع[1] والسباب، وافتعال الأكاذيب، حيث استمالوا بالأموال قلوب ضعفاء عقول، لامسكة[2] لهم بدين ولا ديانة، حتى تهيّأ لهم الاستيلاء التامّ على السلطة، وصار لهم النفوذ والتصرّف في الرئاستين الدينيّة والدنيويّة.

لكن لم تصفو لهم ـ بعد ـ تمام الصفا وإن حصل الغرض الأقصى لهم، وهو الانهماك في المستلذات.

وحيث كانت السلطة مهدّدة بمخالفة أهل البصائر عليهم؛ لمكان الحسن والحسين عليهما السلام؛ ولما يرونه من نبذهم نواميس الدين، وتمرّدهم عن قبول أحكام الشرع، احتالوا على الحسن عليه السلام ـ رابعاً ـ بأن قيضوا له مَن دسّ إليه شربة السمّ المتلفة.

وامتشقوا ـ خامساً ـ بكفر يزيد ـ لعنه الله ـ سيف البغي، الذي ما سلّ إلّا وعاد به الحسين عليه السلام قتيلاً، صريع هاجرة بين تلاع كربلا صلى الله عليه وآله ظنّاً منهم أنّهم يبلغون المنّ وتحصل الأماني.

فكان هذا الخطأ الأكبر، قامت له الضجّة العموميّة في الملّة الإسلامية، ودوّى صداه في أرجاء المعمورة، وارتجّت أقطار العالم تنعى حسيناً عليه السلام، فكان ذلك الفادح المؤلم هو القاضي على سيطرة الأمويّين ونفوذهم، وبه تمّ محوهم الأبدي عن لوح العالم بتاباً.

---

(١) القَذْعُ: الخَنا والفُحش، يقال: قَذَعتُهُ وأقذعتُهُ: إذا رميتَه بالفُحش وشتَمته. الصحاح ٣: ١٢٦١ «قذع».

(٢) يقال: فيه مُسكَةٌ من خَير، بالضمّ: أي بقيّة. الصحاح ٤: ١٦٠٨ «مسك».

[الناشئة الأمويّة الحديثة]

إلّا أنّ الناشئة الأمويّة الحديثة، والصبيّة الأغرار من تلك الشجرة الملعونة في هذا العصر، نظرت لا كنظرة أسلافهم الحمقاء، فرأوا أنّ ذكر آل محمّد لاينطمس ولا يُمحى، وحياة عزّهم لا تندرس، ولهم ضرايحُ مقدّسة مشيّدة، هي مكان العارف ومقصد الخائف، تُزار وتعظّم، وتُقصد بكلّ تبجيل واحترام، ولهم أكبر تذكار يقام في السنة مرات عديدة.

وتخرج تلك المواكب المتدافعة في الأزقة والأسواق رافعة الأعلام والمشاعل، حاسرة الصدور، تضرب بالسلاسل والحديد، وتلدم على الرؤوس، وتلطم على الصدور، وتصكّ الجباه بالسيوف.

فمع وجود هذه المواكب، كيف لا يعلو ذكر الهاشميّين، عترة محمّدصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وهي تمثّل أمام العالم المتمدن ظلامتهم، وتظهر بأجلى المظاهر أحقيتهم.

وكيف لا يفتضح الأمويّون، وتلحق بهم المخازي، و تلحقهم الأُمور الفاضحه، وفي كلّ دور للشيعة تقام تلك المواكب الضخمة، المحاشدالفخمه،

تمثّل فضائح آل أميّة تجاه الأمم الحرّة والشعوب المتنوّرة، وتلحق بهم الجور والظلم، وتظهر همجيّتهم، وتبدي وحشيّتهم، التي تتنفّر منها الطباع الحرة، وتمجّها الأخلاق الكريمة، فيحصل بذلك فشلهم أمام الأُمم، ويخسروا دوراً كبيراً من حياتهم، صرفوا شطره في الملك والسلطة، سلطة الجور والفسوق. ويحصل بذلك الفوز والغلب، والذكر المخلّد للهاشميّين، عترة محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

حيث لا سلطة لتلك الناشئة على قمع تلك الأعمال، ولا يد تقوى على دفع هذا الشعار، قامت تبذر حبّ النفاق في القلوب مرّة، وتلقح الفتن بين المؤمنين تارة أُخرى، وتلقي الدسائس طوراً والوساوس أُخرى، فتغري من لا فطانة له ولا بصر بالعواقب.

فأوعزت أنّ هذه المظاهر وحشيّة، لا تليق بأيّ مشروع دينيّ، وأخذت في تحبيذ تركها، متظاهرةً بمظهر الأُلفة والتودّد، متقرّبة بالنصائح زعماً منها، وأنّها ترمي وراء ذلك، وتنظر بعين أُخرى من وراء حجاب هي الساخطة، طامعة أن يلتقّف تلك الوساوس، أو يقبل تلك الدسائس، بعض الجعفريّين، ممّن لا فطنة له ولا دربة، فيتخيّلها أُموراً منكرة، فيوتر قوس لجاجة، ويرمي بسهم عجلته.

فإن أصاب فتلك ضالّتها المنشودة، وطلبتها المقصودة، وتقتل الدين باسم الدين، وإلّا فقد ألقحت الفتنة بين المسلمين، ونامت مطمئنة تضحك شماتة، حيث استراحت وتفرّغت لمساعيها بالحيل والمكايد على محو هذه الكلمة، لا أقلّ من أن يتهيأ لها الطعن على عامة أعمال الشيعة.

وإذا تعطّلت المآتم والمواكب، وحرثت القبور المقدّسة، تبرّأت الأمويّة من تلك المخازي والفضايع، وترقّت ناشئتها إلى ذمّ سائر أعمال

الشيعة شيئاً فشيئا، إلى أن ينمحق الدين ويضمحل الإسلام ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾[١].

أنشدك الله أيّها المسلم أن تركن إلى هذه الأضاليل، أو تنخدع بمثل هذه الأباطيل، فإنّ للإلحاد تطوّرات وتلوّنات.

وإياك أن تصغي إلى هذه الوقاحة القحّة، فتجعل مركز وقوفك ومحور توقّفك ملامةً للائم، أو طعناً ضدّ غير ملائم، فإنّ ذلك وهن في العزم والعزيمة، وضعف في اليقين والبصيرة، فهل هذه الشعائر إلّا كسائر الشعائر الدينيّة.

ألا تنظر وأنت ذو ذوق في العرفان؟! تكدح مناضلاً عن الدين والمذهب حقبة، فما بالك زعزعت حلمك تلك الأوهام؟! وزلزلت طود ثباتك الراسخ تهويلات الناقدين؟! مهلاً أغاب عن علمك أم عزب عن حدسك الطعن على أصول عقائدك وأركان دينك؟! فإنّها مسخرة عند مَن لا يدين بها.

ألا ترى الماديّ يسخر منك أن تقول: إنّ لي رباً أعبده، ويراني ولا أراه.

والبرهميّ يضحك منك إن قلت: لنا أنبياء مشرّعون.

والكتاني ينكر عليك نبوّة نبيّك.

والتناسخي بتطوّره وارتقائه ينكر عليك معادك، وهكذا ضروريات دينك.

فالصلاة أُضحوكة الجاحدين لها، بأن ترفع عجيزتك وتطأطئ رأسك.

والصيام تحضر على نفسك الملاذ والمشتهيات، مع ما يزعمه لك من المضار.

---

(١) التوبة (٩): ٣٢.

وغير خفيّة شعائر الحجّ من الهرولة، تركض بين جبلين ذاهباً آيباً، تلفظ الحصا عمل المجانين.

فلو كانت سخرة الأجانب وملامة الأغيار مناط الحرمة، لم يبق لنا دين ولا ديانة.

لا يا أخي، عافاك الله من نزعات المضلّين وإيعازات الضالّين، واتبع سبيل من أناب.

لماذا يُعاب علينا، وبماذا؟! أبا التمثيل؟! وهذه الأُمم المتمدّنة ذات الرقيّ والعمران، والشعوب الحرّة على اختلاف نزعاتها، تمثّل كلّ واقعة مهمّة وحادثة ذات أهميّة في التاريخ، تسجّلها بعنوان الرواية، ويؤهّل لها كلّ مدرّب حاذق بالتمثيل، فتمثّل أمام الجمع وفي المحشر العمومي بفنون التشبيه الموسيقي.

فترى مَن تهافت المتمدّنين على اقتناء بطاقاتها بأثمانها المقرّرة، ما يُدهش الرائين أنّها من أحسن ما يُقتنى، وأنّك لتجد أكثرهم يتهادون تلك البطاقات، ويتجاملون بها، ويجدون أنّ تمثيل أمثال هذه الحوادث المهمّة أحد أسباب الترقّي المدنيّ، حيث إنّه يوجب نشاط شبيبة ذلك الشعب الحرّ.

وغير خفي على كلّ منصف عارف، أنّ حادثة الطفّ من أعظم الحوادث التأريخيّة، وواقعة كربلاء أمّ الوقائع، فتمثّلها شيعة الحسين عليه السلام تأسياً بسائر الشعوب الحرّة الراقية.

أيها النيقد الخبير والماهر البصير، هؤلاء إخواننا المسلمون في مصر والشام، يمثّلون المحمل النبويّ أو هودج أُمّ المؤمنين[1] في كلّ موسم،

(١) تقدّم الكلام عنها مفصّلاً في هذه المجموعة ٢: ٢٣٥.

يسيّرونه إلى مكّة المشرّفة، ترفّ عليه البنود الصناجغ، محفوفاً بالجنود المنظّمة بالبنادق والمدافع، تضرب حوله الطبول والموسيقى مزيقة، يفدون به إلى البيت الحرام في كلّ عام رائف.

أنّ هذا التمثيل من أعظم القربات التي يتقرّبون بها، وهذا الموكب من المواكب الشهيرة، يوسم ويرسم بالمحمل الشاميّ والمحمل المصريّ، وهو أشهرهما، وهما بمرئ ومسمع من العقلاء، لم يتطرّق إليه شوب إنكار، ولا فاه أحدٌ بانتقاصه.

وناهيك بالأُمّة العيسويّة أُمّة التمثيل والتشبيه، فإنّها تمثّل حادثة اليسوع عيسى، وأكثر ما يقوم به رؤساء الديانة النصرانية التبارك والقسوس، حتّى ترقّت بهم الحال إلى تمثيل خشبة الصلب للمسيح، فأبدعوا الصلبان، وأودعوها الأعناق وأبواب المعابد وغيرها، وفي رقاب الأكابر والمقدّمين في الديانة، ومن أجلها سميّت تلك الأُمّة الكبيرة ذات الشعوب الكثيرة التي تربطها وحدة دينيّة ولقّبت بالصليبيّة.

فما بالنا إذا قمنا نجري على سيرة العقلاء بتمثيل فاجعة الطفّ العظمى، توجّهت إلينا ألسنة الملام والتقريع؟! أما تهتف الصحف وتنشر المجلّات أمثال هذه الوقائع؟! أما تمثّل الفوتغرافات لها؟! أما تعرض على المسارح؟! أما تُتلى في المجتمعات والمنتديات والمحاشد العموميّة؟!

يقولــون أقــوالاً ولا يعرفونهــا   إذا قلت هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا[1]

---

(١) من مقطوعة شعرية لأنس بن أبي أنيس وقيل: ابن أبي إياس الدئلي، مطلعها:

أحــارِ بــنَ بــدرٍ وليــتَ إمــارةً   فكُـن جُـرذاً فيهـا تخـونُ وتسـرقُ

انظر: أمالي الشريف: ٥٠، العقد الغريد ٨: ٥٥، وفيهما:

يقولــون أقــوالاً ولا يعملونهــا   ولـو قيـل يومـاً حقّقـوا لـم يُحقّقـوا

أما قرأت في آخر مزار الوسائل ج ٢ ص ٤١٥ ما رواه عن مزار ابن قولويه، بسنده الصحيح إلى عبد الله بن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام، وذكر حديثاً فيه طول في ثواب زيارة الحسين عليه السلام، إلى أن قال عليه السلام: «بلغني أنّ قوماً يأتون من نواحي الكوفة، وناساً وغيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي».

فقلت: نعم، قد شهدت بعض ما تصفه.

فقال: «الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهدّدونهم ويقبّحون ما يصنعون»[1] انتهى.

ولعلّك لا تخفى عليك جهة المناسبة في إيرادها هنا، كما لا يخفى عليك المشار إليه فيها، هو ما يعمله أهل السواد المعدان[2]، من اجتماعهم في الزيارة من اللطم والنياحة، كما هو متعارف ومعروف إلى اليوم.

ولأجل أنّك تحتاج إليها فيما يأتي، نبّهتك عليها، حتى لا تحوجنا إلى إعادتها ثانياً.

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٩ حديث ١٩٨٩٧، عن كامل الزيارات: ٣٢٤.

(٢) كلمة «المعدان» تطلق في العراق على سكّان القرى والأرياف.

وفي القاموس المحيط ١: ٣١٣ «عدد»: المُعَيْديّ، تصغير المعَدِّي، خُفّفت الدالّ استثقالاً للتشديدين مع ياء التصغير. و«تسمع بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه أو لا تراه» يُضرب في من شُهر وذُكِرَ وتزْدَرى مرآته.

نحن والزمن في موقف حرج، جدّ لسباته ولسعاته توجّهت إلينا، ونكباته وصدماته تواترت علينا، من هنا وهنا تأتينا المحن والفتن، وتنثابنا الملمّات الصعاب، التي أوهنت كاهل الدين، وأثقلت عاتق الإسلام، وأخضعت السلطة الروحانيّة، وقضت على الحياة الدينيّة.

فلم يبق لروحيّة الديانة قوّة على قطع جراثيم الفساد، فأيّ صدمة تزعزع ركن قواعد الإسلام، أو تزلزل عقائد المسلمين. نروم الثباة أمام هزاهزها القويّة، وزعازع عواصفها النسّافة، تفاجئنا أُخرى أوجع وأفجع وأمضّ وقعاً.

ما انفكت الأُمّة المسلمة تئنّ من صدمات الوهابيّين، وتتألّم من وقع أفعالهم الوحشيّة والهمجيّة، التي آلت إلى ذهاب الروحيّة الدينيّة، وفرّقت الجامعة الإسلاميّة، وحلّت الروابط الاجتماعيّة، بأفاعيلها الفظّة، التي منها وأشدها على المسلمين عموماً، والشيعة خصوصاً، تبعثر تلك القباب المعظّمة والضرائح المقدّسة، قبور الأئمة الأطهار والصلحاء والشهداء.

فالمسلمون عامّة، والشيعة خاصّة، بين الذهول والدهشة والحيرة، والتوجّع والتفجّع والتأسف والتلهّف.

لم تخمد بعدُ نار أكبادهم المستعرة لتلك الفاجعة، ولم تبرد من حرّ تلك المصيبة، حتى ألمّت النكبة الأُخرى، الملمّة النازلة الموجعة، بانتشار الرسائل المطبوعة، واحدة بعد أُخرى، ملفّقة بالأقاويل الفارغة عن الحجّة، الناكبة عن المحجّة، طافحة بالنقد الفاضح، والانتقاد الشائن على المواكب الحسينيّة، باسم رجالٍ منّا، نعرف الاسم وننكر الوسم، فإنا لله، ليتهم لا لنا ولا علينا.

لنتفرّغ للنظر في شؤوننا، فإنّا في زمن العسرة، فنحن فيه أحوج ما يكون إلى كلمة الاجتماع دون الفرقة، والتعاضد دون التضادّ. لكن ما أدري من أين سرى الداء، وكيف استفحلّ الأمر، أفلا يمكن الرتق بعد الفتق؟!

بلى، إذا راجع الحلماء الحلم، وحادوا عن النبذ والتسابّ والقذع والاغتياب، وقام الزعماء بمصالح الفرقة العموميّة، والرؤساء الروحانيّون ناظرين بنظرة الرأفة والتعطّف.

لقد أصحرت كلمتنا هذه بالحقيقة، وسرت على أوضح المناهج طريقة، كاشفة حجب الأستار عن محجّبات الأفكار، نختمها بطلب الهداية والتوفيق لنا وللناظرين فيها، راجين من سماحتهم الإغضاء عن خلل يتراءى من خلال صفحاتها، فإن الإنسان كثير الخطأ، ما لم يكن مستمداً بالعناية الربانيّة، والعصمة الإلهيّة، التي هي لطف خفي يمنحه اللطيف مَن يشاء من عباده، نسأله لنا ولكافّة اخواننا المؤمنين، السائرين على المنهج الذي نهجه لنا رسوله صلى الله عليه وآله، والمستحفظون من آله، وأن يحشرنا معهم وفي زمرتهم.

[سبب تأليف هذه الرسالة]

ولنتقدّم قليلاً نحو مقصودنا، ولنعطف القول رويداً في مشروعنا.

نظرنا في رسالة موسومة باسم «التنزيه لأعمال الشبيه» مؤلّفها أحد عوامل الشام في عصرنا، دعاه لتأليفها التشفّي من بعض الذوات من الأفاضل المعاصرين له، من نبلاء العوامل، حيث ألّف رسالة في مدح المواكب الحسينيّة ورجحانها، وردّ مطاعن الطاعنين، ودحض شبهات المانعين[1].

وحيث إنّ مؤلّف «التنزيه» سبق منه المنع[2]، ونالته كلمة من ذلك المعاصر، فيها خشونة، ردّدها في رسالته «التنزيه» مراراً عديدة، ممتعضاً ومتألّماً، وتلك الكلمة التي أغضبته أهاجته ببسالة لا لحمية الدين.

---

(١) يقصد به الشيخ عبد الحسين صادق العاملي الخياميّ (ت ١٣٦١ هـ)، ورسالته «سيماء الصلحاء».

(٢) في مقالة له نشرتها صحيفة ـ العهد الجديد البيروتيّة، أشرنا إليها مفصلة في ج ١ ص ٣٤ من هذه المجموعة.

فاقتحم ـ بتخيّل الظفر والانتصار ـ عقبة كأداء، وارتقى المرتقي الأصعب، وأصبح الخصم الألدّ، ومن أسرع البدار لم يأمن العثار، فضلّ يكافح ويناضل بزعم إنكار المنكر، متجاسراً على نبيّ الرحمة وحماة الدين من أهل العصمة.

فأوجبت تلك التنكّبات عن الحقّ والميول عن الحقيقة، سخط كلّ دينيٍّ ومتشرّع وعالم متضلّع.

فألفوا الرسائل وأذاعوا المناشير، لا بعنوان الردّ، بل إرشاداً للعوام، وتحذيراً من أن تستولي على عقولهم تلك الخرافات السخيفة، والخزعبلات الضئيلة، والمماحكات المستهجنة لدى النيقد المتبحّر، فإنّ بعضهم بسطاء وساذجة عقول، وذوو أفكار سطحية وهاجسة محدودة.

ومذ استلمتُ تلك الرسالة، وتصفّحتها بإتقان وإمعان النظر والفكر، لاح لي فيها عجائب وغرائب، قد حاد فيها مؤلّفها عن الجادة، وزاغ عن الطريق الواضح، هدانا الله وإياه وعموم المسلمين إلى سبيل الهداية.

قد يجرّ التحامل صاحبه إلى ما يشينه، وأنّ المتشفّي إذا انجذب بداعي الأنفة عطب.

فقد بان لي من تسارعه وتسرّعه، أنّه راكب صعبة لا تسلس بالقياد، وخابط عشوة في حزن مظلم الأرجاء.

ربما أنّك تقطع أيها المنصف، أنّ الذي أوقعه في هذه الورطة، وأركبه هذه الخطة، اعتقاده ـ ولو كثيراً ما يُخطئ الاعتقاد ـ أنّه الأوحد في الفضيلة، وأنّ له المزيّة على كلّ محقّق ومدقّق، من سالفة العلماء ولاحقتهم، وأنّه قد بلغ

من المعرفة والاتقان ما لم يصل إليه فقيه قطّ، ورائياً أنّ له السلطة والسيطرة والنفوذ في السياسية المذهبيّة.

ورأى بزعمه اجتماع تلك الخصال له، فسطا مبتهجاً ومتبجّحاً بتلك السطوة، فحرّر مزبره[1] فصولاً، وزبّر أسطراً سقيمة، تمسّ بالديانات.

فتلك موضع انتقادنا، ومسرح نظريتنا، لا ما دار بينه وبين معاصره وابن وطنه، من المشاغبات والمناوشات، فإنّها مساجلات أخلاقيّة ومطارحات أدبيّة.

وقبل شروعنا في رسالتنا هذه،التي وسمناها بـ«**ردع الناكب عن فضيلة المواكب**»، نقدّم كلمة وجيزة، هي:

إنّا لا نريد الطعن على شخصيّة المؤلّف، بل نحفظ لذاته فضيلتها، وإن ظهر منّا بعض ما يوجب خدش عواطفه أو يمسّ كرامته، فليعلم أنّها اُمور قهريّة، لما رأيناه قد مسّ كرامة نبينا ﷺ وأئمتنا بما هو خلاف الأدب، فإنّ لهم كمال التعظيم والاحترام.

مقصودنا إبداء نظريتنا في هذا المشروع، إنّما هو انتقادنا على نظريّته الساذجة، وفكرته السطحيّة. فنسجّل رأينا ورأيه في هذا الموضوع، ونجعل القارئ المنصف حكماً فنيّاً ومحكماً صناعياً، عسى الله أن يجمعه وإيانا على الحقّ، إذا تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها للعيان.

ننقل من فقراته ما كان ذا موضوع علميّ أو مشرب دينيّ، دون ما لا ربط له، وننقل كلام معاصره حسبما نقله هو، فنقول والله ولي التوفيق.

(١) المِزْبَرُ: القلم. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».

[ذكر الخطباء لأمورٍ مكذوبة]

ذكر ص٢ ديباجة رسالته ما مضمونه: إنّ إبليس ـ لعنه الله ـ يضلّ الناس بحسب ما يرتكز في أنفسهم، وتميل إليه نفوسهم، فيدخل البدع في الديانات على ذلك الطراز، وأحد تلك الأُمور الدينيّة إقامة الشعائر المحزنة، التي أدخل عليها إبليس ـ لعنه الله ـ بدعة بذلك الأسلوب، وأنّه توصل إليهم بالخداع والمكايد»[1].

إلى قوله ص٣: «فأدخلوا فيها أُموراً، أجمع المسلمون على تحريم أكثرها، وبعضها من الكبائر التي هدّد الله فاعلها وذمّه في كتابه: (١) فمنها: الكذب بذكر الأُمور المكذوبة المعلوم كذبها، وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب ...»[2].

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٠.

(٢) المصدر السابق ٥: ١٣.

انظر أيّها القارئ الكريم إلى مغزى كلامه، واجعل الحقّ نصب عينيك، ولا تسلّط عليك سلطان الهوى، ولا تلوّث ثقافة عقلك بسخافة الآراء.

أما الكذب، فنحن لا ننكر قبحه العقلي، ولا حرمته الشرعيّة، لكن لا مطلقاً، بل بشرط أن لا يشتمل على مصلحة.

وبعبارة أُخرى: المحرّم هو الكذب ذو المفسدة، فتعلّق النهي بالكذب ليس بذاته، بل بعنوان المفسدة، كما هو عندنا أنّ الأوامر والنواهي تابعة للمصالح والمفاسد، فإباحة الحرمة بالكذب ليس بعنوانه الأوليّ، بل بعنوانه الثانويّ، فالمقسم ـ الذي هو الكذب ـ ذو عنوانين، يكون في أحدهما معروض الحرمة، كالكذب بعنوان المفسدة، وفي أحدهما معروض الحلّ والإباحة.

ولو كانت الحرمة واردة على ذات الكذب، بمعنى نفس مخالفة الواقع، لما صحّ اتصافه بالمصلحة؛ لتزاحم الإرادتين في الواقع. ومحالٌ أن تكون نفس تلك المخالفة مبغوضة ومحبوبة، لتنافي المصلحة والمفسدة واقعاً. فلا يبقى مجال لمحبوبيّته التي هي نصّ الأخبار ومحلّ معقد الإجماع. وما كان مبغوضاً لذاته لا يكون محبوباً لذاته، فلا يبقى مورد لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «أحب الله الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد»[1].

ولئن سلّمنا، فأقصى ما يمكن القول به: حرمة الكذب في القراءة، لا قراءة الكذب، إذا قلنا: إنّ النهي هنا للتحريم، لكن لا يقتضي فساد المنهيّ عنه، إلّا إذا اتّحد معه ذاتاً أو وصفاً كصوم العيد والوصال. بخلاف ما إذا كان خارجاً مقارناً، كالنظر إلى الأجنبيّة في حال الصلاة؛ بناءً على حرمة النظر.

---

(١) وسائل الشيعة ١٢: ٢٥٢ حديث ١٦٢٣٩، عن من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٥٥ حديث ٨٢١.

أما الحرمة التشريعيّة، فللمنع عن إفسادها، المنهيّ عنه، مجال.

وإن قلنا بأنّ التشريع محرّم، فالقراءة المكذوبة، وإذا سلّمنا حرمة الكذب الذاتيّة، فالمحرّم الكذب في القراءة، لا القراءة الكاذبة، والحرمة التشريعيّة بناءً على أنّها كالحرمة الذاتيّة تقتضي فساد العبادة، فيجرى الحكم بالنسبة إلى القراءة دون المقروء.

ولو سلّمنا فالاستماع لا دليل على حرمته.

كلّ هذا مجاراة للخصم ومماشاة له، وإلّا فدعواه كذبها دعوى كاذبة ومحرّمة عليه. وما المسوّغ له أن يكذب متعمداً ويخطّ الأكاذيب في رسالته متقصداً، فالكذب لازم له على كلّ حال، لأنّه إن لم يفحص الفحص الكافي وقال: لا وجود لها، فكذب صراح، أو أنّه تفحّص وقال، فذاك الكذب البواح، وإلّا فهذه الأحاديث في الكتب المطبوعة فضلاً عن الخطيّة المنتشرة، فلا يقدم مؤمن على رمي رواية بالكذب بمجرّد عدم اطلاعه عليها.

وتفسيق المؤمن برميه بتعمّد الكذب، فسقٌ وكبيرةٌ، أوعد الله عليها النار، ومحال أن يستقصي كتب العالم المخطوطة والمطبوعة، ونزول جبرئيل عليه محال آخر، وستقف إن شاء الله على وجودها مع مزيد إيضاح لهذا المطلب.

[تلحين بعض القرّاء]

«٢ـ التلحين بالغناء، الذي قام الإجماع على تحريمه، سواء كان لإثارة الحزن أو السرور، وهذا يستعمله القرّاء بدون تحاش، ولم يستثن الفقهاء من ذلك إلّا غناء المرأة في الأعراس، بشرط أن لا تقول باطلاً ولا يسمع صوتها الأجانب ...»[١].

هذه الفقرة تعجّ بالخلط والخبط، ولفّ الحابل بالنابل. ما ندري معقد الإجماع أيّ شيء؟ أعلى نفس التلحين، الذي هو مجرّد ترقيق الصوت وتحسينه وإن لم يكن غناء؟ فهو خلاف ظاهر الأخبار وكلمات الفقهاء.

أم على نفس الغناء وإن لم يكن بترقيق صوت؟

أم على التلحين بالغناء والغناء بالتلحين، بحيث يعتبر مجموع القيدين واحداً؟

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥: ١٣.

أما الأوّل، فهو وإن كان يوهمه بعض الأخبار في بادئ الرأي، وعند أول وهلة، كما في قوله عليه السلام: «لا تقرأوا القرآن بلحون أهل الفسوق»[١].

لكنّ التحقيق والحقّ الحقيق، أنّ مصبّ النهي وارد على جهة التغنّي بالقرآن، بأن يوضع له لحن ويغنّى به، كما يفعله الفسّاق في عصرنا وما تقدمه، وستقف قريباً إن شاء الله على ما يوضح لك ذلك من كلام الفقهاء، وكثير من الأخبار كحديث «اشتري الجارية»[٢]، كما سيأتي.

وحينئذٍ، فاللحن بنفسه لا دليل على حرمته، فيبقى على أصل الإباحة التي هي الأصل في الأشياء التي لم يثبت حرمتها.

أمّا الثاني، وهو الغناء، فظاهر الأكثر الإطلاق، وذهب كثير منهم بأنّ مفهوم الغناء يقع على المطرب، أمّا الذي لا يُطرب فكلام لا يقع عليه اسم الغناء، وكيف! وكثيراً ما يتضجّر منه السامع، وينبغي بحسب الصناعة أن يحمل على هذا، أو دعوى انصرافه إلى المطرب.

وكيف كان، لو تمّ دعوى انعقاد الإجماع على حرمة الغناء مطلقاً، لا يلزم منه حرمة القراءة.

أمّا الثالث، وهو التلحين في الغناء، فهو معقد الإجماع ومورد النصّ. ونحن لا ننكر أنّ الغناء محرّم، بلحن أو بغير لحن، إلّا أنّ التلحين في مطلق القراءة غير مندرج تحت عنوان الغناء، بل هو عنوان آخر، لا ربط له بالغناء، فهو باقٍ على أصل الجواز.

---

(١) وسائل الشيعة ٦: ٢١٠ حديث ٧٧٥٤، عن الكافي ٢: ٤٥٠ حديث ٣. وفيه: «اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر».

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٢ حديث ٢٢١٥٠، عن من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٢ حديث ١٣٩.

وكان عليه أن يأتي بالدليل القاطع على حرمته بالخصوص، من نصّ معتبر أو اجماع، وفقدهما في المقام دليل الجواز.

أمّا استثناء الفقهاء لغناء المرأة في الأعراس، فلا يكون دليلاً إلّا على من يقول بإباحة الغناء، فيجاب بأنّ الغناء محرّم، إلّا غناء المرأة في الأعراس.

أمّا من يسلّم حرمة الغناء، ويمنع اتّحاد الغناء والقراءة في الوصف، أو في العنوان، فعليه أن يأتي بدليل قاطع، يثبت اتّحادهما حكماً أو موضوعاً ليحصل الاشتراك في الحكم.

على أنّ كثيراً من الموضوعات ما تختلف أحكامها باختلاف العناوين الطارئة، كما هو معلوم لمن له أدنى سليقة فقاهيّة، ويعرفه ممّا له أقلّ إلمام بالأحكام الشرعيّة، فحيث لا دليل لا تسمع دعواه؛ لأنّ الداعي ....[١].

بل الدليل القائم على ضدّه في غاية القوّة والمتانة، كما سنتلوا عليك يسيراً من الأخبار الكثيرة، وبعض كلمات الفقهاء، لتظهر لك التفرقة الواضحة والفارق الجليّ بين الغناء والنوح والقراءة.

وما ذاك إلّا لاختلاف الموضوع، واختصاص كلّ واحد بحكم يدلّ على تغاير الموضوعين، فإنّ حكم النياحة الإباحة أو الرجحان، وحكم الغناء الحرمة، وإذا عرفته كنت على بصيرة وإن طال المقام.

أما الروايات فكثيرة، أورد في الوسائل جملة منها، كلّها مشتملة على حرمة الغناء من دون تقييد باللحن:

منها: رواية زيد الشحام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تُجاب فيه الدعوى، ولا يدخله الملك»[٢].

---

(١) في النسخة الخطيّة التي بخطّ المصنّف، وردت هنا عدّة نقاط ... .

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٣ حديث ٢٢٥٩٤، عن الكافي ٦: ٤٣٣ حديث ١٥.

ورواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «الغناء ممّا وعد الله عليه النار، وتلا هذه الآية ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ »[1].

إلى غير ذلك من الأخبار المشتملة على تحريم الغناء، وهو محرم بالإجماع، أو على المشهور شهرة عظيمة.

لكن ليس موضوع بحثنا، إنّما كلامنا في تلحين الشعر، بما هو معروف بين الذاكرين بالطريقة، وهو غير تلحين الغناء قطعاً، كما أنّ النوح غير الغناء، فقد عقد في الوسائل فصلاً آخر لجواز النياحة[2]، ربّما يمرّ عليك بعض تلك الروايات.

أمّا الفقهاء، فإنّ مَن تتبّع كلماتهم، عرف أنّ الفرق عندهم بين الغناء والنوح من المقطوع به، ونحن ننقل لك كلام صاحب «الجواهر» في كتاب المتاجر بطوله، فإنه عظيم الفائدة وكثير النفع، قال في شرح قول المحقّق في تعداد المحرّمات: (ونوح النائحة بالباطل):

«للنهيّ عن النوح في النصوص الكثيرة، والاستماع له[3]، وأنّه يؤذي في الليل الملائكة[4]، والإجماع المحكي عن «المنتهى»[5].

---

(١) وسائل الشيعة ١٧ : ٣٠٤ حديث ٢٢٥٩٩، عن الكافي ٦ : ٤٣١ حديث ٤. والآية في سورة لقمان (٣١): ٦.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ باب ١٧ من أبواب ما يكتسب به.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ باب ١٧ من أبواب ما يكتسب به.

(٤) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٧ حديث ٢٢١٦١، عن الكافي ١: ٢٩١ حديث ١٧.

(٥) منتهى المطلب ١: ٢٢٨ .

لكن للجمع بين ذلك، وبين ما دلّ على الجواز من السيرة والنصوص المستفيضة، المعتضدة بالمحكيّ من فعل فاطمة عليها السلام، بل والفاطميّات في كربلاء وغيرها، بل والمحكيّ في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة، من فعل نساء المسلمين، بل زوجاته صلى الله عليه وآله، خصوصاً أمّ سلمة منهنّ في ندبتها للوليد[١]، بل هو صلى الله عليه وآله قد أمر بندب حمزة.

كما أنّ الباقر عليه السلام قال للصادق عليه السلام، فيما رواه عنه يونس: «يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين بمنى أيام منى»[٢].

وحمل المحرّم على النوح بالباطل، والمحلّل على خلافه؛ بشهادة قوله عليه السلام في الخبر: «لا ينبغي لها أن تقول هجراً، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح»[٣] وغير ذلك.

ولعلّه المراد من الباطل في الفتاوي، فإنّ الهجر بالضم: الإفحاش والخنا، فيراد به حينئذٍ تعداد أفعاله القبيحة وصفاته المذمومة شرعاً، نحو النياحة على بعض الناس بذكر تهتّكهم في المحرّمات من الزنا واللواط وقتل النفوس والسرقة، والنهب ونحو ذلك، ما لا يشمل المبالغة في المدح.

لكن عن جماعة: أنّ المراد به ما لا يجوز ذكره، مثل الكذب، بل عن «جامع المقاصد»: أنّه قد يلحق به أو يدخل فيه ما إذا سمع صوتها الأجانب[٤].

وفيه منع حرمة ما يدخل في المبالغة منه، وما لا يقصد به الخطاب مع أحد ممّا يذكر للمدح وقرينته معه.

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث ٢٢١٥٧، عن الكافي ٥: ١١٧ حديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث ٢٢١٥٦، عن الكافي ٥: ١١٧ حديث ١.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٧ حديث ٢٢١٦١، عن الكافي ١: ٢٩١ حديث ١٧.

(٤) جامع المقاصد ٤: ٢٤.

وأمّا الأخير فليس ممّا نحن فيه قطعاً، على أنّه مبنيّ على حرمة سماع الأجانب ذلك من غير ريبة، وفيه منع كما ذكرناه في محلّه، وخصوصاً مع عدم تمييز الألفاظ.

وعلى كلّ حال، فمن ذلك كلّه يُعلم ما عن محكيّ «المبسوط»[١] وابن حمزة[٢]: من إطلاق حرمة النياحة، بل في الأوّل الإجماع عليه.

اللهمّ إلّا أن يريدا ما ذكرنا، خصوصاً بعد الإجماع عن «المنتهى» على جواز أخذ الأُجرة على النوح بالحقّ[٣]، المستلزم لجوازه المصرّح به في كلام كثير، بل المشهور.

نعم، لا يبعد الحكم بكراهته مطلقاً؛ للخبر، بل لا يبعد شدّتها مع الشرط؛ لخبر حنّان أيضاً. بل لا يبعد كراهة أصل النوح، خصوصاً في الليل، إلّا على الحسين عليه السلام، والشهداء معه، بل وغيره من النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، بل يمكن إلحاق العلماء بهم.

وعلى كلّ حال، فالظاهر عدم استثناء النوح الجائز من الغناء، ضرورة عدم اندراجه فيه عرفاً؛ للفرق الواضح بين صوت البلبل ونوح الحمام والبوم، فلا يقدح حينئذٍ ما فيه من المدّ والترجيع بعد الخروج عن الموضوع»[٤] انتهى.

ونحن نقلنا العبارة بطولها وغرضنا آخرها؛ لما في أوّلها من الفوائد المتعلّقة ببحثنا الآتي، فلا نطيل بإعادتها ثانياً.

---

(١) المبسوط ١: ٣١٨.

(٢) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ١٤٨.

(٣) منتهى المطلب ١: ٢٢٨.

(٤) جواهر الكلام ٢٢: ٥٤ ـ ٥٥.

وأنت إذا تصفّحت هذا الفصل، ورجعت إلى وجدانك، ولاحظت موارد الاستعمال، وتدبّرتها التدبّر الكافي، وتتبّعت مصطلحات أهل اللغة والعرف، تقطع بأنّ موضوع الغناء غير موضوع النياح والقراءة، وحقيقة هذا غير حقيقة ذاك، فنسبة الغناء والنياح للصوت كنسبة السواد والبياض للجسم، فالغناء كيفيّة خاصة، والنوح كيفية أُخرى.

فالسامع مهما كان ناقص المعرفة، فاقد الشعور والتمييز، إذا سمع الكيفيّتين، قطع بالفرق بينهما، وعرف أنّ هذا نياح ليس بغناء، وهذا غناء ليس بنياح.

وللعلّامة الأنصاري في «مكاسبه» كلام طويل، يذكر فيه الأخبار وكلام أهل اللغة والفقهاء في تحقيق معنى الغناء، وما الذي يحرم منه. على أنّه كغيره من الفقهاء فرّق بين النوح والغناء بعقد فصلين، ونحن ننقل بعض فقراته فيما استفاده من الأدلّة، ونقل آراء بعض العلماء.

قال أعلى الله مقامه، بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في حرمة الغناء[١]، ونقل عن «الإيضاح» دعوى التواتر[٢]، ونقل أخباراً مضرّة لمعنى قول الزور[٣]، ما نصّه:

«وقد يخدش في الاستدلال بهذه الروايات بظهور الطائفة الأُولى، بل الثانية؛ في أنّ الغناء من مقولة الكلام، لتفسير قول الزور؛ ويؤيّده ما في بعض الأخبار، من أنّ قول الزور أن يقول للذي يغنّي: أحسنت[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٣ باب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به.

(٢) إيضاح الفوائد ١: ٤٠٥.

(٣) الكافي ٦: ٤٣٥ ـ ٤٣٦ حديث ٢ و ٧.

(٤) معاني الأخبار: ٣٤٩ حديث ٢، وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٩ حديث ٢٦٦١٤.

ويشهد له قول علي بن الحسين عليه السلام في مرسلة الفقيه الآتية، في الجارية لها صوت: «لا بأس لو اشتريتها، فذكّرتك الجنّة، يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء»[١]، ولو جعل التفسير من الصدوق دلّ على الاستعمال أيضاً.

وكذلك لهو الحديث، بناءً على أنّه من إضافة الصفة إلى الموصوف، فيختصّ الغناء المحرّم بما كان مشتملاً على الكلام الباطل، فلا تدلّ على حرمة نفس الكيفيّة ولو لم يكن في كلام باطل.

ومنه تظهر الخدشة في الطائفة الثالثة، حيث إنّ مشاهد الزور التي مدح الله مَن لا يشهدها، هي مجالس التغنّي بالأباطيل من الكلام، فالانصاف أنّها لا تدلّ على حرمة نفس الكيفيّة، إلّا من حيث إشعار «لهوَ الحديث» يكون اللّهو على إطلاقه مبغوضاً لله.

وبالجملة، فكلّ صوت يعدّ في نفسه ـ مع قطع النظر عن الكلام المتصوّت به ـ لهواً أو باطلاً فهو، حرام»[٢].

ثمّ قال ـ بعد أن ذكر روايات كثيرة، كرواية عبد الأعلى[٣] ويونس[٤] وغيرهما ـ : «ظاهر هذه الأخبار بأسرها حرمة الغناء من حيث اللهو والباطل، فالغناء وهو من مقولة الكيفيّة للأصوات ـ كما سيجيء ـ إن كانت مساوية للصوت اللهويّ والباطل ـ كما هو الأقوى وسيجيء ـ فهو وإن كان أعمّ،

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٢ حديث ٢٢١٥٠، عن من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٢ حديث ١٣٩.

(٢) كتاب المكاسب ١: ٢٨٣ ـ ٢٨٨.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٧ حديث ٢٢٦٠٨، عن الكافي ٦: ٤٣٣ حديث ١٢.

(٤) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٦ حديث ٢٢٦٠٦، عن الكافي ٦: ٤٣٥ حديث ٢٥.

وجب تقييده بما كان من هذا العنوان، كما أنّه لو كان أخصّ وجب التعدّي عنه إلى مطلق الصوت الخارج على وجه اللّهو[1]».

ثم قال ـ بعد نقل كلام جماعة من أهل اللغة ـ: «وبالجملة، فمجرّد مدّ الصوت لا مع الترجيع، لا يوجب كونه لهواً، ومن اكتفى بذكر الترجيع ـ كالقواعد[2] ـ أراد به المقتضي للإطراب.

قال في «جامع المقاصد» في الشرح: «ليس مجرّد مدّ الصوت محرّماً وإن مالت إليه النفس، ما لم ينتهي إلى حدّ يكون مطرباً بالترجيع المقتضي للإطراب»[3].

ثمّ بعد أن نقل عن «الروضة»[4] و«المسالك»[5]، من أنّ الغناء ما يسمّى في العرف غناءً، واتباع «مجمع الفائدة»[6] وغيره له، ونقل ما زعمه صاحب «مفتاح الكرامة» من التفرقة، بين الإطراب والطرب بطوله[7]، واستشهاده بكلام بعض اللغويين، قال:

«هذا كلّه مضافاً إلى عدم إمكان إرادة ما ذكر من المدّ والتحسين والترجيع من الطرب في قول الأكثر: إنّ الغناء مدّ الصوت المشتمل على

---

(١) كتاب المكاسب ١: ٢٩٠.

(٢) قواعد الأحكام ٢: ٢٣٦.

(٣) جامع المقاصد ٤: ٢٣، كتاب المكاسب ١: ٢٩٢.

(٤) الروضة البهيّة ٣: ٢١٢.

(٥) مسالك الأفهام ٣: ١٢٦.

(٦) مجمع الفائدة ٨: ٥٧.

(٧) مفتاح الكرامة ٤: ٥٠.

الترجيع المطرب، كما لا يخفى، مع أنّ مجرّد المدّ والترجيع لا يوجب الحرمة قطعاً، لما مرّ وسيجيء.

فتبيّن من جميع ما ذكرنا، أنّ المتعيّن حمل المطرب في تعريف الأكثر للغناء على المطرب بمعنى الخفّة، وتوجيه كلامهم ما يقتضي الطرب ويعرض له بحسب نوع ذلك الترجيع وإن لم يطرب شخصه، لمانع من غلظة الصوت ومجّة الأسماع له.

ولقد أجاد في «الصحاح» حيث فسّر الغناء بالإسماع[١]، وهو المعروف عند أهل العرف، وقد تقدّم في رواية محمّد بن عبّاد المشتهر بالسماع[٢].

وكيف كان، فالمتحصّل من الأدلّة، حرمة الصوت المرجّع فيه على سبيل اللهو، فإنّ اللهو كما يكون بآلة من غير صوت، كضرب الأوتار، وبالصوت في الآلة كالمزمار والقصب ونحوهما، وقد يكون بالصوت المجرّد.

فكلّ صوت يكون لهواً بكيفيّة ومعدوداً من ألحان أهل الفسوق والمعاصي فهو حرام وإن فرض أنّه ليس بغناء، وكلّ ما لا يعدّ باطلاً ولهواً ولغواً لم يحرم وإن فرض صدق الغناء عليه فرضاً غير محقّق، لعدم الدليل على حرمة الغناء إلّا من حيث كونه باطلاً ولهواً ولغواً.

ثمّ إنّ اللهو يتحقّق بأمرين:

أحدهما: قصد التلهّي به وإن لم يكن لهواً.

والثاني: كونه لهواً في نفسه عند المستمعين وإن لم يقصد به التلهّي.

---

(١) الصحاح ٦: ٢٤٤٩ «غنى».

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٧ حديث ٢٢٦٠٨، عن الكافي ٦: ٤٣٣ حديث ١٢.

ثمّ إنّ المرجع فيه إلى العرف، والحاكم بتحقّقه هو الوجدان». [١]

ثمّ نقل كلام الكاشانيّ [٢] والخراسانيّ [٣] والأردبيليّ [٤] من تعميم حرمة الغناء، واستثناء المراثي، وأطال في ذلك، وانتهى كلامه بما ملخّصه:

إنّ الغناء هو الصوت اللهوي، وعلى تعريف المشهور: الترجيع المطرب. وحاصله: أنّ شيئاً منهما لا يلائم استثناء المراثي؛ لعدم إندراجها فيه.

قال: «لأنّ الطرب منه إن كان سروراً، فهو منافٍ للتفجيع لا معين، وإن كان حزناً، فهو على ما هو مركوز في النفس الحيوانيّة من فقد المشتهيات النفسانيّة على ما أصاب سادات الزمان» [٥].

قال: «والذي أظنّ أنّ هؤلاء وغيرهم غير مخالفين، أمّا ما لم يكن على جهة اللهو المناسب لسائر آلاته، فلا دليل على تحريمه ولو فرض شمول الغناء له؛ لأنّ مطلقات الغناء منزّلة على ما دلّ بإناطة الحكم فيه باللهو والباطل من الأخبار المتقدّمة، خصوصاً مع انصرافها في أنفسها كالأخبار المعيّنة لهذا الفرد» [٦] انتهى كلامه رفع مقامه.

ولعلّ المنصف إذا سار على الجادة، ولم يحد عن الطريق الواضح، وكان ممّن غرضه إصابة الحقّ في الأحكام، لا المجادلة بالباطل، يرى أنّ

---

(١) كتاب المكاسب ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٧.

(٢) الوافي ١٧: ٢١٨ ـ ٢٢٣.

(٣) كفاية الأحكام: ٨٦.

(٤) مجمع الفائدة والبرهان ٨: ٦١ ـ ٦٣.

(٥) كتاب المكاسب ١: ٣١١.

(٦) كتاب المكاسب ١: ٣١٢ ـ ٣١٣.

الإجماع وإن انعقد بالنسبة إلى حرمة الغناء في الجملة، لكن كلمات المجمعين اضطربت غاية الإضطراب في تعيين النوع المحرّم من الغناء: أهو المطرب؟ أم اللهوي؟ أم مطلقاً؟

وعلى التقادير الثلاثة لا يشمل النياحة والقراءة؛ لعدم اندراجها تحته، بل يمكنك تحصيل الإجماع على جواز القراءة بالتلحين.

أمّا على قول مَن خصّ الحرمة بالغناء المطرب، ومَن خصّها باللهوي فواضح؛ لأنّها ليست بغناء. وعلى تقديره فليس مطرباً، لما عرفتَ من أنّ الطرب الخفّة، وليس بلهوٍ قطعاً.

وأما على قول من أطلق فلاستثناء المراثي.

وإذا ثبت الجواز في المراثي على كلّ تقدير بالإجماع، فجوازه في مراثي الحسين عليه السلام بالطريق الأولى، بل نصّ عليه بعض من عمّم، كما حكي عن الكاشاني والأردبيلي. فجواز التلحين، أي الطريقة، لا إشكال فيه على كلّ تقدير.

ومن عجائبه وغرائبه، استدلاله باستثناء الفقهاء لغناء المرأة في الأعراس ولحداء الإبل[(١)]، دون النياحة. وهذه المصادرة العجيبة، أتراك تلتزم بها إذا قيل لك: لا تشترى صاهلاً إلّا الفرس الفلاني والفرس الفلاني؟ تجزم بحرمة شراء العبد الناطق، لأنّه لم يستثنى مع اشتراكهما ـ يعني الصاهل والناطق ـ في الكيفيّة التي هي صوت.

هل تجد برهاناً أقوى منه؟ وهل دري لأيّ جهة استثنى الفقهاء ما يقع في الأعراس والحداء؟ وهل إباحته حباً لسماع صوت المرأة الذي أذعن أنّه

---

(١) كتاب المكاسب ١: ٣١٣ ـ ٣١٤.

من الكبائر؟ أم ميلاً لغنائها وتلذّذاً؟ وحاشى، أم أنّ هذا المحرّم ألجئت إليه الضرورة؟ أم أنّه مصداق آخر لصورة الغناء؟

ولئلّا يتوهم المتوهّم في بادئ الرأي أنّه أحد أفراد الغناء، فيقول بتحريمه، فنصّصوا على أنّه جائز، ومعناه أنّه ليس بغناء، لا أنّه رخّصا لك استعمال المحرّم لضرورة المذهب، كيف يستجيز عاقل أن يتفوّه به؟ وكيف يأمر به المعصوم كما في حديث «رفقاً بالقوارير»[١]، وحديث زفاف فاطمة عليها السلام، وخروج نساء النبيّ صلى الله عليه وآله يضربن خلفها بالدفوف، وشعرهنّ المشهور[٢]، كلّ ذلك يقضي أنّه ليس من الغناء وإن اُطلق عليه اسمه تجوزاً.

أمّا قوله بحرمة سماع صوت المرأة، ونقله عن صاحب الجواهر أنّه حكى عن العلامة الطباطبائي بحر العلوم عدة من الكباير[٣] ففيه:

أولًا: إنّ سماع صوت المرأة مع عدم التلذذ والريبة فغير ممنوع، أمّا مع الريبة فموقع البحث، وما نقله عن صاحب الجواهر فقد تصفّحنا مظانّ ذكره في الجواهر في عدّة أبواب، كالقضاء والشهادات وغيرهما. وفي مبحث العدالة في كتاب الصلاة باب الجماعة نقل عن العلّامة الطباطبائي حصر الكبائر في أربعين، والتي استنبطها من الكتاب فثلاثون وإن حكى الاختلاف العظيم في تعداد الكبائر ومعنى الكبيرة، واعترف بأنّ هذا الاختلاف لا يرجى جمعه.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٢٦٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٣١.

(٣) جواهر الكلام ١٣: ٣١٠.

لكن الكبائر التي عدّها نقلاً عن العلّامة الطباطبائي في مبحث العدالة، لم نجد فيها سماع صوت المرأة كما ادعاها هذا المدّعي، ودونكها نقلاً عن الجواهر:

(١) الكفر بالله.

(٢) إنكار ما أنزل الله.

(٣) اليأس من روح الله.

(٤) الأمن من مكر الله.

(٥) الكذب على الله وعلى النبيّ والأوصياء.

(٦) المحاربة لأولياء الله.

(٧) قتل النفس التي حرّم الله.

(٨) معونة الظالمين.

(٩) الكبر.

(١٠) عقوق الوالدين.

(١١) قطعية الرحم.

(١٢) الفرار من الزحف.

(١٣) التعرّب بعد الهجرة.

(١٤) السحر.

(١٥) شهادة الزور.

(١٦) كتمان الشهادة.

(١٧) اليمين الغموس.

(١٨) نقض العهد.

(١٩) الوصيّة.

(٢٠) أكل مال اليتيم.

(٢١) أكل الربا بعد البيّنة.

(٢٢) أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله.

(٢٣) أكل السحت.

(٢٤) الخيانة.

(٢٥) الغلول، وعن رواية مطلق السرقة.

(٢٦) البخس في المكيال والميزان.

(٢٧) حبس الحقوق من غير عسر.

(٢٨) الإسراف والتبذير.

(٢٩) الاشتغال بالملاهي.

(٣٠) القمار.

(٣١) شرب الخمر.

(٣٢) الغناء.

(٣٣) الزنا.

(٣٤) اللواط.

(٣٥) قذف المحصنات.

(٣٦) ترك الصلاة.

(٣٧) منع الزكاة.

(٣٨) الاستخفاف بالحج.

(٣٩) ترك شيئ ممّا فرض الله.

(٤٠) الإصرار على الذنوب» انتهى.

وقال في كتاب النكاح، في شرح قول المحقّق: (الأعمى لا يجوز له سماع صوت الأجنبية):

«مع التلذّذ أو الريبة وخوف الفتنة قطعاً، أما مع عدم ذلك، فقد يظهر من المتن و«القواعد»[1] و«التحرير»[2] و«الإرشاد»[3] و«التلخيص»[4]: الحرمة، لأنّه عورة فيحرم سماعه».[5]

إلى أن قال: «لكن ذلك مشكل بالسيرة المستمرة في الأعصار والأمصار، من العلماء المتديّنين وغيرهم، على خلاف ذلك. وبالتواتر المعلوم ممّا ورد من كلام الزهراء عليها السلام وبناتها عليهم السلام، ومن مخاطبة النساء للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، على وجه لا يمكن احصاؤه، ولا تنزيله على الاضطرار لدين أو دنيا، بل قوله تعالى ﴿**فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾[6] و﴿**فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾[7] دالّ على خلاف ذلك أيضاً.

(١) قواعد الأحكام: ٣١٤.

(٢) تحرير الأحكام: ٢٨١.

(٣) إرشاد الأذهان ٢: ٥.

(٤) تلخيص الأحكام: ٩٨.

(٥) جواهر الكلام ٢٩: ٩٧.

(٦) الأحزاب (٣٣): ٣٢.

(٧) الأحزاب (٣٣): ٥٣.

ولذا وغيره صرّح جماعة ، كالكركي[١] والفاضل في المحكي من «تذكرته»[٢]، وغيرهما ممّن تأخّر عنهما كالمجلسيّ وغيره، بالجواز، بل بملاحظة ذلك يحصل للفقيه القطع بالجواز، فضلاً عن ملاحظة أحوالهم في ذلك الزمان، من كونهم أهل بادية، وتقام المآتم والأعراس فيما بينهم، ولا زالت الرجال منهم مختلطة مع النساء في المعاملات والمخاطبات وغيرها»[٣] إلى آخر كلامه في هذا الباب.

وأنت تراه قد نسب المنع إلى ظاهر «الشرائع» و«القواعد»، ولو كان العلّامة الطباطبائي مصرّحاً بالمنع، فضلاً عن عدّه من الكبائر، لعدّه، بل الظاهر من صاحب الجواهر نسبة الجواز إليه، لأنّه داخل في عموم مَن تأخّر عن الفاضل.

وقال في مبحث الأذان من «الجواهر» في شرح قول المحقّق: (ويعتبر في المؤذن الذكورة) قال:

«لأصالة عدم السقوط بأذانها للإعلام ـ إلى قوله ـ بل علّل غير واحد من الأساطين الحكم هنا بأنّه إن أسرّت بالأذان بحيث لم يسمعوا، لا اعتداد به، وإن أجهرت، كان أذاناً منهيّاً عنه، لأنّ صوتها عورة، فيفسد، للنهي وإن أمكنت فيه المناقشة أوّلاً: بعدم ثبوت عورة صوت المرأة للسيرة كصوت الرجل بالنسبة إليها»[٤] إلى آخره.

---

(١) جامع المقاصد ١٢: ٤٣.
(٢) تذكرة الفقهاء ٢٣: ٩٣.
(٣) جواهر الكلام ٢٩: ٩٨.
(٤) قواعد الأحكام: ٣١٤.

وقال في مبحث الجهر، بعد كلام طويل، حكى فيه عن كاشف اللثام دعوى الإجماع على أنّ صوت المرأة عورة، إلى أن قال: «وفيه: إمكان منع حرمة الاستماع مع عدم الفتنة للتلذّذ، للأصل والسيرة المستمرة، وظاهر الكتاب والسنّة، ومعروفية قصة فاطمة عليها السلام وغيرها، ونحو ذلك مما يطول شرحه وذكره»[1] انتهى.

وإنّما أوردنا هذا المقدار من كلام صاحب الجواهر؛ لأُمور:

الأوّل: دعوى الاتّفاق على كون صوت المرأة عورة، وقد عرفت عدمه، وأنّ المخالف قليل. ودعوى الإجماع من كاشف اللثام غفلة من قلمه الشريف، وإلّا فموهون بميصر الأكثر إلى خلافه، أو ينزّل على كون المرأة عورة لا صوتها، وهذا لا نزاع لنا فيه.

والثاني: نسبة القول إلى صاحب الجواهر بحكايته تنصيص بحر العلوم على عدّه من الكبائر، وقد ظهر لك سرابيّة الدعوى وخلبية ذاك البارق، وأنت إذا نظرت نظرة المنصف إلى الآثار المنقولة المتجاوزة حدّ الاستفاضة، بل القريبة من التواتر، بل المتواترة معنى، من كلام سيّدة النساء الزهراء عليها السلام، وخطبتها المشهورة، وقصتها في المطالبة بحقوقها[2].

وما هو مستفيض روايته من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحملها إلى دور الأنصار، فترفع إليهم ظلامتها، وما أجابها به معاذ بن جبل في قوله: «لو كان

(١) تحرير الأحكام: ٢٨١.

(٢) الاحتجاج ١: ١٤٦.

هذا قبل أن يبرم العقد»، وما ردّت عليه سلام الله عليها، وما قال له ولده بعد خروجها[١].

ومن دخول الأنصار عليها يعتذرون، بعد أن أبلغتهم نساؤهم خطبتها الشهيرة التي أولها: «أصبحت والله عائفة لديناكم»[٢] وهي خطبة بليغة، نقلها الثقات.

وكخطبة الحوراء زينب في المجلس العموميّ والمحشد الغاصّ بأصناف المستمعين، وفيه كثير من أهل الملل الخارجة، مجلس اللعين يزيد، حين رأته ينكت ثنايا أبي عبد الله عليه السلام، ويقلب شفيته بمحضرته[٣].

وخطبة أُمّ كلثوم ورقيّة[٤].

وخطبتها أيضاً سلام الله عليها في الكوفة، الخطبة الشهيرة البليغة، وقد رواها الشيخ في الأمالي ص ٥٠٠ عن حذلم بن كثير، قال:

قدمتُ الكوفة في المحرم سنة ٦١، منصرف علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة من كربلاء، ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلمّا أُقبل بهم على الجمال بغير وطاء، جعل نساء الكوفة يبكين وينشدن، فسمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول بصوت ضيئل، وقد نهكته العلّة، وفي عنقه جامعة، ويده مغلولة إلى عنقه: إنّ هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟

---

(١) الاحتجاج ١: ١٤٧.

(٢) الاحتجاج ١: ١٤٩.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣٤، وعنه في العوالم «الإمام الحسين عليه السلام» ١٧: ٤٠٢ حديث ٣.

(٤) الاحتجاج ٢: ٢٧، وعنه في العوالم «الإمام الحسين عليه السلام» ١٧: ٣٨١.

قال: ورأيت زينب بنت علي عليها السلام، ولم أرَ خفرة قط أنطق منها، كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات، فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعد، يا أهل الكوفة ويا أهل الختل والخذل، فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرّنة» إلى نهاية الخطبة الشهيرة(١).

وكلام العقائل في مجالس اللعناء مشهورة، مضافاً إلى ما هو مستفيض من رواية الرواة عن الحوراء زينب عليها السلام وأُختها فاطمة بنت أمير المؤمنين، وهي التي سألت أبا حمزة مرّة و جابر الأنصاري أُخرى أن يدخلا على الإمام زين العابدين عليه السلام ويسألاه البقيا على نفسه في تخفيف الاجتهاد في العبادة وتقليل البكاء على أبيه الحسين عليه السلام(٢).

وإلى زينب عليها السلام يشير ابن عباس بقوله: «حدّثتنا عقيلتنا»(٣).

وأمثال هذه لا يمكن أن يغفل عنها أحد من الناس وإن كان حبّ الاستظهار والغلب يوجب التغافل والتغاضي.

فإذا ضمّمت الأخبار المرخّصة في النياحة المستلزم لرفع الصوت، حصل لك القطع أنّ صوت المرأة ليس بعورة، وإنّما المرأة عروة، كما في النبويّ: «النساء عيّ وعورة، فاستروا العيّ بالسكوت، واستروا العورة بالبيوت»

---

(١) العوالم «الإمام الحسين عليه السلام» ١٧: ٣٧١ حديث ٢، عن أمالي الشيخ الطوسي ١: ٩٠، وبحارالأنوار ٤٥: ١٦٤ حديث ١.

(٢) الخصال: ٥١٨.

(٣) مقاتل الطالبين: ٥٠.

رواه ابن الشيخ في مجالسه ص ٥٦ عن هشام عن الصادق عليه السلام، ورواه والده في أماليه، ورواه غيرهما[١].

وعلمت أنّ سماع صوتها ليس بمحرّم، إلّا إذا كان لريبة على إشكال، والأخبار الظاهرة في المنع منزّلة على هذا، جمعاً بين الأدلة، كما هو مقتضى الصناعة مع فرض المقاومة، والآية الشريفة دالّة عليه، لما في قوله تعالى ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[٢]، وإلّا فمع ملاحة ما سبق لا تصلح للمعارضة.

(١) أمالي الطوسي ٢: ٢٧٦ . وراه الكليني في الكافي ٥: ٥٣٥ حديث ٤ ، والصدوق في من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٤ حديث ٣ .

(٢) الأحزاب (٣٣): ٣٢ .

[إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها]

قوله: « (٣) ومنها: إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها، بضرب الرؤوس وجرحها بالمدى والسيوف حتى يسيل دمها، وكثيراً ما يؤدّي إلى الاغماء»[١] إلى آخره.

أمّا قوله: «إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها» فمكابرة صرفة، وقد جاء في المثل العاميّ: أنّ رجلاً اُخبر بموت صديق له، ثمّ بعد أيام قدم ذلك الصديق، فلقيه الرجل في الطريق، وقال: يا فلان أخبروني بموتك.

فقال: ها أنا ذا حيّ.

فقال: إنّك قد مُت، لأنّه أخبرني مَن هو أصدق منك.

هؤلاء الذين يجرحون رؤوسهم بالسيوف بملأ من الناس، نصب أعين الناظرين في النجف وكربلاء وغيرهما من أمصار الشيعة ومدنها التي تقام فيها

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٤ .

المواكب، ما رأينا منهم متضرراً، ولا نقل لنا ناقل بتضرر أحدهم، بل شاهدناهم مراراً عديدة يضربون رؤوسهم صباحاً، ويخرجون مساء، يضربون بالسلاسل. وهذه مسألة شاهدها العيان، ودليلها الوجدان.

أمّا قوله: إنّه «يؤدي إلى المرض أو الموت أو طول برء الجروح» فليدلّنا على من طال برء جرحه، وليعرّفنا مَن المتمرّض، وليخبرنا مَن المتوفّى. فإنّا نجهل أسماء هؤلاء، ولا نعرف منهم شخصاً. ولعلّ المدّعي كان دكتوراً خصوصياً، أو جرّاحاً موظفاً لعلاج الذين يضربون رؤوسهم في المحرّم، ومداواة أمراضهم.

لكن من الأسف إنّا لم نعلم بتأسيس ذلك المستشفى الخصوصي، ولم نعرف وقت تشييد ذلك المستوصف، وعساه كان أحد الملتزمين بدفن جنائز الأموات، الذي قضى على حياتهم التطبير، وعلى يده كانت رسوم دفنيّتهم، فليعذرنا على عدم علمنا بتأريخ وقت المباشرة لذلك العمل الناجح، وعدم اشتهاره لدينا بالطبابة.

أمّا قوله: «فتحريمه ثابت بالعقل والنقل»، فممنوع.

وإن سلّمنا له الضرر مماشاة له، كيف والعقل إنّما يستقلّ بقبح الضرر المعلوم، كإلقاء المرأ نفسه من شاهق أو في نار ساعرة.

أو المظنون الضرر لو ألحقناه به، كسلوك مفازة معطشة، أو طريق مأسدة.

على أنّ مسألة الضرر، لو لا تقرير الشرع، لما كانت من ضروريّات العقل، وإلّا لما وقع فيها الخلاف بين العقلاء، فإنّ الانتحار مذهب جماعة من الفلاسفة، كما ذكره في تاريخ الفلسفة وغيره.

دعنا نسلّم أنّه أحد ضروريات العقل، فالمشكوك وإن كان تركه أولى، لكنّه لا يحكم جازماً بالترك.

أمّا الموهوم والمحتمل، فمن البيّن أنّ العقل لا يعوّل على ذلك الوهم والاحتمال، بل يلغيه ولا يلتفت إليه. ألا ترى العقلاء يذمّون شخصاً تغلب عليه الواهمة، ويتزعزع بالاحتمال، وينسبونه إلى الجبن. وربّما مدحوا المقدم على ما هو مظنون الضرر بالإقدام، ووصفوه بالشجاعة، كالذي يسلك مقتحماً على مأسدة.

ومن له أدنى إطلاع على التأريخ، عرف تفصيل ذلك في عصور الجاهليّة والاسلام.

دع عنك هذا وقل: كلّ ذلك يحكم العقل بقبحه، فهل أيّها النيقد المتفطّن يسعك التسليم بأنّ العقل يستقلّ بحرمة المقطوع بعدم الضرر فيه، كضرب مقدّم الرأس بالسيف وإسالة الدم، فأيّ عقل يحكم بقبحه؟! أم أيّ عاقل يذمّ فاعله؟!

أمّا النقل، فإن كان نظره إلى ما حكم به الفقهاء في الجنايات والشجاج والجراحات، فتلك الأحكام إنّما هي فيمن جنى على غيره عدواناً وظلماً، لا ما جناه المرأ على نفسه، والقياس ـ مع كونه فاسداً في أصله ـ ممنوع؛ لظهور الفارق.

وإن كان مراده أدلّة نفي الضرر والعسر والحرج، كما هو ظاهر كلامه لاستدلاله بقوله تعالى ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (١)

---

(١) الحجّ (٢٢): ٧٨.

فأقصى ما يُستفاد منها، نفي الحكم الحرجي والضرري، وأنّه لم يجعل بمعنى أنّ الشارع المقدّس لم يجعل حكماً حرجياً ولا ضرريّاً.

ومعناه: أنّ أحكام شريعتنا المقدّسة كلّها سهلة، لا تضييق فيها، كالتضييق على الأُمم السالفة، من قرض النجاسة بالمقراض ونظائرها، التي لم يشرّع مثلها في شريعتنا.

وأين هذه من مقصوده الذي ينفي فيه الأحكام المجعولة؟! فإنّا نستكشف ـ بجعل الأحكام ـ أنّها ليست حرجيّة ولا ضرريّة، لأنّها لم تجعل في الشريعة، فالأحكام الضرريّة في عالم الثبوت لم تكن، لأنّها كانت وامتنعت في عالم الإثبات، فإذا ثبت الحكم لموضوع علمنا أنّه لا ضرر فيه.

وما يوهم من أنّه في مرحلة الإثبات وفعليّة الحكم، لا في مرحلة الثبوت وإنشاء الحكم، كما في الصوم للمريض.

فهذا الوهم لا حقيقة له، إذ ليس معناه أنّ المريض كلّف بالصوم وسقط عنه التكليف، بل معناه أنّ المريض لم يشرع له الصوم. وبهذا لو صام والحال هذه، ولم يتضرّر، نحكم بفساد صومه.

وكيف كان، فمع كونها واردة مورد الامتنان، لا تكون بهذا التضييق الذي يدّعيه، فإنّه يلزم منه الدور؛ لأنّه إذا كانت بهذه المضايقة، كانت عسراً، والعسر ينفى بأدلّة العسر، فيدور.

هذا كلّه بناء على المجاراة، وإلّا فقد عرفت عدم الضرر، كما هو معلوم بالوجدان.

[استعمال آلات اللهو]

في الصفحة ٤ قوله: «ومنها استعمال آلات اللهو، كالطبل والزمر الدمّام ـ إلى قوله ـ: لم يستثن الفقهاء إلّا الطبل في الحرب، والدفّ في العرس بغير صنج»[١].

أمّا تفسيره الزمر بالدمّام، فمستطرف جداً، إذ لا يخفى على العاميّ فضلاً عن الفقيه، أنّهما غيران؛ لأنّ الزمر: هو المزمار، وهو غير الدمّام لغة وعرفاً وشرعاً، وإلّا فليعرفنا ما الطبل؟ فإنّا لا نرى في المواكب إلّا الدمّام.

وعلى كلّ حال، فالكلام في الجهة العلميّة، قد عرفت ديدننا أن نطلّ على المسألة بجميع جهاتها ليتبيّن الحقّ، وتعرف منشأ الشبهة، ومن أين تقحم في الورطة، الصنج أو الطاس الطبل أو الدمّام.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٥ .

أمّا الصنج لغة، ففسروه بتفسيرين: قال في «القاموس»: الصنج: شيئ يتّخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر، وآلة بأوتار، يضرب بها[١].

وفي «المصباح»: «الصنج: من آلات الملاهي، جمعه صنوج، مثل فلس وفلوس»[٢].

وقال المطرزي: هو ما يتّخذ مدوّراً، يضرب أحدهما بالآخر، ويقال لما يجعل في إطار الدفّ من النحاس المدوّر صغار: صنوج، وهذا شيء تعرفه العرب. وأمّا الصنج ذو الأوتار فمختصّ بالعجم، وكلاهما معرّب.

وفي مجمع البحرين: إيّاك والضرب بالصوانج، فإنّ الشيطان يركز معك، والملك ينفر منك، وحكى نحو كلام المصباح.

وفقه الحديث يقتضي حمله على ما كانت العرب تعرفه، دون ما تعرفه العجم وتختصّ به، وهو صفة من صفات الدفّ كما ذكره اللغويون، ويؤيده كلام الفقهاء، كما اعترف به هو من أنّ المباح في الأعراس ما لا صنج له.

وممّن صرح بذلك صاحب الجواهر، فيكون المنهيّ عنه هو الدفّ ذو الصنوج، وتوصيفه العرفي الزنجاري، لا أنّ الصنج شيء مستقلّ ورد النهي عليه بخصوصه، فالرواية على تقدير صحّتها وإفادتها الحرمة، فمحمولة على هذا القسم، أو منصرفة إليه.

ولو تنزّلنا وقلنا: إنّ الصنج هو هذا، فأقصى ما تفيد الرواية كراهته، كما هو مقتضى الصناعة الفقهيّة.

---

(١) القاموس المحيط ١: ٢٠٤ «صنج» .

(٢) المصباح المنير: ٣٣٩ «صنج».

ولو سلّمنا أنّ التحذير قرينة على المنع الحتمي، أو أنّ هناك أخباراً أُخر مصرّحة بالحرمة، وسلّمنا أنّ الصنج هو الطاس بعينه، لكن نمنع الحرمة مطلقاً، بل هي ـ على فرض تسليمها ـ إنّما هي في الضرب لهواً.

وهذا الحمل قرينته معه، لأنّ الشيطان إنّما يركز إذا كان طرباً ولهواً، والملك إنّما ينفر إذا كان لهواً وباطلاً، فلا إشكال في إباحة ما لا يطرب للأصل، وعدم الدليل عليه بالخصوص والعموم.

وهكذا بالنسبة إلى الطبل، فإنّ الأخبار الواردة في تحريم المعازف، الدفّ أو الكوب، بناء أنّه الطبل، محمولة على اللهو والطرب؛ لتصريح بعضها بآلات الملاهي. فالعنوان اللهويّ هو موضوع الحرمة، فيبقى ما لم يكن مقصوداً به اللهو، كطبل الإعلام الذي لا نفرّق فيه بين الإعلام في الحروب والمواكب من جميع الجهات.

ومدّعي الفرق مكابر لا يُصغى إليه، واعترافه بأنّ الطبل في الحروب والدفّ في العرس بغير صنج، مستثنى من الحرمة عند الفقهاء، ألا يخبرنا أنّه مع كونه محرّماً لذاته أُبيح في الحرب؟! أم تبدّلت الحرمة بتبدّل العنوان الوصفي؟!

فإن كان الأوّل لزمه المحالّ، فإنّ المسوّغ لاستعمال المحرّم هو الضرورة والاضطرار إليه، ولا اضطرار، ومثله يلزم في طبل إعلام المواكب من هذه الجهة، فيلزمه القول بإباحته.

أو أنّ المحرّم قد يُباح تشهّياً، ومحال، فلا محيص له عن القول بتبدّل العنوان، وإلّا لزم التنافي بين الحكمين في الجهة الذاتيّة الحرمة والإباحة، والإباحة لا تزاحم الحرمة، ومحال بقاء الإباحة مع الحرمة.

وعليه، فأين المباح في الحرب؟

وإذا ثبت أنّ الطبل بعنوان اللهو والطرب محرّم، و بعنوان الإعلام والإشعار مباح، فالكلام يجري في طبل إعلام المواكب من دون فرق.

وإنّ ادّعى أنّ طبل إعلام المواكب مطرب، دون إعلام الحرب، فهو إنّ إدعاء الفارق مباهتة صرفة.

وهذه الطبول التي تضرب في المواكب، لدويّها المهول، تكاد تنفطر الأدمغة، فأي مجال يبقى للطرب؟!

وهل يتصوّر الإطراب عند وقع مطارق الحداديين؟!

[تشبيه الرجال بالنساء]

قوله: « (٥) ومنها تشبّه الرجال بالنساء في وقت التمثيل».

انظر كم شنّ غارة، وولج مغارة، ولعلّ التشبيه محرّم.

قل لي أيّها القارئ الكريم: متى أُجبك أنّ مطلق تشبيه الرجل بالمرأة ليس بمحرّم، إنّما المحرّم تشبيه أحد الصنفين بالآخر، إمّا بالزيّ الدائم لا خصوص الملبوس المؤقت، وإمّا بالفعل، وهو الأقوى، كما يفعله المخنّثون.

وساقرع سمعك بكثير من الأحاديث، التي تريك صدق ما قلناه، وتوقفك على مقدار ما تحامل به هذا الرجل، وتهجّم فيه على رجال الدين والديانة.

أخي الدينيّ، لا ألوك نصحاً، فإنّ حقّ المسلم على المسلم النصيحة، ولا ينبئك مثل خبير، فإنّ التحريم لما ليس بمحرّم شرعاً تشريع محرم قطعاً، وإثباة الحكم بغير دليل إدخال في الدين ما ليس فيه.

في ج ٢ من الوسائل ب ١١٥ ص ٥٦٣ عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: «لعن الله المحلّل والمحلّل له، ومن تولّى غير مواليه، ومن ادّعى نسباً لا يعرف، والمتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، ومن أحدث حدثاً في الإسلام أو آوى محدثاً، ومَن قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه»[1] الحديث.

هي هذه الرواية المطلقة، التي توهّم المتوهّم بأوّل نظرة حمقاً وفكرةً سقيمة في الفقاهة، إطلاق الحرمة، وذلك بأنّ يغمض عينيه عن النظر إلى المقيّدات. ولو سلّمنا إطلاقها، فهي مفسّرة بعدّة أخبار:

فمنها في الوسائل: رواية زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، أنّه رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «اخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يا لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله» ثمّ قال علي عليه السلام: «سمعت رسول الله يقول: لعن الله المتشبّهين»[2] الحديث.

وبهذا الإسناد عن علي عليه السلام قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في المسجد، حتى أتاه رجل به تأنيث، فسلّم عليه، فردّ عليه السلام، ثم أكبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأرض يسترجع، ثمّ قال: مثل هؤلاء في اُمّتي؟! إنّه لم يكن مثل هؤلاء في اُمّة إلّا عذّبت قبل الساعة»[3] الحديث.

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٤ حديث ٢٢٥٣١، عن الكافي ٨: ٦٩ حديث ٢٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٤ حديث ٢٢٥٣٢، عن علل الشرائع: ٦٠٢ حديث ٦٣.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٥ حديث ٢٢٥٣٤، عن علل الشرائع: ٦٠٢ حديث ٦٥.

أيّها القارئ الكريم والحرّ المنصف، أبعد التصريح بالانوثيّة والاستدلال على المؤنثين بالرواية المطلقة، تقبل شكّاً أو تشكيكاً في أنّ المحرّم هو ذلك النوع من التشبيه؟! فالرجل يتشبّه بالمرأة، بزيّها المطلق من الدملج[١] والخلخال[٢] والكحل والإدهان، ويحلق اللحية والشارب، ويكسر كلماته تغنجاً.

المخنّث يُعرف في لسان العوامّ بالمستخنث.

والمرأة تتشبّه بالرجل في زيّه المطلق من لبس العقال، وحمل الأسلحة، وتعرف في لسان العوام بالمسترجلة.

فالروايات مصرّحة بإرادة هذا المعنى من التشبّه، لا لبس الرجل عباءة المرأة فقط آناً ما، بدون التزيّيّ بزيّها المطلق والتزيّن بزينتها المخصوصة، لغرض صحيح، من إثارة الحزن، وتهييج السامعين للفاجعة العظمى يوم عاشوراء.

هذا إذا قلنا: إنّ المراد التشبّه بالزيّ، كما نطقت به هذه الروايات.

أمّا إذا قلنا: إنّ التشبّه بالأفعال هو المحرّم، بأن يتشبّه الرجل بالمرأة، بأن يتطلّب الفعل الذي هو لها، وهو النكاح في دبره و تتشبّه به في فعله، بأن تساحق وتمنع نفسها من النكاح المحلّل.

---

(١) الدُملُوجُ: المِعْضدُ، وكذلك الدُمْلُجُ. الصحاح ١: ٣١٦ «دملج».

(٢) الخَلخَالُ: واحد خَلاخِيل النساء، أي التي تلبسه المرأة في الساق. الصحاح ٤: ١٦٨٩، لسان العرب ٤: ٢٠٥ «خلل» .

وبهذين الفعلين يفوت الغرض والمصلحة في النكاح المحلّل، من تكثير النسل، المشار إليه في عدّة من الروايات، فينقطع النسل، فورد اللعن على هذا القسم من التشبّه في الكثير من الروايات العامة والخاصة، ولو أردنا استيفاء نقلها لطال المقام، ولكن نشرّف نظرك ببعض تلك الروايات.

فمنها: عن الوسائل رواية يعقوب بن جعفر، قال: سأل رجل أبا عبد الله أو أبا إبراهيم عليهما السلام عن المرأة تساحق، وكان متّكئاً فجلس وقال عليه السلام: «ملعونة ملعونة الراكبة والمركوبة، وملعونة حتى تخرج من أثوابها الراكبة والمركوبة، فإنّ الله وملائكته وأولياءه يلعنونها، وأنا ومن بقي في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فهو والله الزنا الأكبر، والله ما لهنّ التوبة، قاتل الله لاقيس بنت ابليس ماذا جاءت به؟!»

فقال الرجل: هذا ما جاء به أهل العراق.

فقال: «والله لقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكون العراق، وفيهنّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعن الله المتشبّهات بالرجال من النساء، ولعن الله المتشبّهين من الرجال بالنساء»[1].

ومنها رواية أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال، وهم المخنّثون واللاتي ينكحن بعضهن بعضا»[2].

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ٣٤٥ حديث ٢٥٧٨٨، عن الكافي ٥: ٥٢٢ حديث ٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٣٤٦ حديث ٢٥٧٨٩، عن الكافي ٥: ٥٥٠ حديث ٥.

وفي معناهما أخبار كثيرة في هذا الباب، وباب اللواط، وغيرهما، فعليك بمراجعتهما إذا أردت الزيادة.

وحينئذٍ تكون الروايات ناهية عن نفس الفعل، فإنّ التشبّه بالزيّ مقدّمة دائميّة أو غالبيّة موصلة إلى الوقوع في المحرّم، الذي هو نفس هذا الفعل الشنيع، الذي هو قطعي الحرمة بضرورة المذهب.

وبعد الوقوف على هذه الأخبار الناصّة المصرّحة، الرافعة لأقلّ تشكيك، كيف يجوز الإقدام على تحريم لبس الرجل لبسة المرأة موقّتاً، من دون أن يتّصف بأوصافها، من التكسير والتغنّج، الدالّين على تطلّب الأُنوثة المطلقة؟!

ومن المحالّ ـ على فرض صدور التشبّه في المواكب ـ أن يتجاوز الرجل أكثر من أن يلفّ نفسه بعباءة المرأة تهييجاً للسامعين، فهذا ما يقع في أعمال الشبيه من التشبيه الذي ليس منه حقيقة وإن اُطلق عليه مجازاً.

فالمفتي بالحرمة، بعد وضوح هذه الأدلّة، وصراحة هذه النصوص، لا ينبغي الالتفات إليه، ولا يجوز الإصغاء، فضلاً عن التعويل عليه كائناً مَن كان.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[١].

---

(١) الصف (٦١): ٢ ـ ٣.

[إركاب النساء الهوادج مكشّفات]

قوله: « (٦) ومنها: إركاب النساء الهوادج مكشّفات الرؤوس، وتشبيههن بنات رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهو نفسه محرّم»[١].

ففيه أوّلاً: مخالفة المُشاهد المحسوس، من عدم إركاب النساء الهوادج، لا مكشّفات الوجوه ولا مبرقعات، إذ لم يرى راءٍ، ولم يسمع سامع، أنّ موكباً من المواكب التي تمثّل نهار عاشر المحرّم، أركبوا فيه النساء الهوادج. إنّما المسموع ـ على فرض الصحة ـ تشبيه الرجل بالمرأة.

فالدعوى في مقابلة الوجدان لاغية ومباهتة باطلة، بل أكبر فريّة على المتديّنين من الشيعة، الذين هم في غاية العفّة والصيانة، ونساؤهم المخدرات المحجبات.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٦.

ولو كانت المرأة في أقصى ما يتصوّر من الابتذال، لا متنعت من الركوب، حاسرة بارزة في ذلك المحشد، مكشّفة الوجه في المجمع العموميّ.

ولو فرض محالاً صدق الدعوى، أما كان الواجب عليه الستر، وإخفاء تلك المنقصة الخسيسة، والوصمة الدنيئة، التي وُسم بها الشيعة، البراء من أمثال هذه النقائص؟!

أكان من المتتبّعين لعثار المسلمين، المحصين لعثراتهم ومحالّ سقطاتهم، ومن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؟!

أما امتصّ حملة الغيرة الدينيّة، وارتضع من ثدي الشهامة العربيّة؟! فيتجنّب التشنيع على أهل مذهبه وبني ملّته بستر ما هو حقيقيّ وله أثر، لا بما هو فرية وبهتان، ربنا لا تفضحنا بخفي ما اطلعت عليه منّا.

دع ذا واقرع باب المسألة بمقرعة علميّة، نعم سينفتح لك الباب عن الصورة الفنيّة.

لم يُعلمنا مراده، ولم يبيّن لنا من أين جاءت الحرمة؟ أمن تشبيه المرأة بالمرأة؟ أم من تشبيه الأدنى بالأعلى؟ أم من جهة النظر إلى الأجنبية؟

فالكلام من الجهة الأُولى: أمّا من جهة العقل؛ فلأنّه ممكن، وكلّما لم يكن ممتنعاً فهو ممكن، سواء كان من تشبيه العالي بالداني، والداني بالعالي، وليس بقبيح؛ لصدوره من العقلاء، كما سيجيء.

أمّا معناه، فقد قال في «المصباح»: «شبّهت الشيء بالشيء: أقمته مقامه لصفة جامعة بينهما، وتكون الصفة ذاتيّة ومعنويّة، فالذاتيّة: نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم، وهذا السواد كهذا السواد.

والمعنويّة نحو: زيد كالأسد أو كالحمار، أي في الجرأة والبلادة وفي شدّته وقوّته.

وقد يكون مجازاً، نحو الغائب كالمعدوم، والثوب كالدرهم، أي قيمة الثوب تعادل الدرهم، وأشبهه الولد أباه وشابهه إذا شاركه في صفة من صفاته»[١] إلى آخره.

ومثله حكى في «مجمع البحرين» [٢].

وهناك معنىً آخر، وهو المشابهة في الحكم، فيقال: ما شبه ليس. ويمكن أن يشمله كلام «القاموس»[٣] و«الصحاح»[٤]، حيث أطلقا لفظ المشابهة من أنّها المماثلة.

وكيف كان، فالمشابهة الحقيقيّة لابدّ فيها من قدر جامع، وهو اشتراكهما في صفة من الصفات.

وأمّا مصطلح أهل البيان، فاخصّ من المعنى اللغويّ، إذ هو عندهم مشاركة أمر لآخر في معنى، لا على جهة الاستعارة.

أمّا أهل العرف فيذهبون مذهب اللغويّين وإن كان بحسب الفطرة والارتكاز، فيقولون: هذا يشبه هذا، يريدون أنّه يشاركه في صفاته لجامع، ولهذا تجدهم كثيراً ما ينكرون انتساب زيد لعمرو، مع اختلافهما في العادات

---

(١) المصباح المنير: ٢٩٥ «شبه».

(٢) مجمع البحرين ٦:١١٤ «شبه».

(٣) القاموس المحيط ٤: ٩٩ «شبه».

(٤) الصحاح ٦: ٢٢٣٦ «شبه».

والأخلاق، أو في الأوصاف البدنيّة والعوارض المشخّصة، كاللون مثلاً، إذا كان أحدهما شديد السمرة، والآخر شديد البياض.

ولا نعني بالعرف عرفاً خاصاً، ولا زمناً معيّناً، بل ورد في أحاديث البلغاء ومحاوراتهم، كحكاية سويد بن منجوف، حين قال له عبد الملك بن مروان: يا سويد، لقد قيل: إنّك لا تشبه أباك؟ فقال: إنّي منه لأشبه من الماء بالماء، ومن الغراب بالغراب. لكن ألا أدلّك على من لا يشبه أباه؟

فقال: من هو؟

قال: من لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، يعرّض بعبد الملك[1].

ومَن تتبّع موارد الاستعمال، تيقّن أنّ التشبيه الحقيقيّ لا يقع بغير جامع بين المشبّه والمشبّه به، ولو بنحو الاشتراك في صفة.

والتشبيه في الشبيه ليس بتشبيه المرأة بزينب عليها السلام أو أحد الهاشميات، ولا بإدعاء أنّها هي، بل هو تشبيه هذه الحالة بتلك الحالة، وحكاية حال، وأنّ القصد إظهار حالة الإنكسار التي أصابت الهاشميات يوم كربلاء، لتكون هذه المتشبّه مظهر الحزن والكأبة.

وكيفما فسّرته، وبأيّ معنى أخذته، لا إشكال في جوازه؛ لعدم الدليل على حرمته، بل وقوعه دليل قوي على جوازه، سواء كان من تشبيه الأعلى بالأدنى، أو بالعكس.

ومن استقرأ كتب الآثار وجدها مشحونة، وتشبّه المسيح بيهوذا الاسخربوطي وهو عدوّه، وإلى هذا أشار في التنزيل ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[2].

---

(١) انظر العقد الفريد ٨: ٩٨.

(٢) النساء (٤): ١٥٧.

وتشبّه سفير الوحي لمريم بصورة بشر، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1].

وتشبّه الأمين جبرئيل بدحية الكلبي عند حضوره السدّة النبويّة.

وتشبّهت الملائكة بعلي عليه السلام أو بالمؤمنين في يوم بدر.

وتشبّهت زينب عليها السلام ببعض إمائها في أحد المواطن في الكوفة أو الشام لئلّا تُعرف.

وتشبّه أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله عند المبيت على فراشه، ليلة باتت قريش ترقبه لتفتك به؛ لأنّها تحسبه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جلّله ببرده اليماني أو الحضرمي، فظلّت قريش ترقب علياً عليه السلام وهي تحسبه النبي صلى الله عليه وآله، حتى انكشف فشلهم بخروج النبي صلى الله عليه وآله من بينهم.

إلى غير ذلك ممّا هو مشهور مسطور في مظانّه.

وإنكار أمثال هذه الوقائع مكابرة، وهذه هي الجهة الثانية.

أمّا الجهة الثالثة، وهي: جواز النظر إلى المرأة الأجنبيّة، لا إشكال في جواز النظر إلى المبتذلات مطلقاً، والظاهر المفروغيّة من جوازه نصاً وفتوى.

أما غيرهن، فقد وقع الخلاف فيه، واضطربت كلمات الفقهاء، لكن المتبحّر في الصناعة الفقاهيّة، إذا دقّق النظر وأجال الفكرة الوقادة في النصوص وكلمات الأصحاب، أشرف على القطع أو يقطع بالجواز.

---

(١) مريم (١٩): ١٧.

وسأتلو عليك جملة من الأخبار، وبعض كلمات الفقهاء، إذا تدبّرتها حقّ التدبّر وأمعنت فيها النظر، كنت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين.

في الوسائل بعنوان: ما يحلّ النظر إليه من المرأة بغير تلذّذ ولا تعمّد وما لا يجب عليها ستره ج٣ ص٢٥ ب١٠٩ وذكر روايات:

منها: صحيحة الفضيل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذراعين من المرأة، أهما من الزينة التي قال الله تعالى ﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾[(١)]؟ قال: «نعم، ومادون الخمار من الزينة، ومادون السوارين»[(٢)].

ومنها مرسلة مروك أو مرفوعته، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما يحلّ للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرماً؟ قال: «الوجه والكفّان والقدمان»[(٣)].

وروى الصدوق في الخصال عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجل ﴿**إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾[(٤)] قال: «الزينة الظاهرة الكحل والخاتم»[(٥)].

ورواية أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجل ﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ**﴾ قال: «الخاتم والمسكة وهي القُلب»[(٦)].

---

(١) النور (٢٤): ٣١.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٠٠ حديث ٢٥٤٢٥، عن الكافي ٥: ٥٢٠ حديث ١.

(٣) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٠١ حديث ٢٥٤٢٦، عن الكافي ٥: ٥٢١ حديث ٢، والخصال: ٣٠٢ حديث ٧٨.

(٤) النور (٢٤): ٣١.

(٥) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٠١ حديث ٢٥٤٢٧، عن الكافي ٥: ٥٢١ حديث ٣.

(٦) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٠١ حديث ٢٥٤٢٨، عن الكافي ٥: ٥٢١ حديث ٤ .والقُلْبُ: السوار. لسان العرب ١: ٦٨٨ «قلب».

ورواية مسعدة بن صدقة، قال: سألت جعفراً عليه السلام، أو سُئل عمّا تظهر المرأة من زينتها، قال: «الوجه والكفّين»[١] انتهى. والروايات بهذا المضمون متظافرة.

وفي «الجواهر»، بعد نقل هذه الروايات، نقل روايات أُخر، منها صحيحة ابن سويد، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّي مبتلى بالنظر إلى المرأة الجميلة، فيعجبني النظر إليها، فقال: «يا عليّ لا بأس إذا عرف الله من نيّتك الصدق، وإيّاك والزنا»[٢].

ولعلّه لذلك ذكر «من» في آية الغضّ والنصوص المتقدّمة في الإحرام التي منها: أنّ أبا جعفر عليه السلام مرّ بإمرأة محرمة، قد استترت بمروحه، فأماط المروحة بقضيبه عن وجهها[٣].

وخبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر الأنصاري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلمّا انتهينا إلى الباب، وضع يده عليه ثمّ دفعه وقال: «السلام عليك.

فقالت: وعليك السلام يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: أدخل؟

قالت: ادخل يا رسول الله.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٠١ حديث ٢٥٤٢٩، عن قرب الإسناد: ٤٠.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٣٠٨ حديث ٢٥٦٨٧، عن الكافي ٥: ٥٤٢ حديث ٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٢: ٤٩٤ حديث ١٦٨٧٩، عن الكافي ٤: ٣٤٦ حديث ٩، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٩ حديث ١٠١٠.

قال: أدخل أنا ومَن معي؟

فقالت: يا رسول الله ليس عليّ قناع.

فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك وقنّعي به رأسك، ففعلت.

إلى أن قال: فدخل رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ودخلت أنا معه، وإذا وجه فاطمة أصفر كأنّه بطن جرادة، فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ما لي أرى وجهك أصفر؟

قالت: يا رسول الله الجوع.

فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: اللهمّ مشبع الجوعة ودافع الضيعة أشبع فاطمة بنت محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

قال جابر: فوالله لنظرت الدم ينحدر من قصاصها حتى وجهها احمرت»[١] الحديث.

كلّ ذلك، مضافاً إلى ما يشعر به كثرة السؤال عن الشعر والذراع، دون الوجه والكف، مع شدّة الابتلاء بها من معلوميّة الجواز فيها ما دون العدم، المعلوم أولويّة الشعر والذراع منه.

مضافاً إلى السيرة في الأعصار والأمصار على عدم معاملة الوجه والكفّين من المرأة معاملة العورة، ولذا لم تسترها في الصلاة، وإلى العسر والحرج في اجتناب ذلك لهنّ في البيع والشراء».

ثمّ نقل كلام المانعين وأطال في الرد عليهم[٢].

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ٢١٥ حديث ٢٥٤٦٣، عن الكافي ٥: ٥٢٨ حديث ٥.

(٢) جواهر الكلام ٢٩: ٧٥.

وللعلّامة الأنصاري كلام أطال فيه، ومحصّله نحو ما في الجواهر، والإنصاف أنّ الحقّ ما أفاده هذان العلّامتان المحقّقان المدقّقان الفقيهان اللّذان لهما الإحاطة التامة في الأقوال والأخبار، وبعد الفحص الكافي حصل لهما القطع بالجواز.

وحينئذٍ فبعض الروايات التي يتراءى من ظاهرها إطلاق المنع، فمحمولة على ما فيه ريبة، جمعاً بين الأدلّة، كما في رواية الشاب الأنصاري الذي رأى المرأة الجميلة مقبلة ثمّ أتبعها النظر، فأعترضه عظم في الحائط فأصاب جبهة، فأسال دمه على وجهه[١].

وخبر الفضل بن العباس والخثعميّة، حين راه رسول الله ﷺ يحدّ النظر إليها وتحدّ النظر إليه، فصرّف وجهه، وقال: «رجل شاب وامرأة شابة، لا آمن أن يدخل الشيطان بينهما»[٢].

بل هذه الأخبار ظاهرة في الريبة.

أمّا الأوّل فظاهر، وأمّا الثاني فلقوله: «يحدّ النظر إليها»، ولقوله: «لا آمن أن يدخل الشيطان بينهما».

وكلمات الفقهاء القائلين بالمنع مطلقة، كالأخبار منصرفة إلى النظر بريبة، أو محمولة عليه، ولم يحكى من بعضهم تصريح بالمنع مع الأمن من الريبة، فالمسألة من هذه الجهة لا إشكال فيها.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ١٩٢ حديث ٢٥٣٩٨، عن الكافي ٥: ٥٢١ حديث ٥.

(٢) انظر سنن البيهقي ٧: ٨٩.

أمّا قوله: «مثلما جرى في العام الماضي في البصرة، من تشبيه امرأة خاطئة بزينب عليها السلام وإركابها الهودج»[١].

فهو الغاية في التمحّل والفريّة، نحن في العام الماضي ـ يعني سنة ١٣٤٦ـ ما رأينا تلك الخاطئة التي ظهرت له وهو في الشام.

سَــهمٌ أُصــابَ وراميــه بــذي سَــلَمٍ مَنْ في العراق لَقد أبْعدتِ مَرْمـاكِ[٢]

بل لم نسمع حتّى من نظرائه، ممّن كان دأبه الانتقاد على أعمال المواكب، وتزويقه المفتريات على أفعال الشيعة الشعار الحسينيّ.

بلى إنّ المواكب التي تجلّت العام الماضي بأجلى مضاهرها في البصرة، بزعامة الحسيب السيّد عبد الوهاب الكربلائي، لم تفقد غير التشبيه، بمعنى أنّه لم يقع فيها تشبيه رجل بامرأة ولا امرأة بامرأة، فضلاً عن كونها خاطئة.

ولعلّه استنار بلوامع البرق الخاطف من هو أجس الأفكار، أو خطرات الوهم والخيالات، فجعلها مناط الحرمة.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٦ .

(٢) بيتُ شعرٍ من مقطوعة شعريّة للشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)، مطلعها:

يـا ظَبيـةَ البـانِ تَرعـى فـي خَمائِلِـهِ لِيَهنَـك اليـومَ أنَّ القلـبَ مَرعـاكِ

والبيت والذي قبله وبعده:

ثُـمَّ انْثَنَيْنـا إذا ماهَزّنـا طَـرَبٌ عَلـى الرِحـالِ تَعَلَّلنـا بِـذِكراكِ
سَـهمٌ أُصـابَ وراميـه بـذي سَـلَمٍ مَنْ في العـراق لَقـد أبْعـدتِ مَرْمـاكِ
وعـدٌ لِعَيْنَيـكِ عِنـدِي مـا وَفَيـتِ بـهِ يـا قُـربَ مـا كَـذَبتْ عَينـيَّ عَيْنـاكِ

ديوان الشريف الرضي: ٢٤٥ .

وليته صان طرسه[١] وقلمه عن التفوّه بأمثال هذه الخرافات.

أيحسبها إحدى الروايات الصحاح، التي يثبت بها التكليف الشرعي، سيما الحرمة، التي تحتاج إلى أقوى الأدلة والبراهين ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[٢].

ولو صدّقنا ذاك الادّعاء، وفرضنا إمكان صدور تلك الواقعة، فلمَ أخفى ما يلزمه ابداؤه، من أنّ بعض المصلحين نهى وهذّب الموكب منه، ونزّهه ما له حقّ وما لغيره باطل ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[٣].

سلّمنا إحاطة دعواه بالحقيقة من جهاتها الستّ، فليكن خاطئاً أركب خاطئة.. لنفسي تُقاها أو عليها فُجورُها[٤].

فصدور مثل هذه في بعض المواكب لا يقتضي إبطال كلّ المواكب.

---

(١) الطِرْسُ: الصحيفة، ويقال: هي التي مُحيت ثمَّ كُتبت، وكذلك الطِلسُ، والجمع أطراس. الصحاح ٣: ٩٤٣ «طرس».

(٢) آل عمران (٣): ٦٤.

(٣) النجم (٥٣): ٢٢.

(٤) عجزُ بيت من مقطوعة شعريّة قالها توبة بن الحمير بن حزم، من بني عقيل (ت ٧٠٤ م)، وشطره: **وقَدْ زَعَمَتْ ليلى بأنّي فاجرٌ**. ومطلعها:

حَمامــةُ بَطْــن الــوادِيين تَرَنّمــي　　　سَـقاكِ مـنَ الغُـرِّ الغَـوادي مَطيرُهـا

والبيت الذي قبله:

بَلى قَدْ يَضـرُّ العَين أن تُكثر البُكـى　　　ويَمنَــعُ منهــا نَوْمهــا وسُــرورها

انظر: الأمالي للسيّد المرتضى ٣: ١٤٦ .

وليتك تدري أنّ الشخص إذا أفسد حجّه لا يفسد حجّ غيره، وهو كما تزعم تنهى عن المنكر، لما ارتكبت المنكر؟ أليس من المنكر رمي البريئ بذنب الجاني؟ على فرض الصدرو.

فلو فرضنا أنّ في مكتبك ـ التي جعلتها محلّ الوحي ومظهر التجليّات ـ رجلاً شرب خمراً، أترى لو أنّ رجلاً قال: المكتبة الفلانية حانة خمر، أو تلك المدرسة حانوت المشروبات، فهل هذا القائل عندك محقّ؟ أم مبطل؟

فإن قلت: محق، كذبت وإن قلت: مبطل، لزمتك الحجّة.

[صياح النساء بمسمع الرجال]

والمصيبة الأُخرى قوله: «(٧) ومنها: صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وصوت المرأة عورة. ولو فرض عدم تحريمه، فهو معيب شائن مناف للآداب والمروءة»[1].

أمّا قوله: «صوت المرأة عورة» فقد مرّ أنّ المرأة عورة، لا صوتها. واتضح لك جواز سماع صوتها.

وأمّا قوله: «معيب شائن» هذه الألفاظ المبهمة أو المهملة، ما ندري أمعيب شائن عند نفسه الأمّارة بالسوء؟!

أم عند نواميس الشريعة ومأسسي الديانة، كالنبي صلى الله عليه وآله وآله الأئمة الهداة؟

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٨.

أم عند عامة العقلاء، دينيين وغيرهم؟

فإن كان الأول، فليطرح للهرّ يلعب به، لا قوله حجّة ولا نقله معتمد.

فالشمسُ يمتنـعُ اجـتلاوة نُورهـا فإذا اكتَسَت برقيقِ غيمٍ أمكنا(١)

كنّا وأيم الله لا نأمل أنّ أحداً يخطر بباله، أو يمرّ بفاكرته، ولو كان أعوج السليقة غير مستقيم الطريقة، أن يطعن على المواكب الحسينيّة بمثل هذا الطعن وتاليه، والأمر فيه واضح البرهان.

وليسَ يَصـحُّ فـي الأفهـامِ شـيئٌ إذا احتـاجَ النهـارُ إلـى دليـلِ(٢)

---

(١) من مقطوعة شعريّة لمحمّد بن سعد الكلشني المدمشقي (ت ١٠٣٧ هـ) من أدباء الصوفيّة، ومطلعها:

يـا واحِـداً عَـمَّ الوُجـودَ وُجـودُهُ وجَمالُـه فـي الكـونِ أضـحى بَيّنـاً

انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ١٤٤٦، وقد ورد البيت هكذا:

كَالشَّـمس يَمْنعُـكَ اجـتِلاءُ وَجْهِهَـا فـإذا اكتَسَـتْ برقيـقِ غَـيْمٍ أمْكنـا

(٢) البيت من قصيدة لأبي الطيّب المتنبيّ (ت ٣٦٤ هـ)، ومطلعها:

شَـديدُ البُعـدِ مِـنْ شـربِ الشَّـمولِ تُـرُنْجُ الهنـدِ أو طَلـعُ النَّخيـلِ

ومنها:

أَتَيـتُ بمَنطـقِ العـربِ الأصـيل وكـانَ بقْـدرِ مـا عانيـتُ قيلـي
فعارضَـهُ كـلامٌ كـانَ مِنـهُ بِمَنزلـةِ النِسـاء مِـن البُعـولِ
وَهـذا الـدُرُّ مَـأمونُ التَشَـظّي وأنْـتَ السـيفُ مَـأمونُ الفُلـولِ
ولـيسَ يَصِـحُّ فـي الأفهـامِ شَـيءٌ إذا احْتـاجَ النهـارُ إلـى دَليـلِ

انظر: ديوان المتنبيّ: ٣٩٠.

ما أدري بماذا أعتذر عنه عند محصي سقطاته ومُعدّدي عثراته؟! أأقول: غفلة وذهول، فاه بذاك مقوله وزبر مزبره؟

أم أقول: لم يستقص الأسفار، ولم يحط خبراً بمتواترات الأخبار؟

لا لعمري، إنّ الصحف لمملوءة، ولعلّ عنده الكثير منها، وسأتحفك بجملة شافية نقلها الفريقان العامّة والخاصّة، والإيقان نتيجة الاتقان.

فممّا تسالم عليه المؤرّخون، وتلقّاه بالقبول المحقّقون، نياح أهل المدينة على قتلى اُحد، وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالنياحة على حمزة.

والنياح والصياح بمعنى واحد وإن تفاوتت الأصوات شدّة وضعفاً، والغرض سماع الأجنبيّ لصوت الأجنبيّة بأيّ كيفيّة كانت، فقد نقل المؤرّخون ـ ونقتصر على ما نقله تاريخ الخميس، ونعقبه بالوارد من طرقنا ـ قال المؤرّخ المذكور ص ٤٩٩ .

«قال بن إسحاق: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بدور من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فلمّا رجع سعد واُسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل، أمر سعد نساءهم أن يتحزّمن ثمّ يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءهنّ على حمزة، خرج عليهنّ وهنّ على باب المسجد يبكين، فقال: «ارجعن رحمكنّ الله، فقد واسيتنّ بأنفسكن».

قال: وفي رواية أبي عبيدة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا سمع بكائهن قال: «رحم الله الأنصار، فإنّ المواساة منهم ما علمت لقديمة، مُرُوهُنَّ فلينصرفن».

قال: وفي رواية: لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكي له اليوم»، سمعه قوم من الأنصار، فأتوا نساءهم، فأقسموا عليهنّ بالله أن لا يبكين أنصارياً الليلة حتى يأتين نبي الله صلى الله عليه وآله فيبكين عنده، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله صياح النساء في دار حمزة، فقال: «ما هذا»؟ فأخبر بالذي فعلت الأنصار بنسائهم، فقال لهم معروفاً.

وقال قبل نقل هذه الأخبار في حكاية رجوع النبيّ صلى الله عليه وآله من الوقعة: فلقيته حمنة بنت جحش، فلمّا لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له.

ثمّ نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له.

ثمّ نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولّولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ زوج المرأة منها لبمكان»، لما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها، وصياحها عند زوجها»[1] انتهى.

وعلى ما ببالي أنّ ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، بعد أن ساق هذه الأحاديث وغيرها، وذكر هذه القصّة كما نقلناها وزيادة قولها: إنّي ذكرت يتم ولده[2].

وبالجملة، التواريخ طافحة بأمثال هذه الحكايات، ولو كان قبيحاً أو محرّماً، لما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الذمّ إلى المدح بقوله: «رحم الله

---

(١) تأريخ الخميس ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٨: ٢١١.

الأنصار» وبقوله: «إنّ المواساة»، و«انكنّ واسيتن»، وقوله: «زوج المرأة منها لبمكان».

ومن أراد الزيادة فعليه بكتب التواريخ.

أمّا ما ورد من طرقنا، وناهيك بقصّة اُم سلمة، وقد رواها في الوسائل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا مات الوليد بن المغيرة، فقالت أمّ سلمة للنبي صلى الله عليه وآله: إنّ آل المغيرة قد أقاموا مناحة، فأذهب إليهم؟ فأذن لها، فلبست ثيابها وتهيّأت، وكانت من حسنها كأنّها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلّل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها، فندبت ابن عمّها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد أبا الوليد فتى العشيرة

حامي الحقيقة ماجد يسمو إلى طلب الوتيرة

قد كان غيثاً في السنين وجعفراً غدقاً وميرة[1]

فما عاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، ولا قال شيئاً.

قال: ورواه الشيخ بإسناده إلى محمّد بن أحمد[2]، وكذا الذي قبله، يشير إلى وصيّة الباقر عليه السلام ولده الصادق عليه السلام بقوله في رواية يونس: «يا جعفر أوقف من مالي كذا وكذا للنوادب يندبني بمنى أيام منى عشر سنين»[3].

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث ٢٢١٥٧ ، عن الكافي ٥: ١١٧ حديث ٢ ، والتهذيب ٦: ٣٥٨ حديث ١٠٢٧ .

(٢) في الوسائل: أحمد بن محمّد .

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث ٢٢١٥٦ ، عن الكافي ٥: ١١٧ حديث ١ ، والتهذيب ٦: ٣٥٨ حديث ١٠٢٥ .

والحديث مشهور مروي في الوسائل وغيرها من كتب الأخبار.

وغير خفيّ أنّ النوادب على ما هو المتعارف إلى اليوم ـ والنوادب والنوائح وزنا ومعنى ـ والتخصيص بمنى يدلّ بلازمه على إظهار الصوت ورفعه بتعديد محامد المندوب ولو كان نشيجاً، فأيّ ثمرة بالاهتمام به في الوصية، مع أنّه لا يساعد عليه لفظ الندب.

وتبادر رفع الصوت عند إطلاق لفظ الندب دليل الحقيقة، ووصيّة الإمام عليه السلام به أقوى دليل على استحبابه، وأوضح برهان على رجحانه، لا أقلّ من الجواز، وإلّا كيف ساغ للإمام عليه السلام أن يوصي بالمحرّم، أو يعمل الإمام عليه السلام بما هو محرّم، للقطع بعصمته، وإرتكاب الحرام عمداً منافٍ للعصمة، فالقول بتحريمه تهجّم على الدين.

مضافاً إلى ما هو المعلوم من بكاء الزهراء عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى شكى أهل المدينة إلى علي عليه السلام بأنّ فاطمة قد آذتنا ببكائها، وما تتركنا ننام، فسلها إمّا أن تبكي ليلاً وتسكت نهاراً، وإمّا أن تسكت ليلاً وتبكي نهاراً.

ومعلوم أنّ البكاء الذي يتأذّى منه الجيران إنّما هو مع الصوت، وبدونه كيف يمنع النوم أن يؤذي الجار، مع أنّه خفي بحيث لا يسمع.

وفي حديث مرض النبيّ صلى الله عليه وآله، الذي رواه الصدوق في الأمالي ص٢٧٧، إلى قوله: فقال لها بلال: «يا فاطمة، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر وهو يودّع أهل الدنيا؟! فصاحت فاطمة: واأبتاه واغماه، يا أبتاه مَن للفقراء والمساكين وابن السبيل، يا حبيب الله وحبيب القلوب».

إلى أن قال بعد كلام طويل ص ٢٧٨ : فأقبل الحسنان يبكيان ويصرخان[١] إلى آخره.

نقلنا هذه الفقرة لأنّها تنفع في الفصل الآتي.

وكذلك الهاشميات في نياحتهن على الحسين عليه السلام، ففي أمالي الشيخ ص ٥١ في حديث طويل العنعنة، عن أبي الصباح عبد الله بن عامر، قال: لما نعي الحسين عليه السلام إلى المدينة، قامت فاطمة بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نسائها، حتى انتهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهقت عنده، ثمّ التفت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتم عترتي أم كنتُم غيباً ... والحقّ عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما ... منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عند غداة الطفّ إذ حضروا ... تلك المنايا ولا عنهنّ مدفوع

قال: فما رأينا باكياً ولا باكية أكثر ممّا رأينا ذلك اليوم[٢].

وفي البحار ج ١٠ ص٢٣٥ مسندة مصقلة الطحّان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتماً، وبكت وبكين النساء، حتّى جفّت دموعهن وذهبت، فبينما هي كذلك إذ رأت جارية

(١) أمالي الشيخ صدوق: ٢٨١ حديث ٨.

(٢) العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) ١٧: ٣٧٦ حديث ٦، عن مجالس المفيد: ١٣٨، وبحار الأنوار ٤٥: ١٨٨ حديث ٣٤.

من جواريها، تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت: ما لك من بيننا تسيل دموعك؟

قالت: لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق.

قال: فأمرت بالطعام والأسوقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت، وقالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوّي على البكاء للحسين عليه السلام.

قال: وأُهدي إلى الكلبيّة جُؤنا لتستعين به على مأتم الحسين عليه السلام، فلما رأت الجؤن قالت: ما هذا؟

قالوا: هديةُ أهداها فلان لنستعين بها على مأتم الحسين.

فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثمّ أمرت بهن فاخرجن من الدار، ولم يرى لهنّ بعد أن اُخرجن من الدرا أثر.

والجُونيّ: القطا سود البطون والأجنحة، كذا فسّره المجلسي[١].

أصواتها بحّت وهنّ نوائح ... يَنْدِبنَ قَتلاهُنَّ بالإيماء[٢]

وفي كتاب مقتل العوالم ص ١٩٠، نقلاً عن كامل الزيارات، بإسناده إلى عبد الله بن غالب، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، قال: فأنشدته لبلية...البيت[٣]، إلى قوله: فصاحت باكية من وراء الستر:

---

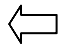
(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٧٠ حديث ١٨، عن الكافي ١: ٤٦٥.

(٢) من قصيدة للشاعر الشيخ صالح الكوّاز (ت ١٢٩٠ هـ)، مطلعها:

باسْم الحُسين دَعا نعاء نعاء ... فَنَعى الحياةَ لسائِر الأَحياء

انظر: أدب الطف ٧: ٢١٣.

(٣) البيت هو:



وا أبتاه[1].

وفيه رواية أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: « أنشدني»، فأنشدته، فقال: «لا، كما تنشدوه، أو كما تنشدون، أو كما ترثيه عند قبره»، فأنشدته شعرا:

أُمـــرر علـــى جـــدثِ الحســـين فقـــــل لأعظمـــــهِ الزكيّـــــة

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: «مرّ»، فزدت، فقال: «زدني»، فأنشدته:

يا مـــريم قـــومي فانـــدبي مَـــولاكِ وعلـــى الحُســـين فاســـعدي ببكـــاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء، الحديث[2].

ويستفاد من هذه الرواية أنّ إنشاد الشعر على الحسين عليه السلام يستحب فيه الترقيق، ولا يكفي فيه التلاوة، لقوله عليه السلام: «كما تنشدون»، وكأنّه يشير إلى شيء متعارف عند الذاكرين غير التلاوة، ولا شيء إلّا ترقيق الصوت بطريقة معروفة عند القراء في زمن الأئمة عليهم السلام.

وحديث القارورة، الذي رواه الشيخ في أماليه ص ١٩٩ بطريقين: أحدهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والآخر عن عمرو بن ثابت أبي المقدام عن أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام.

⇦ **لبليّـــــة تســـــقو حســـــينا بمســـقاة الثـــرى غيـــر التـــراب**

(١) العوالم ١٧: ٥٤١ حديث ٣، عن كامل الزيارات: ١٠٥ حديث ٣، وبحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦ حديث ٢٤.

(٢) العوالم ١٧: ٥٤١ حديث ، عن كامل الزيارات: ١٠٥ حديث ٥، وبحار الأنوار ٤٤: ٢٨٧ حديث ٢٥ .

والحديث برواية سعيد عن ابن عباس، قال: بينما أنا راقد في منزلي، فسمعتُ صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، فخرجتُ يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها، الرجال والنساء، فلمّا انتهيت إليها قلت: يا أُمّ المؤمنين ما بالك تصرخين وتتغوثين؟

فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وأبكين معي، فقد قتل والله سيدكنّ الحسين عليه السلام وسيّد شباب أهل الجنّة، فقد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين عليه السلام. فساق الحديث إلى قوله: فجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين. الحديث[١].

واستيفاء هذه الوقائع يخرجنا إلى الإطناب والإسهاب.

ولا يمرّ بخلدك أنّ الصياح غير النياح، بل هما شيء واحد وإن اختلفت مراتبه بالشّدة والضعف.

وقد قال في القاموس: الصيحة صوت المناحة[٢].

وكذلك هو عند العرف، فمنهم من يطلق على المناحة اسم الصياح والصائح، ومنهم من يُطلق عليه الصراخ أو الصريخ، فهما شيء واحد وإن تفاوتت المراتب بحسب أوضاع الأشخاص.

فإن كان النوح بأقصى الصوت، فصياح وصراخ وعويل وهائعة.

وإن كان بدونه، فبكاء ونجيب وحنين وجزع، والاسم الجامع لهذا هو النوح والندبة.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٠ حديث ٢، عن أمالي الصدوق، مجلس ٢٩، حديث ١ .

(٢) القاموس المحيط ١: ٣٢٣ «صيح»، وفيه: صيحة المناحة .

وندبة أُمّ البنين لأولادها[١] وإن اختلف التعبير، فمرّة تندبهم بأشجى ندبة يبكي لها العدو، كما في مقاتل الطالبين. ومرّة بجزع وحرقة، كما في غيره.

ويؤيّده ما رواه الشيخ في الأمالي بالإسناد إلى معاوية بن وهب، قال: كُنت جالساً عند جعفر بن محمد عليهما السلام، وذكر حديثاً طويلاً إلى أن قال: قال عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه إلّا على الحسين»[٢]. وتمام الحديث من ص١٠٠ إلى ص١٠١.

والجزع قطعاً شدّة البكاء، وهو عامّ.

ومن المعلوم المقطوع به نياحة نساء المسلمين على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد رواه الثقات، ففي الوسائل قال: سُئل الصادق عليه السلام عن أجر النائحة، فقال: «لا بأس به، قد نيح على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله»[٣].

وبعض الروايات التي ظاهرة في المنع من النياحة، فمحمولة على النياحة بالباطل، جمعاً بين الأخبار، فما في جملة منها: «لا ينبغي لها أن تقول هجراً»[٤] كما تقتضيه الصناعة. والهجر: هو الفحش.

وكذلك أقوال الفقهاء، فإنّ المطلق يُحمل على النوح بالباطل، كما صرّح به الأكثر، بل المشهور، وجوّزوا النوح بالحق اتفاقاً منهم. فيرتفع الخلاف، وتكون المسألة إجماعيّة بجواز النياحة.

---

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ١٣: ٢٥، مقاتل الطالبين: ٨٥.

(٢) الأمالي ١: ٢٨١، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٨ حديث ٢٢١٦٥، عن من لا يحضره الفقيه ١: ١١٦ حديث ٥٥١.

(٤) وسائل الشيعة ١٧: ١٢٧ حديث ٢٢١٦١، عن الكافي ١: ٢٩١ حديث ١٧.

هذا بالنسبة إلى غير الحسين عليه السلام.

أمّا بالنسبة إلى الحسين عليه السلام، فقطعيّة الجواز بإجماع العلماء، بل هي راجحة رجحاناً مؤكّداً، كما هو نصّ الأخبار، وتنصيص الفقهاء، والسيرة القطعيّة من عمل المسلمين في سائر الأمصار للعلماء والصلحاء، فضلاً عن الحسين عليه السلام الذي ناحت عليه الأنبياء والأوصياء والجنّ والملائكة، كما في عاشر البحار، الذي أورد فيه روايات كثيرة في نوح الملائكة والجن وبكاء كلّ شيء عليه حتى الطير والوحش والأحجار[١].

وأمّا الثالث، فالعقلاء بما هم عقلاء، من جميع الأصناف من المليّين جميعاً، كالأنبياء وأتباعهم، وغير مليّين كالجاهليّين وأضرابهم في جميع الأعصار، نساءً ورجالاً إلى يومنا هذا قد ناحوا وبكوا حتّى حُكي أنّ أوّل من ناح آدم وإن اختلف النقل في سببه.

أعلى فراق الجنّة؟

أم على ولده المقتول ظلماً؟

أم أم؟

إلّا أنّ الاتفاق حصل على أنّه ناح، وذلك معلوم من التاريخ.

وناحت حواء لفقد ابنها المتضرّج بدمه، ونوح شيخ المرسلين، إنّما سمي نوحاً لنياحته، كما في «مجمع البحرين» و«البحار»[٢]، وإن اختلف في اسمه الحقيقيّ، أهو عبد الأعلى، أم عبد الغفار، فقد ناح خمسمائة عام.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٤٢ باب ٤٣ «نوح الجنّ عليه».

(٢) مجمع البحرين ١١٣:٢ «ناح»، بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ حديث ٣٨.

ونياح هاجر لعطش رضيعها، لذلك شاطت سبعاً بين المروتين، نادبة برفيع صوتها، مستغيثة برب إبراهيم.

وغير خفيّ أمر يعقوب ويوسف، وغيرهما من الأنبياء كداود، حتى قيل: إنّه إذا ناح اجتمعت الوحوش حوله.

وهكذا سائر المتديّنين، وغيرهم من العقلاء.

لا أظنّك يخفى عليك أمر العرب قبل الإسلام، وإليه الإشارة في النبويّ: «ثلاثة في أمّتي من خلق الجاهلية، وعدّ منها النياحة على الموتى»[1].

ففعل العقلاء ينفي القبح والشين، وفعل الأنبياء ونسائهم والأوصياء ونسائهم ـ حينما مرّ عليك بعضه ـ ينفي الحرمة والكراهة ويُثبت الرجحان، وإذا كان على الحسين تأكّد؛ للاستحباب، بل لا ينبغي الترك.

أمّا إذا أبيتَ إلّا التفرقة بين الصياح والنياح، وقلت: إنّه يحتاج إلى مدّ صوت أكثر، كما يفهمه كلام بعض أهل اللغة أيضاً، لا إشكال في جوازه، لما مرّ عليك من التصريح بالصياح والصراخ.

ولو وصلت النوبة إلى الأصل العملي، فأصالة البراءة من الحرمة محكمة، لأنّه من دوران الأمر بين الأقل والأكثر، لأنّ المتيقّن إباحة هذا المقدار من النياح ونشكّ في الزائد، أهو محرّم أم لا؟ الأصل عدم الحرمة، ولا دليل عليها بالخصوص، بل الدليل على العكس، كما عرفت.

ومنه تعرف فساد الفقرة الآتيةن وهي قوله:

---

(١) صحيح مسلم ٣: ٣٢١.

[الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة]

«(٨) ومنها: الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة» إلى آخره.

ويعجبك هذا البرهان على تحريم الصياح، كون الصوت منكراً، وكأنّه يجعل مناط الحلّ رقّة الصوت وحسنه، ومناط الحرمة كون الصوت منكراً.

والالتزام بهذا اللازم الباطل عقلاً ونقلاً، يقتضي تحريم قراءة القرآن والأذكار والأذان والتلبية بأصوات منكرة، وإباحة الأغاني وألحان القيّان لهذا البرهان الاختراعي، فإنّ اختراع المرأ تأريخ حياته وتخليد ذكره، فقد تسمع لهذا الصوت دوياً هائلاً ورنيناً مزعجاً في أذن الحق وسمع الحقيقة.

أفهل بقي في كنانته سهماً لم يرمِ به التذكار؟

أم بقيت في جلده شعرة لم تبغض ذلك الشعار؟

نعم، بقيت في مكتبته التي ذاكرها سيبويه وخطيبها الأخفش ومستمعها ابن جنّي.

يا هذا، من أنبئك أنّ مدّ الصوت مذموم؟!

أما علمت أنّ أحد أولاد يعقوب جهوريّاً ويمدح بذاك؟ أما سمعت أنّ العباس بن عبد المطلب صيّتاً ويمتاز به؟

أليس هو الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينادي المهزومين يوم حنين، فنادى: يا أهل سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة.

ألم يخطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير خطبة، أسمع فيها أكثر من عشرة آلاف، فأسمع أقصاهم كما أسمع أدناهم؟!

ففي المحن والفتن ٨ البحار في حديثه إلى أن قال: «ودعا علياً عليه السلام، ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي عليه السلام اليسرى بيده اليمنى، ورفع صوته بالولاء لعلي على الناس أجمعين»، والحديث مروي في نسخة طبعة الكمبانية ص ٢٤.

يُناديهم يومَ الغدير نبيّهم بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا[(١)]

قول حسّان.

والنداء: مدّ الصوت.

أما نادى الحسين عليه السلام برفيع صوته: «عليكن منّي السلام يا بنات رسول»؟!

أما علمت أنّ مدّ الصوت مرغوب فيه في كثير من المقامات كالتلبية، نصاً وفتوىً؟!

ففي الجواهر في كتاب الحجّ، في شرح قول المحقّق: (وأمّا المندوبات فرفع الصوت بالتلبية للرجال):

---

(١) بحار الأنوار ٣٧: ١١٢ حديث ٤.

«كما هو المشهور، بل في «كشف اللثام» الإجماع في الظاهر[١].

ولعلّه كذلك، إذ ما في التهذيب[٢] من أنّه واجب مع القدرة، والإمكان محمول على شدة الندب، خصوصاً قوله في محكي «الخلاف»[٣]: لم أجد من ذكره فرضاً، لكن عن «المصباح»[٤] ومختصره: وفي أصحابنا من قال: الإجهار فرض إلّا أنّا لم نتحقّقه وإن مال إليه بعض متأخّري المتأخّرين، للأمر به في النصوص المحمولة على الندب بقرينة الشهرة» إلى أن قال:

«وفي مرفوع حريز عن الصادقين عليهما السلام: «لما أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله، أتاه جبريل فقال له: مر أصحابك بالعجّ والثجّ».

العجّ: رفع الصوت بالتلبية، والثجّ: نحر البدن.

وقال جابر: ما بلغنا الروحاء حتّى بُحت أصواتنا[٥] إلى آخره.

وكالأذان، فإنّ «المؤذّن يغفر له مدّ صوته»، وتشهد له الروايات المرويّة في الوسائل[٦] وغيرها.

أليس بلال أحب المؤذّنين لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ وما ذاك إلّا لصوته.

---

(١) كشف اللثام ١: ٢١٨.

(٢) التهذيب.

(٣) الخلاف ٢: ١٩١.

(٤) المصباح: ٩٨.

(٥) وسائل الشيعة ١٢: ٣٧٨ حديث ١٦٥٥٨، عن الكافي ٤: ٣٣٦ حديث ٥، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٠ حديث ٩٦٠.

(٦) وسائل الشيعة ٥: ٣٧٤ حديث ٦٢٧، عن الكافي ٣: ٣٠٧ حديث ٢٨، والتهذيب ٢: ٥٢ حديث ١٧٥.

لعلك تريد الصياح الخاص، بمعنى رفع الصوت في مصائب المعصومين: «فعلى الأطائب من أهل بيت محمّد وعليّ فليبك الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدموع، وليصرخ الصارخون، ويضجّ الضاجّون، ويعجّ العاجون».

دعاء الندبة الشهيرة، ندبة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، الذي رواه محمّد باقر بن محمد تقي المجلسيّ في «زاد المعاد» عن الصادق عليه السلام، وحكم بصحّة سنده وإن كان هو قد أرسله(١).

وغير خفيّ على أفراد العوام، فضلاً عن أهل العلم، ما هو المشهور نقله في كتب الأحاديث المتعرّضة لرجوع الإمام زين العابدين عليه السلام مع عمّامته وأخواته إلى المدينة، وأرسل أمامه حذلم بن بشير ينعي الحسين، إلى أن قال: فارتجت المدينة، وارتفع الصراخ والعويل في جميع سكك المدينة ودورها، وعمرو بن سعيد بن العاص لما سمع الضجة في المدينة أنشأ:

عجّت نساء بني عليّ عجّة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب(٢)

تلك الأُمور الضروريّة المسلّمة عند جميع المسلمين، قد جعلها إحدى وسائل نقده الشنيع، لا يقبلها كلّ من ولد على الفطرة، أو ذرّ في قلبه ذرّة من الإيمان، ورزق حبّ النبيّ وآله.

---

(١) زاد المعاد: ٧٥.

(٢) العوالم «الإمام الحسين عليه السلام» ١٧: ٣٨٩، عن الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٧٨، وبحار الأنوار ٤٥: ١٢١.

أيخفى صياح المسلمين ونياحهم على رسولهم ونبيّهم صلوات الله عليه وآله، حتّى عاد مثلاً يُضرب عند هجوم المصائب العظام، فيقال: كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وأين غاب علم الصحابة وذهبت ديانتهم، حتى ارتكبوا ما ارتكبوا من الصياح والزعيق، الذي علم فيه عالم الشام الجديد؟!

أما قرأ كبار الصحابة ـ كعلي عليه السلام وسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وباقي الصحابة الكرام ـ رسالة «التنزيه» أم قرأوها وما عملوا بها؟!

ما أدري ما الذي منع الحسن والحسين وبنات أمير المؤمنين عليهم السلام من العمل بهذه الرسالة؟! على ما في ٩ البحار ص٧٦، حين ساق حديث وفاة أمير المؤمنين عليه السلام إلى قوله:

«فصرخت زينب وأم كلثوم وباقي نسائه، وقد شقّوا الجيوب ولطموا الخدود، وارتفعت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والصيحة في الكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وفي الملهوف: «لمّا نظر النسوة إلى القتلى، صحن وضربن وجوههن»[2].

أما قرأ علي بن الحسين عليه السلام تلك الرسالة فيمنعهنّ من الصياح؟!

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٣.

(٢) اللهوف (الملهوف): ١٨٠.

وكذلك حديث فتصارخت العيال والأطفال[١].

وحديث الواعية الذي رواه عدّة، في قول الحسين عليه السلام للمشرقي ـ وهو عمرو بن قيس وابن عمّه، حين دعاهما لنصرته واعتلّا عليه بالشغل ـ: «تنحيا عنّا، لا تسمعا لنا واعية، ولا تريا لنا سواداً، فإنّ من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبنا أكبّه الله على منخريه في النار»[٢].

ومثله في حديث عبيد الله بن الحرّ الجعفي، وحديث هرثمة[٣] الآتي.

والواعيه: هي الصراخ، كما في «القاموس»[٤].

ويمكن الاستناد فيه إلى استحباب النياحة مع النائحين على الأئمة وكراهة تركه، كما هو واضح.

وكيف كان، ففي ٦ البحار طبعة طهران ص١٠٢٦، بعد أن ساق حديث وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، إلى قوله: فانسلّ علي من تحت ثيابه وقال: أعظم الله اُجوركم في نبيّكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالضجّة والبكاء[٥].

وفي ١٠ البحار ص٣٥ في حديث طويل عن ورقة بن عبد الله الأزدي عن فضّة، إلى أن قال: فقالت: أعلم أنّه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله افتجع له الصغير والكبير، وكثر عليه البكاء، وقلّ العزاء، وعظم رزؤه على الأقرباء

---

(١) اللهوف (الملهوف): ١٧١.

(٢) العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) ١٧: ٤١٣ حديث ٣، عن ثواب الأعمال: ٣٠٨ حديث ١، ورجال الكشيّ: ١١٣ حديث ١٨١، وبحار الأنوار ٤٥: ٨٤ حديث ١٢.

(٣) العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) ١٧: ٦١٣ و ١٦٤.

(٤) القاموس المحيط ٤: ٤٦٣ «وعا».

(٥) بحار الأنوار ٢٢: ٥٢٢.

والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، ولم تلق إلّا كلّ باك وباكية ونادب ونادية.

ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأحباب، أشدّ حزناً وأعظم بلاءً، من مولاتي فاطمة الزهراء، وكان حزنها يتجدّد كلّ يوم، وبكاؤها يشتدّ، فجعلت سبعة أيام لا يهدأ لها أنين ولا يسكن منها الحنين، وكلّ يوم جاء كان بكاؤها أكثر من اليوم الأوّل.

فلمّا كان في اليوم الثامن، أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً، إذ خرجت وصرخت، فكأنّها من فم رسول الله صلى الله عليه وآله تنطق.

فتبادر النسوان، وخرجت الولائد والولدان، وضجّ الناس بالبكاء من كلّ مكان، وأُطفئت المصابيح لكيلا تتبيّن صفحات النساء، وخيّل للنسوان أنّ رسول الله قد قام من قبره»[1] والحديث طويل، ربّما تسمع بعضه في موضعه.

وفي البحار أيضاً ج ١٠ ص٨٥ في رواية عن روضة الواعظين، في وفاة الزهراء عليها السلام، إلى أن قال: ثمّ توفّيت، فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخوا صرخة واحدة، وكادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن[2].

وعلى كلّ حال، فالمسألة من البديهيات السائغة، بل الراجحة المؤكدة؛ لما تلوناه عليك في هذه المسألة وسابقتها، فإنّهما من وادٍ واحدٍ، وترتضعان من ثدي واحدة.

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

[ما يوجب الهتك والشنعة]

وليكثر تعجّبك أيّها القارئ الكريم من قوله:

«(٩) ومنها: ما يوجب الهتك والشنعة، ممّا لا يدخل تحت الحصر»[١] إلى آخره.

لم نعرف ما الذي يريد من الهتك والشنعة؟ وأيّ شيء ممّا لا يدخل تحت الحصر؟

فإن أراد أعمال الشبيه، فهي محصورة في هذه الأشياء التي عدّها وسيعدّها؛ لأنّه تتّبع المآتم الحسينيّة والمواكب العزائيّة، تتّبع العدوّ الألدّ لعثرات عدوّه الغافل عن سعيه، ولم يغادر مثلبة بزعمه حتّى الرمي بالكذب والالحان وإن كان من الافك والبهتان.

اللهم إلّا أن يريد ضمّ الأعمال الدينيّة أفعال العبادات وباقي الديانات، فيصدق عدم دخولها تحت الحصر.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٨ .

وإلّا فليبيّن لمقلّديه معنى هذه الدرندبيّة، وأن يوقفهم على مغزاها، ويوضح لهم ايعازاتها، فإنّ جلّهم لم يعرف الألغاز والمعميات، ولم تخطّ على دائرة فكره بيكرة الدرندبيات فعليه إيضاح معناها، وإبداء مغزاها، وذكر شيء من تلك الأشياء، ثمّ الاستدلال على حرمتها حتّى تطبّق تلك الجزئيات على تلك الكليّة، ثمّ لننظر أصدقت أم كنت..

بربك أيّها القارئ الكريم، هل تجد نفسك الشاعرة، وفكرتك الثاقبة؟ أم هل يقبل حدسك السريع الوقّاد، وذوقك المستقيم، وذهنك الحرّ السليم، أن التحرّز يجب عليك في عامة أفعالك وكافّة أقوالك؟ لقول قائل: في أنّ كثيراً من أعمالك هتك وشنعة، فتترك الصلاة والصيام والحجّ، فلا تصلّي ولا تصوم، ولا ولا، تحرزاً من الهتك والشنعة المدعى، مع عدم الوقوف على تفصيل ما يقتضي الهتك، وأيّ شيء هو.

ومع عدم شعورك، أنّ مصدر القول المبهم على أيّ جهة ورد؟ أعلى التحامل؟ أم على السخط والغضب؟ أم على جهة النصح والشفقة؟

على أنّك تقطع بعدم النصيحة، لأنّ الناصح مَن يعلم من أين يأتي، وليس الفاضح بالناصح، والمصلح مَن ولج البيت من بابه.

فكيف إذا حصل لك العلم الوجداني، والقطع الشهودي، والاطّلاع الحضوري، مع الإحاطة التفصيليّة بحسن أفعالك وأقوالك، وأنّ جميع السجايا الحميدة والمزايا الفاضلة حاضرة لديك، معلومة بالتفصيل، راجحة بحسب الدليل، سالكاً بها على نهج مسالك المتديّنين، سائراً على جادة الحقّ الواضحة، والطريقة المعتدلة المستقيمة. فكيف تعوّل على حدس مخمّن أو خيال متهجّس.

فهذه التسعة هي أُمّهات مطالبه، ومثار الفتن والمشاغبة بين شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، حتى أقامهم أمام الأُمم يتكافحون بالآراء ويتصاولون بالأفواه، ويتجاولون بالصحف والمناشير، ويتقاذفون بالشتم والسباب.

لعمري، لقد بذر بينهم حبّ العداوة والبغضاء، وغرس شجرة الحقد، وبذر حبّ المنافسة في نيل الأغراض الشخصيّة، الذي التقطه بمنقار الطمع بعض منحرفي العقيدة، ومن زاغ عن سنن الرشاد، حتى قام بالتعصّب الوحشي للأشخاص ضدّ نزاهة الرسل وعصمة الأنبياء والأوصياء ويمسّ كرامة الأولياء بما سيحرّر قريباً، فيظهر بكلّ ويل، وينشر بمخازيهم وفضائحهم دون الأنبياء والأوصياء، فإنّهم أكرم على الله أن يلصق بهم القبيح.

ولئن نشرت تلك الأقاويل، أنّها المصيبة على المسلمين، وكلّ مَن سلك طريقاً يسير على أثره.

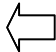
فهذه الأُمور التسعة هي للطاعن محور مطاعنه على أعمال الشيعة الفاضلة، ومركز ملامته لأهل الفضيلة في عدم الردع عن تلك الصفات، التي هي مزايا حميدة.

قد عرفت بما اتضح لك من الحقّ، وتجلّى لك من الحقيقة، أنّها مجرّد خيالات وأوهام لا حقيقة لها، وسنطلع القارئ المتنوّر على ما دار بينه وبين معاصره ونبدي نظريّتنا بحسب الوسع والطاقة، ونسأل الله الهداية لنا وله ولعموم المسلمين، فليس من السهل الهيّن وقوفنا أمام أمثاله.

واخـــوان اتخـــذتهم دروعـــاً   فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي
أردتهـــم ســـهاماً صـــائبات   فكانوهـا ولكـن فـي فـؤادي[(١)]

---

(١) من مقطوعة شعريّة لابن الرومي، علي بن عباس بن جريج أو جرجيس (ت ٢٨٣ هـ)، وبعدها:



[النهي عن قراءة الأحاديث المكذوبة]

ص٥ في تألّمه من تعريض معاصره به وبرفيقه البصري، قال: «عرّض بنا، لنهينا عن قراءة الأحاديث المكذوبة ومن هذا الفعل الشائن للمذهب ـ إلى قوله ـ : حتى أدّى الحال إلى أن صارت صورهم الفوتغرافيّة تُعرض على المسارح، وعلى صفحات الجرائد»[1] إلى آخره.

وقد تقدّم جوابنا عن هذا الفصل الطويل، الذي لا طائل تحته، في مقدّمة رسالتنا، ونزيد هنا بأنّ استدلاله على حرمة التذكار والمواكب الحسينيّة بما يصوّره الفوتغراف، وجعل مثل هذا برهاناً، يقتضي حرمة قراءة القرآن، لأنّه يصوّره الفتغراف الصدوق.

وحرمة الحج والزيارة بما يصوّره الفوتغراف الرسم التصويري؛ لأنّها تصوّر آلة الرسم حجاج بيت الله الحرام حفاة مكشفي الرؤوس، لابسي

⇦ وقـالوا قـد صـفت منّـا قلـوب ... لقد صدقوا ولكـن عـن ودادي
وقـالوا قـد سـعينا كـلّ سـعي ... لقد صدقوا ولكـن فـي فسـادي

انظر: نزهة الجليس، للسيد عباس الموسوي المكي (ت ١١٨٠ هـ)، المقدّمة.

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٩ .

الأكفان ثوبي الإحرام، يهرولون مشائخاً وكهولاً وشباباً، ويلفظون الحصا، فتعرض تلك الصور على المسارح وصفحات الجرائد، وأنّ الالتزام بهذا يوجب سقوط كليّة الأديان.

وآخر كلامه أعجب من أوّله، حيث قال في آخر هذا الفصل ص٦: «ولم ينقل أنّهم رخّصوا أحداً من شيعتهم في ذلك، ولا أمروهم به».[(١)] إلى آخره.

وهذا الكلام الشعريّ والخطاب السفسطائي مردود عليه، وكان الواجب على من له أدنى دربة فنيّة وخبرة علميّة أن يقول: إنّهم ما منعوا أحداً من شيعتهم ولا نهوهم عن ذلك.

من أين علم أنّهم ما رخّصوا؟! وكيف تكون الرخصة؟! ﴿**قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا**﴾[(٢)] و ﴿**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ**﴾[(٣)].

أليس قد ورد عنهم سلام الله عليهم، كما في المجالس لابن الشيخ، بسنده إلى الحسين بن أبي غندر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الأشياء كلّها مطلقة ما لم يرد عليك أمر ونهي»[(٤)].

و«كلّ شيء فيه حلال وحرام، فهو لك حلال أبداً، ما لم تعرف الحرام منه فتدعه»[(٥)].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٢٠ .

(٢) الأنعام (٦) : ١٤٥ .

(٣) النساء (٤) : ٢٤ .

(٤) الأمالي للطوسي ٢: ٢٩٦ .

(٥) وسائل الشيعة ١٧: ٨٧ حديث ٢٢٠٥٠، عن من لا يحضره الفقيه ٣: ٢١٦ حديث ١٠٠٢، والتهذيب ٩: ٧٩ حديث ٣٣٧، والكافي ٥: ٣١٣ حديث ٣٩ .

والأخبار بهذا المضمون كثيرة، والإجماع من المجتهدين وغيرهم، والسيرة القطعيّة من عدم التوقّف ممّا لم يرد فيه نصّ من صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

مضافاً أنّ الالتزام بمثل هذا الاحتياط يوجب إفحام الأنبياء، مؤيداً بالمستفيض من أنّ الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه، والإباحة من رخص الله قطعاً، فإنّ الرخصة لغة التخفيف والتسهيل، ورفع التكليف من أظهر أفراد التسهيل.

قال في «القاموس»: «الرخصة، بضمّة أو بضمّتين: ترخيص الله للعبد فيما يخفّفه عليه»[١].

وفي «المصباح»: «الرخصة: التسهيل في الأمر، يقال: رخّص الشرع لنا في كذا، ترخيصاً وإرخاصاً إذا يسّره وسهّله»[٢].

وغير خفيّ أنّ رفع الكلفة بمثل ذلك الاحتياط الشاقّ من أعظم التخفيف والتسهيل.

ويؤيّده ما في «مجمع البحرين»: «تكرّر في الحديث الرخصة، وهي كغرفة: التسهيل في الأمر ورفع التشديد فيه»[٣] انتهى.

وهو الموافق لسماحة الملّة وسهولة الشريعة، مضافاً إلى أنّه لم يعهد، بل لم يظهر من عاقل، ولم يتفوّه فقيه، بأنّ المباح يحتاج إلى نصّ خاصّ بعينه، ولو كان ذلك لا نتفى المباح في العالم.

---

(١) القاموس المحيط ٢: ٤٦٧ «رخص».

(٢) المصباح المنير: ٢٢٠ «رخص».

(٣) مجمع البحرين .

على أنّ شبهة الكعبي أوجه من هذه الشبهة، وأقرب إلى المعقوليّة وإن اشتركتا في الفساد.

[التقيّة زمن العباسيّين]

أمّا قوله بارتفاع التقيّة في أوائل بني العباس، ما أدري ماذا أُعدّ هذه؟! أُعدّها من هفوات القلم؟ أو من الذهول الفكريّ؟ أم من عدم الفحص؟ أم شدّة التحامل؟

أيّ ذلك كان، فهل عصر أوائل بني العباس غير المنصور وأولاده؟! يعني عصر الإمامين الصادق والكاظم، وهل يخفى على العوام، فضلاً عن طلاب العلوم، اشتداد التقيّة في عصر الإمامين عليهما السلام ؟!

ومن له أدنى إلمام بالسير والتواريخ، وله أقلّ معرفة بالأحاديث والأخبار، يعلم أنّ التقيّة في ذلك العصر في غاية الشدّة. وكيف؟! وفعل المنصور بالعلويّين لا يختلف فيه اثنان.

وما فعله بهم من القتل والحبس والتشريد، ظاهر لا سترة عليه. وما زال يترقّب الإمام الصادق منه القتل، والمنصور يتربّص به مواقع الإمكان، حتّى قتله بالسمّ، على ما نطقت به الأخبار.

هب أنّ الأمر لم يتّضح لك تماماً، ولكن هلمّ بنا لننظر كم قد همّ بقتله، وهل التقيّة غير ذلك؟!

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين ص١٢٣ بإسناده إلى يونس بن يعقوب، قال: حدّثنا جعفر بن محمد عليهما السلام، من فيه إلى اُذني، قال: «لمّا قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى، وأخرجنا من المدينة، ولم يترك فيها محتلم حتّى قدمنا الكوفة، فمكثنا شهراً نتوقّع فيها القتل، ثمّ خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلويّة؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى.

قال: فدخلنا عليه أنا وحسن بن يزيد، فلمّا صرتُ بين يديه قال: أنت الذي تعلم الغيب؟

قلت: لا يعلم الغيب إلّا الله.

قال: أنت الذي إليك هذا الخراج؟

قلت: إليك يُجبى يا أمير المؤمنين.

قال: أتدرون لم دعوتكم؟

قلت: لا.

قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأعقر نخلكم، وأغور قليبكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز والعراق، فإنّهم لكم مفسدة، ثمّ ساق اعتذار الإمام عليه السلام عند المنصور[(١)].

وفي رواية: لأُنكل بكم.

(١) مقاتل الطالبين: ٣١٨.

وفي أمالي الشيخ الطوسي ص٢٩٩ بإسناده إلى الحسين بن الفضل بن الربيع، حاجب المنصور، قال: حدّثني أبي، عن جدّي الربيع، قال: دعاني المنصور يوماً فقال: يا ربيع أحضر لي جعفر بن محمّد الساعة، والله لاقتلنّه، فوجهت إليه، فلمّا وافى قلت: يابن رسول الله إن كان لك وصيّة أو عهد إلى أحدٍ ففعل.

قال: فاستأذن لي عليه، فدخلت على المنصور، فاعلمته موضعه فقال: أدخله، فلما وقعت عين جعفر عليه السلام على المنصور رأيته يحرّك شفتيه بشيء، فلمّا سلّم على المنصور، نهض إليه فاعتنقه وأجلسه إلى جنبه، فقال: ارفع حوائجك، فاخرج رقاعاً لأقوام، وسأل في آخرين فقضيت حوائجه.

فقال المنصور: ارفع حوائجك في نفسك.

فقال جعفر عليه السلام: لا تدعوني حتى آتيك.

فقال المنصور: ما إلى ذلك من سبيل، وأنت تزعم للناس يا أبا عبد الله، إنّك تعلم الغيب.

فقال جعفر عليه السلام: من أخبرك بهذا؟ فأومأ المنصور إلى شيخ قاعد.

فقال جعفر عليه السلام للشيخ: أنت سمعتني، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها استحلاف الإمام للشيخ وهلاك الشيخ في وقته إلى أن قال:

قال الربيع: فشيّعت جعفراً عليه السلام وقلت: يابن رسول الله إنّ المنصور قد همّ بأمر عظيم، فلمّا وقعت عينه عليك وعينك عليه زال ذلك، فذكر له أنّه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأخبره أنّه خائف منه، فعلّمه النبيّ صلى الله عليه وآله دعاء،

وتمام القصّة في الكتاب المذكور[١].

وفي ج١١ من البحار ص١٦٢ عن محمّد بن الربيع الحاجب، والقصة فيها طول إلى أن قال: فلمّا نظر إليه المنصور قال: يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت ـ يعني بني العباس ـ وما يزيدك الله بذلك إلّا شدّة وحسداً ونكداً، ما تبلغ به ما تقدره.

فقال: «والله يا أمير ما فعلت»، إلى أن قال: فقال: «صيّرني في بعض حبوسك حتّى يأتيني الموت، فهو منّي قريب».

فقال: لا، ولا كرامة لك، ثمّ أطرق وضرب يده إلى السيف فسلّ منه مقدار شبر، وأخذ بمقبضه، فقلت: إنّا لله ذهب والله الرجل، ثمّ ردّ السيف وقال: يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب، أن تنطق بالباطل وتشقّ عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء؟!

فقال: «لا والله يا أمير ما فعلت، ولا هذه كتبي ولا خطّي ولا خاتمي».

فانتضى من السيف ذراعاً فقلت: إنّا لله مضى الرجل، إلى قوله: فأقبل يعاتبه وجعفر عليه السلام يعتذر، ثمّ انتضى السيف كلّه وأطرق. والحديث طويل راجعه[٢].

وفيه ص١٥٨ عن كشف الغمة في رواية عبد الله بن الفضل بن الربيع إلى قوله: فلمّا دخل جعفر عليه السلام عليه وعده وأغلظ وقال: أي عدوّ الله، اتخذك

---

(١) الأمالي للشيخ ١: ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٧: ١٩٦ حديث ٤٠.

أهل العراق إماماً، يبعثون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغي الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك. الحديث(١).

وخبر المخلّاة عن قيس بن الربيع ص١٦٦ ج١١ من البحار إلى قوله: فلمّا دخلوا أطلع المنصور في المخلاة فإذا راسا ناقتين، فقال المنصور: وأيّ شيء هذا؟ قال: يا سيّدي ما كان بأسرع من أن دخلت البيت الذي فيه جعفر ابن محمد، فدار رأسي ولم أنظر بين يدي، فرأيت شخصين قائمين خيّل لي أنّهما جعفر بن محمّد وابنه موسى، فأخذت رأسيهما.

فقال المنصور: أكتم عليّ هذا(٢)، إلى آخر الحديث.

قل لي بربك: كيف تكون التقيّة؟ وأيّ تقيّة أعظم من تقيّة تؤدّي إلى إخفاء الوصيّ، فإن الإمام الصادق عليه السلام لخوفه على الإمام موسى أوصى إلى جماعة معه أحدهم المنصور، وقد قال المنصور: انظروا إلى من وصّى إليه جعفر عليه السلام فاقتلوه، فقالوا: قد أوصى إلى جماعة أنت أحدهم، فكفّ المنصور.

وأمثال هذه الوقائع المشهورة لا نطيل بذكرها، والعارف المتبحّر إذا تتبع أدّلة الأحكام بشرط أن يكون من أهل الفنّ والصناعة الفقهيّة، يحصل له القطع باشتداد التقيّة في ذلك العصر.

---

(١) بحار الأنوار ٤٧: ١٨٢ حديث ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٧: ٢٠٥ حديث ٤٦ .

ولا يخفى اشتداد الأمر في عصر المهدي محمّد بن المنصور، والهادي موسى بن المهدي، والضغط فيه على الشيعة أمر عظيم، حتّى عدّت في عصر المهدي فرق الشيعة من الملاحدة والزنادقة، ألّفوا الكتب في رمي كبار الشعية بالزندقة، كالزراريّة واليعفوريّة والجواليقيّة الشيطانيّة والمفضليّة والعماريّة.

وأيّ تقيّة أعظم من الرمي بالزندقة والكفر والإلحاد، فألفت الكتب للسلاطين تقرباً إليهم بأمثال هذه الأُمور؛ لما يرون من رغبتهم فيه. والغرض الأقصى لهم محو هذه الطائفة بعلّة الإلحاد، حتى ورد الأمر من الإمام عليه السلام بنهي هشام بن الحكم عن الكلام، لئلّا يُعرف ويُشهر أصحابه، فيؤخذ برقابهم، رواه يونس بن عبد الرحمن كما في «رجال الكشي»[1].

بل كان الرجل يودّ أن يرمى بالزندقة، ولا يرمى بالتشيّع.

بل في ج١١ من البحار ص٢٧٧ نقلاً عن «كشف الغمّة»، عن الفضل بن الربيع: أنّ المهدي حبس الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، إلى تمام الحديث، روي أنّه رأى أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فوعّظه ووبّخه، فأفرج عن الإمام موسى[2].

وفي عصر الهادي كان الأمر أشدّ، حتى آلى الأمر أن يستعمل على المدينة، من هو شديد النصب والعداوة لبني عليّ وشيعتهم، حتى استعمل عليها رجلاً من آل عمر بن الخطاب، شديد العداوة لأهل البيت اسمه عبد العزيز بن عبد الله، فحمل على الطالبيّين وأساء إليهم وأفرط في التحامل

(١) رجال الكشيّ: ٤١٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ٢٢٩ حديث ٣٢.

عليهم، وكانوا يعرضون في المقصورة في كلّ يوم، فكان قصارى أحدهم أن يغدوا ويتوضّأ للصلاة ويروح إلى المسجد فلمّا صلّوا حبسهم. ملخص القصّة اقتضبناه من مقاتل الطالبين لأبي الفرج[1].

والمقصود أنّ من كان هذا حالهم، مع ما هم عليه من التستّر وإخفاء أمرهم، كيف لا يتّقي عليهم إمامهم في بقيّة المسائل الراجحة؟! بل هو سلام الله عليه في غاية الخوف من السلاطين.

ففي ج١١ من البحار ص٢٧٧ خبر فيه طول متناً وسنداً، ينهيه إلى عبد الله النهشلي، ولقوله: لما قتل الحسين بن علي صاحب فخ، وتفرّق الناس عنه، وحمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدي، إلى أن قال:

ثمّ أمر برجل من الأسرى فوبّخه ثمّ قتله، ثمّ صنع ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخذ من الطالبيّين وجعل ينال منهم، إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام فنال منه وقال: والله ما خرج حسين إلّا عن أمره ولا اتّبع إلّا محبّته؛ لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه.

فقال له يعقوب بن إبراهيم القاضي، وكان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين، أقول أم أسكت؟

فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور، بما كان فيه جعفر من الفضل المبرّز على أهل

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٤٩.

بيته في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفّاح فيه من تقريضه وتفضيله، لنبشتُ قبره وأحرقته بالنار إحراقاً.

إلى أن قال: ولم يزل يرفق به حتّى سكن غضبه.

إلى قوله: فكتب عليّ بن يقطين بالخبر إلى أبي الحسن موسى بن جعفر بصورة الأمر، فورد الكتاب، فلمّا أصبح أحضر أهل بيته وشيعته وأطلعهم على ما ورد إليه من الخبر، فقال لهم: ماتشيرون عليّ في هذا؟

فقالوا: نشير عليك ـ أصلحك الله و علينا معك ـ أن تباعد شخصك عن هذا الجبّار، وتغيّب شخصك دونه، فإنّه لا يؤمن شرّه وعادته وغشمه، سيّما وقد توعّدك وإيانا.

إلى قوله: فأقبل على مَن حضره من مواليه وأهل بيته فقال: ليفرغ روعكم، أنّه لا يرد أوّل كتاب من العراق إلّا بموت موسى بن المهدي وهلاكه.

فقالوا: وما ذاك أصلحك الله؟

فقال: قد ـ وحرمة هذا القبر ـ مات في يومه هذا، والله إنّه لحقّ مثلما أنّكم تنطقون. إلى آخر الحديث المتمّم بقوله: فتفرّق القوم، وما اجتمعوا إلّا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى بن المهدي والبيعة لهارون الرشيد[١].

ورواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص٢٦٨ بأخصر من هذا، وتفاوت يسير، فإنّه يذكر هلاكه بدعاء الإمام[٢].

والصدوق يذكر أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله وشكى إليه[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٤٨: ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) الأمالي للشيخ ١: ٣٢٢.

(٣) الأمالي: ٢٤٨.

ولا منافاة بين دعائه عليه السلام، ورؤية النبي صلى الله عليه وآله.

وإنكار أمثال هذه والأُمور المتقدّمة التي نقل جملة منها في الكشيّ وغيره من الثقات، مكابرة وعناد، سيّما مع ملاحظة قتل المعلّى بن خنيس الذي قتل بسبب التشيّع، ولأنّه لم يدلّ على الشيعة. رواه الشيخ والكشيّ وغيرهما، والقصة مشهورة[١].

وعصر الرشيد الذي بلغت فيه التقية الغاية القصوى، ولا تخفى حالة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، الذي هو زعيم الشيعة في عصره، وما قاساه من السجون في السنين التي أقلّها الأربع، وقتله بالسمّ متواتر.

وأمر ما جرى على العلويّين من القتل بأنواعه:

من البناء بالأساطين مرّة.

وضرب الأعناق أُخرى، كقصة حميد بن قحطبة الطوسي، أحد قوّاده، وقتله في ليلة واحدة ستّين نفساً من ولد عليّ وفاطمة.

وطوراً هدم الجدران عليهم، حتّى تطايروا في شرق الأرض وغربها خوفاً منه، واعتصموا بإخفاء أحسابهم وأنسابهم حذراً من عادتيه.

والرشيد هو الذي قطع السدرة التي عند قبر الحسين عليه السلام، الوارد فيها عن النبي صلى الله عليه وآله «اللهم العن قاطع السدرة»، وقد رواها الشيخ في «الأمالي» عن ابن حشيش، عن يحيى الرازي[٢].

وفي أيامه كُرب قبر الحسين عليه السلام، كربه موسى بن عيسى[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٤٧: ١٧٧ حديث ٢٤، أمالي الشيخ ١: ٣١٢، رجال الكشيّ: ٣١٢.

(٢) الأمالي للشيخ ١: ٢١١.

(٣) الكامل في التأريخ ٧: ٥٥.

وقد روى الشيخ في «الأمالي» خبر أبي بكر بن عياش ـ وهو شعبة المشهور الذي يروي قراءة عاصم عن يحيى الحماني ـ في دخوله على موسى ابن عيسى ووعظه إياه، وحكاية المنام الذي رآه الشيخ، وماجرى على الشيخ والحماني من الإهانة العظيمة، والشتم والضرب والسحب في الأرض، كلّ ذلك بأمر موسى.

ولولا طول القصة لنقلتها هنا، لما فيها من الفائدة، ومن أرادها فليطلبها من الكتاب المذكور ص٢٠٣ [١].

وحكى أخباراً كثيرة تدلّ على أمر عظيم، من عداوة العباسيّين للعلويّين، خصوصاً الأئمة عليهم السلام، كحديث التربة[٢] وغيره.

وبالجملة، فالأمر في عصر الرشيد لعنه الله في غاية الظهور.

أمّا عصر المأمون، فهو وإن كان ما بداه من السياسة والميل الظاهري، مايوهم من لا فطنة له، من أنّه جرى على غير ما جرى عليه أسلافه، من انحرافهم عن العلويّين، وميله إليهم.

ولكنّ الفطن الخبير، إذا أمعن النظر وتتّبع موارد النقل وتدبّرها حقّ التدبّر، علم أنّ العصا من العصيّة، والحيّة لا تلد إلّا الحيّة. فالفاحص المتبحّر، والعارف المتيقّظ، يقطع أنّ له ميلاً ظاهرياً، وانحرافاً باطنياً، يظهر كثيراً بمظاهر الجبروتيّة، تدلّ على أنّه أشدّ العباسيّين للعلويّين عداوة، وأبغضهم للأئمّة.

---

(١) الأمالي للشيخ ١: ٣٤١.

(٢) الأمالي للشيخ ١: ٣٤٦.

فالبصير المتدبّر، والنيقد الناظر بعين خبرة واعتبار، وبصيرة واختبار، إذا كان له يسير إلمام بمعرفة سياسة الملوك، وأخلاقهم وعاداتهم، يعرف ذلك.

لكن المأمون في عصره، لم تساعده الظروف والأحوال على الفتك الجهريّ، فأبدله بالغيلة السريّة، مُظهراً الأُلفة التامة، والمحبّة الصادقة، ومبدياً المودّة المتأكّدة ظاهراً، والقلب يغلي غيظاً وغضباً، وعداوة وحقداً.

سبب التكتمّ بالعداوة، ومبادلتها بالأُلفة، أنّ عامّة قوّاده وأُمرائه، ومَن شيّد أركان دولته، وأقام دعام سلطنته، ووطّد له الملك ومهّد له الأُمور، هم رجال الشيعة، كأبي دلف العجلي، وطاهر بن الحسين الخزاعي، ونظرائهما.

ولمّا اضطره الأمر السياسي إلى تقرير قواعد ملكه، وتشييد بناء سلطنته، ومدّ نفوذه وسلطته في أرجاء المعمورة . وهو لا يتمّ ولا يستقيم إلّا بوحدة الكلمة، والأُلفة، والإنقياد ظاهراً، والخضوع الموقت سياسة لما يجذب إليه قلوب الشيعة.

أبدى ميلاً وتألّفاً، أبرزه بصورة الإخلاص والتقرّب الحقيقي للعلويّين، مبدياً صفحة وجهه عن ملامة اللائمين، لئلا يتجشّم خطة تضطره إلى الدفاع عن سلطانه، فأخذ يتفنّن في تلك السياسة العجيبة الشكل، الغريبة الطرز.

فتارة يظهر التشيّع، ويناضل عن أحقيّة علي عليه السلام بالخلافة من غيره.

وطوراً يحشد أهل الأهواء والآراء والملل والنحل؛ ليسقط الرضا عليه السلام ـ بزعمه ـ أمام الناظرين.

ويترقّى تارة بعقد ولاية العهد للرضا عليه السلام، ويقهره على القبول، ويخطب له على المنابر، ويضرب السكّة باسمه، ويأمر الشعراء بمدحه.

وهذا المكر والخديعة لا نظير لهما في سياسة العالم؛ لأنّ الرضا عليه السلام زعيم هذه الطائفة، ورئيسها الروحاني، المفترض الطاعة عندها، الواجب الاتّباع.

وبذلك يتوصّل إلى تسكين توثّبها، ورد بدارها، ويجذب بزمام طاعتها إليه، ويأمن من خلافها.

حتّى إذا اجتمعت عليه الكلمة، وتمّ له النفوذ والسيطرة، بما تمهّد له من الخلافة والسلطنة، التي كانت مهدّدة بخلاف الشيعة له، ومنازعته في الأمر.

فلمّا استراح، ووضع الثقل الموهن لكاهله عن عاتقه، دسّ السمَّ المتلف للرضا عليه السلام، كما هو متسالم عليه عند حملة العلم ونقلة الآثار.

وقد رواه الثقات، كأبي الفرج [١] والمفيد [٢] وغيرهما، وإن اختلفوا أنّه في رمان أم عنب، إلّا أنّ الاتّفاق واقع على أنّه قد سمّ الإمام الرضا، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله في عدّة روايات، كما في البحار وغيره: «يقتل بضعة منّي بسمّ جبّار، ويدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح، إلى جنب شرّ خلق الله»[٣] أو بما هو بهذا المضمون.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٥٧ .
(٢) الإرشاد ٢: ٢٧٠ .
(٣) بحار الأنوار ٤٨: ٣٢٣ .

وأخبر به الباقر والصادق والكاظم وباقي الأئمّة سلام الله عليهم، كما في الوسائل[١] وغيرها، بل الرضا نفسه، وقد أورد كثيراً منها في الوسائل وفي البحار.

فمنها: ما رواه في ج١٣ عن عيون الأخبار ص٥٤ عن الحسن بن الجهم في حديث، إلى أن قال: قال الحسن بن الجهم: فلمّا قام الرضا عليه السلام تبعته، فانصرف إلى منزله، فدخلتُ عليه وقلت: يابن رسول الله، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك.

فقال: «يابن الجهم، لا يغرنّك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع منّي، فإنّه سيقتلني بالسمّ، وهو ظالم لي»[٢] الحديث.

وحديث هرثمة بن أعين المشهور[٣]، وأمثالهما كثير.

وفي ج١٣ ص٥٢ أنّ الرضا عليه السلام سجن بسرخس، عن أبي الصلت الهروي قال: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها الرضا عليه السلام بسرخس، وقد قيّد، فاستأذنت عليه السجّان، فقال: لا سبيل لكم عليه[٤].

وروى فيه ص٢٤ عن عيون الأخبار عن الهرويّ، قصّة فيها طول، ملخّصها: أنّ الرضا عليه السلام يعقد مجالس الكلام، والناس يفتنون بعلمه، فأمر محمّد بن عمرو الطوسي ـ حاجب المأمون ـ فطرد الناس عن مجلسه، وأحضره، فلمّا نظر إليه زبره واستخفّ به.

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٥٣ ـ ٥٥٨ حديث ٦ و ١٠ و ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٩: ٢٨٤ حديث ٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٩: ٢٩٣ حديث ٨.

(٤) بحار الأنوار ٤٩: ٩١ حديث ٥.

وساق الحديث إلى دعاء الرضا عليه السلام عليهم، وما أصاب المأمون وأُمرائه بسبب دعوة الرضا عليه السلام، من تواثب الغوغاء، وهياج العامّة، بقيادة البغية سمانة، والطابوقة التي أصابت المأمون فشجّته، وقول القائل لها وقد عرفه: هذا أمير المؤمنين، وقولها له: اُسكت، ليس هذا يوم التمييز والمحاباة، ولا يوم إنزال الناس على طبقاتهم، فلو كان هذا أمير المؤمنين لما سلّط ذكور الفجّار على فروج الأبكار(١).

وفي حديث اللوح للمنصف كفاية، وهو الذي أهداه الله تعالى لفاطمة عليها السلام عند ولادتها للحسين، وفيه اسم أبيها وبعلها وأسماء الأئمة من ولدها، وقد رواه الثقات عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الأمالي ص٨٣ وفيه جاء: «وعليّ الرضا عليه السلام يقتله عفريت كافر، ويدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي»(٢).

هذا وقد اشتهر اعتذاره إلى بني العباس، حين التاثوا عليه وخلعوه، وبايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي، وحيث كانت أفكارهم محدودة، أخبرهم أنّ عليّاً حين ملك أحسن إلى بني العباس وولّاهم، وأنا أردتُ أن اُكافيه؛ لأنّي لم أرى أحداً من آبائي كافأه على صنيعه، وأظهر زينب بنت سليمان المعظّمة عندهم على صورة الأمر(٣).

---

(١) بحار الأنوار ٤٩: ٨٢ ـ ٨٤ حديث ٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ٣٢٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٩: ١٤٣ حديث ١٩.

دع عنك هذا، وانظر ما لقيه محمّد بن أبي عمير منه، وهو من ثقات الشيعة، وأحد أصحاب الإجماع، راجع الكشّي طبعة بمبئي ص**٣٦٣** تجده[١].

قد روي عن ابن أبي بكير: أنّ محمّد بن أبي عمير اُخذ وحُبس، وأصابه من الجهد والضيق والضرب أمر عظيم، واُخذ كلّ شيء له، وكان صاحبه المأمون، وذلك بعد موت الرضا عليه السلام، وذهبت كتب ابن أبي عمير ... إلى آخره.[٢]

ولعلّ السبب هو ماروراه الكشّي أيضاً ص**٣٦٤** بقوله: وجدت بخطّ الشاذاني، قال: سمعت الفضل بن شاذان يقول: سُعي لمحمّد بن عمير ـ واسم أبي عمير زياد ـ إلى السلطان أنّه يعرف أسماء الشيعة بالعراق، فأمره السلطان أن يسمّيهم، فامتنع، فجرّد وعلّق بين العقارين، وضرب مائة سوط.

قال الفضل: فسمعت ابن أبي عمير يقول: لمّا ضربت فبلغ الضرب مائة سوط، بلغ الأرض الألم انّي به فكدت أن اُسمّي، فسمعت نداء محمّد بن يونس بن عبد الرحمن يقول: يا محمّد بن أبي عمير اُذكر موقفك بين يدي الله تعالى، فتقوّيت بقوله، فصبرت، ولم أخبر والحمد لله. قال الفضل: فأضرّ به في هذا الشأن أكثر من مائة ألف درهم[٣] انتهى.

هذا في عصر الجواد عليه السلام، وما أبداه مع الجواد ما هو مشهور، كشكاية ابنته إليه، وخروجه مغضباً، وضرب الجواد بالسيف، وهو يرى أنّه قد قطعه قطعاً، فوقى الله وصرفه، راجع ١٣ بحار.

---

(١) رجال الكشيّ: ٥٥٦ رقم ١٠٥٠.

(٢) رجال الكشيّ: ٥٩٠ رقم ١١٠٣.

(٣) رجال الكشيّ: ٥٩١ رقم ١١٠٥.

وأمثال هذا كثير، ومن لم يمل عن جادة الحقّ، ولم يتنكّب طريق الحقيقة، يلحق المأمون بآبائه فعلاً وقولاً وإن اختلف معهم شكلاً وصورة.

على أنّا لو سلّمنا ارتفاعها في هذا الوقت، فنمنع الملازمة بين ارتفاعها في هذا الآن وصدور الأمر بها، بل إذا علم ارتفاعها كليّة أمكن إصدار الأمر.

أمّا إذا كان مؤقّتاً، كعصر المأمون مثلاً، وعصر المعتصم، فلا. والإمام عليه السلام يعلم باشتداد التقيّة، فلم يكن ليغرّر بشيعته، ويؤيّده قوله عليه السلام: «ليس منّا ـ أو ما منّا ـ من لم يجعل التقيّة شعاره ودثاره مع من يأمن منه، لتكون سجية له مع من يحذره»[1].

ويؤيّده واقعة داود مع المنصور، وقضيّة علي بن يقطين مع الرشيد في افتاء الإمامين عليهما السلام لهما بالوضوء ثلاثاً[2].

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٣٩٥ حديث ١٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ١٣٦ حديث ١١.

[كثرة السجع في الكلام]

ص٨ من تنزيهه: الانتقاد على المعاصر بكثرة الأسجاع بقوله: «وهذا التهويل وكثرة الأسجاع»[1] إلى آخره.

وقد أفاض هو أيضاً بالأسجاع الكثيرة إلى قوله في هذا الفصل: «وعدّ ذلك عبادة ونسبته إلى أهل البيت الطهور، والمواكب الحسينيّة والاجتماعات العزائيّة، لا تحلّ ولا تحسن إلّا بتنزيهها عمّا حرّمه الله»[2] إلى آخره أسجاعه، وقد تقدّم الجواب عنه.

وقد يظهر من بعض فقراته الفاقرة، التي تكرّرت مراراً عديدة، أنّ كلّ فعل ينسب الخصم فاعله إلى الجهل، فهو معيب شائن، وفعله محرّم، يجب الاجتناب عنه.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٢٦.

(٢) المصدر السابق.

بربّك أيّها القارئ الكريم، ألست تجد الماديّين يعدّون أكبر همجيّة ووحشيّة، الالتزام بوجود صانع، هو مبدأ أول لجميع الموجودات، ومفيض الوجود على سائر الممكنات، محتجب لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون.

الثنويّة المانويّة والمزدكيّة يرون أعظم هجنة القول بوحدة الصانع للمصنوعات من خير وشر، بعلّة أنّ ما كان خيراً كيف يصدر عنه الشرّ؟!

دع عنك ذا، وانظر إلى الألبسة القديمة، كالرداء والعباءة التي هي شعار الأبرار والصلحاء، والعمائم التي هي تيجان الأخيار والعلماء، تعدّ في هذه العصور من المستهجنة، التي لا تُلائم الطباع الحرّة والأفكار المتنورة.

الحجاب والنقاب أمام الابتذال والسفور، كثافة اللحيّة وضخامتها، تطلع المطّلع الخبير على معائب جمّة في أنظارهم، تفوت الحصر و تفوق الإحصاء، حسبك عدّها من المقروب المضرّ بالصحة.

ولعلّ حفظ النفس وإعابة العائب، يوجبان لديه تنزيه الشريعة، وتقديس الملّة من أمثال هذه التقاليد القديمة والعادات العتيقة.

وغير بعيد أن تصدر فتوى بهذا المشروع، ضدّ هذه الأعمال، وفقاً لذاك الدستور، وتقريراً لذاك المنهج، الذي أصدرهما ضدّ نزاهة أعمال الشبيه. فربما يحصل مقلّد على هذه المناكير، يتطلب تلك الافتئات الموافقة للذوق والفطرة السليمة، المرتكزة في النفوس الشفّافة.

بما أنّه قد انسلخ من هيكله البشري، وتجرّد عن كثافة أيّ مادة بدنيّة، وتعرى عن كلّ علاقة جسمانية، وعاد روحانياً صرفياً، ونورانياً بحتاً، بانت له الحقائق فشاهدها عياناً، عندها اتصل بعالم المجرّدات النورانيّة.

وستظهر له حقائق أُخرى، من شين هذه التقاليد، لأنّه قد عاد مظهراً حقيقيّاً للتجلّيات الروحيّة، والإشراقات العقليّة، التي هي شعاع أنوار المجرّدات النورانيّة في عالم المثال والعقول.

فإذا تمّ له الاكتشاف العقلي، والانكشاف المتجلّي بالإفاضات والفيوضات الاشراقيّة، خلصت هذه الأُمّة المسكينة من ظلم التقاليد القديمة المظلمة، وتهذّبت هذه العصور المتنورة من الأوهام التقليديّة، التي لم تهذّب من الأخلاق والعادات الرذيلة، ويلبسها ألبسة الجمال والفضيلة من طراز التقشّف المهوّع.

تشكر الأُمّة المسلمة الدينيّة تلك المساعي بكلّ صراحة وابتهاج، فهي ترفع له يد الإخلاص بالدعاء خلاصاً لها من تلك المصادرات، وتضج هاتفة بزعماء الملّة والدين، مستغيثة بحجج الإسلام من هذه الأصوات، التي يرنّ في سمع الدهر صداها، قائلة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[اللحن في القراءة]

ثمّ أفاض منتقداً بالحن على قراءة التعزية، وحاصل تلك الفصول الطويلة وملخّص الغرض منها ومفاد ما أورده من ص٨ إلى ص١٤:

إنّ اللحن ومعرفة الإعراب، شرط واقعي لقبول القراءة، ولجواز الاستماع لها في التذكار الحسينيّ ووجوده مانع، فلا تصحّ القراءة، بل لا تجوز إلّا مع حفظ القواعد العربيّة، ومعرفة أساليب الفصاحة والبلاغة. فأيّ ذاكرٍ قرأ لحناً، فقد فعل محرّماً، والمستمع أيضاً فعل محرّماً، وبطلت التعزية، ولعلّه من الوجوب التعبدي[1].

هذا حاصل مراده، وأظنّه جائته الشبهة من قبل قول الفقهاء بوجوب تعلّم القراءة للصلاة. وليته عرف تقييدهم بحال الإمكان، ومع القدرة، في خصوص الصلاة، مختصّاً بالفاتحة.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٢٩.

وعلى كلّ حال، فقراءة القرآن والأذكار وغيرهما، لا تجب فيها العربيّة وإن كانت أولى. على أنّه لا مضايقة بين قولنا بالوجوب وثبوت ضدّه الحرمة، فقد ينتفي الوجوب ويثبت الكراهة أو الاستحباب أو الإباحة.

وكيف كان، فالقول بحرمة القراءة الملحونة تحكّم بارد، وإلّا لما ساغ التعلّم؛ لأنّ التعلّم يلزمه الإلحان والغلط الأعظم، وهو محرّم عنده، ومقتضاه حرمة تعلّم القرآن، وهو باطل بالضرورة.

وأيضاً يلزمه القول بفساد صلاة الملحن مع العجز، أو ضيق الوقت عن التعلّم؛ لأنّ النهي في العبادة يقتضي الفساد؛ لأنّه تعلّق بذاتها، وإبطال الجزء يلزمه إبطال الكلّ؛ لأنّ القراءة الفاسدة لا تكون جزء للصلاة الصحيحة.

ولو سلّمنا، فلا نتصوّر أكثر من حرمة ترك التعلّم للمقتدر. وأين هو من حرمة القراءة أو فساد المقروء؟!

وأمّا شرطيّة الإعراب أو مانعيّة الإلحان، فأمرٌ مستغرب جداً، والقول به ـ وإن كان إحداث فقهٍ جديد ـ ففي غاية الركّة؛ لعدم الدليل، والقول بما لا دليل عليه سخافة، والتجوّل في أرجاء مملكة القياس، لاكتشاف استعمارات الأحكام الشرعيّة، بعد لم يشرّع لنا.

ربّما يمكن توجيه قوله بحمل كلامه على اللحن الكثير، الذي تخرج معه القراءة عن كون المقروء مثلاً قرآناً أو دعاء أو خطبة أو شعراً عرفاً.

وهو مع كونه نادر الوقوع، عزيز الوجود، قد يمنع، إلّا مع قصد القارئ بأنّه بعينه كلام الله الذي أنزله، ألفاظه وعباراته، لا بما أنّه حكاية لذاك الكلام، وأوقعه عدم القدرة في المحذور، أي بمخالفة قراءة عاصم أو ابن كثير.

ولو أنصف الرجل نفسه، وتحرّج عن شتم المسلمين، أو كان له أدنى خبرة وأقلّ معرفة، لما تهجّم عليهم بما لا يسوغ.

أمّا القرّاء في المدن كلّها، وخصوصاً الأعتاب المقدّسة، فكلّهم طلبة علوم، وجلّهم من أهل الفضيلة كما اعترف به هو.

بلى، يوجد في القرى والعشائر من هو غير مهذّب، ولو وجّه سهم ملامته إلى أمثالهم لعذرناه. وإن كانت قراءتهم إذا حلّلتها في الواقع تنحل إلى الألفاظ العاميّة الصرفة، المسمّاة بلسانهم الحسچة، ولعلّه يشترط فيها الإعراب، وهو بديع إلّا نادراً جدّاً، قراءة خطبة أو شعر، إلّا ما لا بدّ منه من ذكر الواقعة.

ولتجد الكثير منهم لا يقرأ إلّا لأمثاله ونظرائه، ولو فصّلت مفاصله وأعضاءه، على أن يفوه بكلمة أمام عارف، وسيّما فضلاء طلبة العلم، لم يفعل، كما شاهدناهم.

إلّا من بلغ من الوقاحة غايتها، بأن لا يهذّب، ويتجاسر على الإقدام قليل الوجود، أكثر منه الشانئ للشعار بأمثال هذه، التي توجب فضيلة الانسانيّة بخصوصها، من دون ملاحظة العوارض، وأقصى ما يعقل تصوّره مقارنتها للتذكار كمقارنتها للأذكار.

نحن نرى كثيراً في أسفارنا وتحوّلاتنا في العراق، إذا حللنا بإحدى القرى، وفيها ذاكر، يلازمنا ملازمة ضلّه، في اصلاح مقروآته وتقويم تعاليمه، ويجدّ في التهذيب لنفسه في القراءة، أكثر من جدّه في تهذيب صلاته.

ولو وجّه تلك اللسبات واللسعات، التي لفظها قلمه ونفثها كلمه، إلى جملة أهل السواد المعدان والشاوية، في عدم تهذيبهم لألفاظ صلاتهم، لعدّت تلك الكلمة للإصلاح، صادرة عن مصلح يكافح وينافح عن الدين والحقيقة.

وحيث لم تتوجّه إلى ما هو الواجب على العلماء من الحثّ عليه، أوجبت السخط من أهل الشعور؛ لأنّ الأهم مقدّم على المهمّ.

[قراءة الأحاديث المكذوبة]

ولو قصر عنانه عن التهجم ثانياً على القرّاء، بتعمّدهم الكذب، وأنّهم يقرأون الأحاديث المكذوبة، وادعى أنّها أحاديث لا وجود لها في الكتب. فبعد أن ذكر استدلال معاصره بعمل الفقهاء بالأخبار الضعيفة، والتسامح في أدلّة السنن، وأطال في النقض عليه، بما ملخّصه: التفرقة بين الأحكام الشرعيّة والقصص التأريخيّة، وظاهره أنّ القصّة لا يعوّل فيها على الرواية الضعيفة.

وأخيراً تنزّل بزعمه مجاراةً لخصمه، من عدم الفرق، حكم بأنّها مكذوبة ولا وجود لها أصلاً، ولم ينقلها ناقل، وذلك قوله: «فليدلّنا» إلى آخر ما هناك[1].

ومقتضاه: أنّ الذاكر إذا نقل رواية باللفظ أو بالمعنى، أو قصّة من القصص التأريخيّة، وزيدٌ مثلاً يدّعي أنّها مكذوبة ومختلقة ومفتعلة، يحرم على الذاكر قراءتها، ويحكم بعصمة زيد.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٤٠.

ولو عارضه شخص آخر، أوثق في النفس، وأعدل وأورع، وأكثر تتبّعاً، وأطول باعاً، وأوسع اطّلاعاً، لا يصحّ للقارئ اتّباعه، ولا التعويل عليه.

فهذه هي الفلسفة المحبوبة، والحكمة المطلوبة، التي هي طلبة الحكيم المقصودة، وضالة الفيلسوف المنشودة، ضدّ من حفظ حجّة على من لم يحفظ ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

المثال الواضح لهذه المسألة، الموضّح لمراده تمام الإيضاح، أنّ العلّامة ـ مثلاً ـ لو روى عن عمّار الساباطي رواية، لم نجدها نحن في الجوامع أو الكتب التي بأيدينا، وأمكن وصولنا إليها، سيّما أنّي لم أجدها في خزانة مكتبي، أو تتبّعت بقدر وسعي فلم أقف عليها، أحكم بأنّ العلّامة افتعلها على سطح داره، واختلقها في موضع درسه، ليروّج بها دراسته؟!

ولا أقول: إنّ ورعه وإيمانه ووثاقته القطعيّة تمنعه من الافتعال، وإنّ القصور والتقصير جاء من قبل قلّة اطّلاعي وعدم فحصي الفحص الكافي، وهو أكثر منّي إحاطة وأشدّ معرفة؟!

هكذا هذه الفقرة تعطي هذا المضمون، فإنّ قوله: «لا وجود لها في الكتب» ينفي وجودها من كتب العالم أصلاً. ولا ندري كيف صحّ له أن ينفيها نفياً مطلقاً؟!

أنزل عليه الوحي الذي انقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

أم قرأ كلّ كتاب في العالم، من المطبوعات والخطيّات التي ملئت بها الكتابخانات العظمى الشرقيّة والغربيّة، سوى المتفرّقات في أيدي الناس في

---

(١) الزمر (٣٩): ٩.

جميع أنحاء الأرض وأرجاء المعمورة، وتجد في كلّ قطر كتب لا توجد في قطر آخر.

والإنصاف أنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

ويؤيّده ما رواه الصدوق في العلل ص١٣٧ بسنده إلى أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجئ أو قدري أو خارجي، نسبه إلينا، فإنّكم لا تدرون ولعلّه شيء من الحقّ، فتكذبوا الله فوق عرشه»[١] انتهى.

ودلالة هذه الرواية واضحة، فإنّك لا تتسرّع إلى الرمي بالكذب، بمجرّد عدم الاطّلاع، ولو كان الناقل مهما كان من الفسق، كالخوارج ونظرائهم. فما ظنّك بمن هو مظنّة الصدق؛ لوثاقته وديانته.

أمّا التفرقة بين السنن والقصص التأريخيّة، فإن ثبت الفرق، كان عليه لا له.

بيان ذلك: إنّ الأحكام الشرعيّة التكليفيّة، إذا كانت مخالفة للأصل والقاعدة، نحتاج فيها إلى النصّ؛ لأنّها أُمور توقيفيّة، ومخالفة للأصل، والتشريع محرّم، فلا يكفي فيها إلّا النصّ.

فإذا ثبت كفاية كلّ خبر، ضعيفاً كان أو مجهول الراوي أو مرسلاً، وتثبت به السنّة المخالفة للأصل، وإلّا لكان العمل بالأصل ويكون الخبر مؤيداً.

فالعمل بالأخبار الضعاف والمراسيل، في نقل القصص التأريخيّة، لأنّها لم تسق لإثبات حكم مخالف للقاعدة، أو مؤدٍ للوقوع في التشريع المحرّم، وإن انتفى الفارق ثبت المطلوب للمستدلّ، وتمّ له البرهان.

---

(١) علل الشرائع ٢: ٣٩٥.

والجواب الواقعي لقوله في تعداد الأحاديث التي زعم أنّها مكذوبة إلى قوله: «فليدلّنا»[1] إلى آخره.

على أنّ هذه الأحاديث كلّها أو جلّها، موجودة في الكتب المطبوعة الشهيرة، ونحن ندلّه على ما أوقعنا عليه النظر في هذه العجالة، والسير في هذه الغاية ولو شوطاً في هذا المضمار، يوقف الفاحص على كلّ حديث أنكره وجحد وجوده.

فحديث الطيور في أسرار الشهادة للفاضل الدربندي ص٤٧٧، رواه عن المنتخب من طريق أهل البيت: أنّه لما استشهد الحسين عليه السلام في كربلاء، بقي صريعاً، ودمه على الأرض مسفوحا، وإذا بطائر أبيض.

إلى قوله: فجاء والدم يقطر منه، فرأى طيوراً تحت ظلال الشجر، وعلى الغصون.

فذكر الرواية المشهورة حتى قال: فلمّا رأته الطيور تصايحن، ووقعن على دمه يتمرّغن.

إلى أن قال: وتفرّقت الطيور، وقصد كلّ واحد إلى ناحية يعلم أهلها.

حتّى ساق الحديث إلى الطائر الذي قصد المدينة، وتمام الحديث ص٤٤٨[2].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٤٠ .

(٢) انظر: مدينة المعاجز ٤: ٧٢، عوالم العوالم ١٧: ٤٩٣، الدمعة الساكبة ٥: ٣ ـ ٥ ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٠٥، إحقاق الحقّ ٢: ٩٣، بحار الأنوار ٤٥: ١٧١ ـ ١٧٢ .

وحديث «أتفقد هذه التلاع، مخافة أن تكون مكّناً لهجوم الخيل، يوم تحملون ويحملون» فقد رواه في الدمعة الساكبة للملّا باقر الكتبي ص٢٩١[١].

ورواه في البحار ج١٠ ص٢٤١ وروايته عن المفيد[٢].

وحديث غسل علي بن الحسين لأبيه، فإنكاره هدمٌ لأساس قواعد المذهب، ومخالفة لمعقد إجماع الشيعة، من أنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام.

وهذه رواية مستفيضة استدلّ بها من يجحد إمامة الأئمة، وأجابوا سلام الله عليهم بغسل علي بن الحسين لأبيه.

فمنها قضيّة الرضا عليه السلام مع رؤساء الواقفة، وهم البطائني وابن السّراج وابن المكاري، بأنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مات في الحبس، ولو كنت إماماً لغسلته، حيث قال له البطائني: إنّا روينا عن آبائك: إنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «أخبرني عن الحسين، أكان إماماً؟ إلى أن قال: فمن ولي أمره؟

قال: علي بن الحسين.

قال الرضا عليه السلام: «كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد».

---

(١) الدمعة الساكبة ٤: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٢) لم أعثر عليه في كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد، فلعلّه في غيره من كتب الشيخ المفيد، أو المقصود بالمفيد: هو غير الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العُكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ).

قال: خرج وهم لا يعلمون.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ هذا الذي أمكن علي بن الحسين»، إلى آخر الحديث[١].

ومثله جرى للأئمة من ولده، واستدلّوا بهذا.

وأمثاله كثير وارد عن الأئمة الأطهار، وروايته بألفاظه المتداولة المشهورة على ألسنة القرّاء والذاكرين، فقد رواه في الدمعة الساكبة ص٣١٧[٢]، وفي أسرار الشهادة ص٤٠٤[٣].

وحديث درّة الصدف، ففي أسرار الشهادة ص٥٠٤ رواه بعنوان: نقل جمعٌ من الكتاب الكبير لأبي مخنف، والقصة طويله أنهاها ص٥٠٦ من نسخة كبيرة الحجم طبعت سنة ١٣١٩[٤] وعنها تنقل.

مضافاً إلى سقوط الاستغراب وامتناع محاربة المرأة، فإنّه نفسه ممكن، وواقع في الجاهلية والإسلام، ومحاربة النساء مشهورة في التواريخ.

على أنّه وجد في عسكر الحسين عليه السلام نساء محاربات، والاتفاق واقع على ثلاثة منهنّ:

إحداهنّ: زوجة النصرانيّ الذي أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأُمّه وزوجته، على ما رواه أبو مخنف في مقتله، أو هي أُمّه على الخلاف[٥].

---

(١) رجال الكشيّ ٢: ٦٣ رقم ٨٨٣.

(٢) الدمعة الساكبة ٥: ١١ ـ ١٤.

(٣) أسرار الشهادة: ٤٨٣.

(٤) سير أعلام النساء ٢: ٧٠، عن أسرار الشهادة: ٤٤٥ المجلس ٢٨.

(٥) مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ١٢١.

ومن المحاربات النمريّة زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، وتُكنّى أُم وهب، وقتلت في المعركة، قتلها غلام الشمر بأمر الشمر، ضربها بعمود على رأسها فماتت إلى جنب زوجها، ذكرها في ذخيرة الدارين في ترجمة عبد الله المذكور[١].

ومن المحاربات أُم الغلام القائل: أميري حسين ونعم الأمير ... الأبيات المشهورة، وهي بحريّة بنت مسعود الخزرجيّة، زوجة جنادة بن الحرث الخزرجي، قتلت رجلاً وأخذت عمود الخيمة تقاتل به، فردّها الحسين عليه السلام إلى المخيّم، والغلام اسمه عمرو. وهذه ذكرها أيضاً في ذخيرة الدارين في ترجمة جنادة[٢].

والكتاب معتمد عليه في النقل؛ لأنّ مؤلّفه السيّد عبد المجيد الحائري، قد اعتمد على النقل من الكتب الموثوق بها.

وهذه الثلاثة ذكرها في الخصائص الحسينيّة الشيخ جعفر الشوشتري[٣].

وأحد الثلاثة، وأظنّها أُم الغلام النصراني القائلة: إنّي عجوز سيّدي ضعيفة.

وحديث «بعدك حياً يابن الخارجي إلى الآن» لم نسمع ذاكراً فاه به، والمسموع لنا منهم أنّه من قول ابن زياد اللعين للإمام زين العابدين عليه السلام، لا من قول الشمر للحسين في قوله: أوبك جرأة على ردّ الجواب.

---

(١) اللهوف (الملهوف) على قتلى الطفوف: ١٦١، عوالم العلوم ١٧: ٢٦٠.

(٢) عوالم العلوم ١٧: ٢٧١.

(٣) الخصائص الحسينيّة: ٤٥٩ ـ ٤٦١.

والحديث مرويّ في الكتب الثلاثة: «البحار» و«الدمعة» و«الأسرار»[١]، وإن كان خالياً من لفظة: «يابن الخارجي»، فهو خبر موجود، وزيادة تلك اللفظة لعلّهم وجدوها في كتاب آخر مطبوعاً أو خطياً، فإنّا لا نتمكّن مع كثرة الشواغل أن نعطي الفحص حقّه.

وهذه المسألة ليست بعزيزة، فإنّه كثيراً ما توجد رواية في الفقيه بزيادة لا توجد في الكافي والتهذيب، يعرف هذه المسألة من له إلمام ببضاعة الفقه.

ولو سلّمنا، فزيادة لفظة واحدة، التي تنشأ من الغفلة والذهول، لا توجب كذب الحديث، بل وجود الحديث يستشم منه أنّ لتلك اللفظة أصل، لكن نحن لم نعثر عليه.

وحديث مخاطبة زينب للعباس عليه السلام، ولعلّه يشير إلى رواية أُمّ البنين، ولأيّ شيء تزوّجها أمير المؤمنين، ولمَ اختارها دون نساء العرب، وإلّا فطرق المخاطبة بين زينب والعباس غير عزيزة، ولا ممنوعة.

الحديث مرويّ في أسرار الشهادة عن زهير، إلى قوله للعباس عليه السلام: ألا أُحدّثك بحديث؟ فقال العباس عليه السلام:

حَـدِّث ولا حـرجٌ عليـك فإنّمـا تَـروي لنـا مُتـواتر الإسـناد

فساق الحديث إلى قوله: لمثل هذا اليوم ادخّرك أبوك، فلا تقصّر يا أباالفضل، الحديث المشهور[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١١٧، الدمعة الساكبة ٤: ١٤٨.

(٢) أسرار الشهادة ٢: ٤٩٧، الأنوار العلويّة: ٤٤٣.

ونحن لم نسمع القرّاء المعتمد عليهم في النقل روايته عن زهير، سوى شذّاذ من قرّاء القرى والسواد ومن لا يُعتمد عليهم.

على أنّه من الممكن أنّهم عثروا عليه ولو في بعض المجاميع هكذا، أو غفلة منهم.

وعلى كلّ حال، فلو قلنا: إنّهم تعمّدوا الرواية عن زينب عليها السلام، فلا يلزم كذب الرواية الموجودة، وإنّما أقصى ما يتصوّر كذب النسبة، بمعنى نسبة قولٍ إلى غير قائله.

كما أنّ حديث: «إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأشم، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخضم». في الأنوار العلويّة للفاضل النقدي ص٢٧٢ من نسخة طبعت في المطبعة المرتضويّة في النجف الأشرف[1].

ورواه في ٩ من البحار في حديث الأصبغ، مبدّلاً لفظة «إنّ البرد» ـ في قول حبيب بن عمرو ـ بقوله: «لا بأس عليك، فإنّ جرحك ليس بضائر»[2].

أما حديث حسّان، فالمشهور عند فضلاء النجفيّين، لا كما يقول هو فيه من الافتعال والاختلاق، بل المعروف الشائع روايته عن بعض الكوفيّين، ونقله بالمعنى والألفاظ له، وإلّا فالشيخ حسن قفطان ـ المعروف بالوثاقة والورع ـ كيف يتهجّم عليه بتعمّد الكذب. لا أقلّ من احتمال أنّه عثر عليه في بعض الكتب الخطيّة و المطبوعات الفارسيّة، فإنّ حديث خطاب زهير للعباس في الكبريت الأحمر، من الكتب الفارسيّة، نقله كما نقله أسرار الشهادة عن اكسير السعادة.

---

(١) الأنوار العلويّة: ٣٨٣. وذكره عاصم بن حميد في «أصله»: ٣٣، وأبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٢٠١ ـ ٢٠٢، عن أمالي الشيخ الطوسيّ: ٣٩٦.

ولا أظنّك ترضى بتفسيق المسلمين بمجرّد الوهم والخيال، من دون حدّة ولا برهان قاطع.

فلم يبق لنا إلّا حديث: «أيّ جرح تشدّه لك اختك زينب»، فعسى السائر المجدّ يعثر على راوٍ له، ولعلّه يفسح لنا مجال الفحص فنتحف القارئ الكريم به وإن كان وجوده في المجاميع كافٍ في دفع تعمّد الكذب، وهل المجاميع إلّا كتب خطيّة لم تطبع؟!

[مؤذّن النبي صلى الله عليه وآله بلال الحبشي]

وممّا قاله في أوّل ص١٤ يذكر كلمة المعاصر حيث يقول: «المؤذّن الخصوصيّ للنبيّ كان بلالاً الحبشي، لأجل نداوة صوته وطلاوة لفظه، مع عدم قدرته على إخراج السين إلّا شيناً».

ما ندري أين وجد هذه العلّة؟!

ومن أيّ كتاب نقلها؟!

قل له بربّك أيّها القارئ المنصف: أتجاهلاً تنكر الواضحات؟! أم جهلاً بالمشهورات؟!

أمّا أخذه العلّة فمن الأخبار الكثيرة، وخصوص «أندى صوتاً» من النبويّ «ألقه على بلال، فإنّه أندى منك صوتاً»[1].

---

(١) سنن أبي داود ١: ١٩٥.

وأمّا نقله فعن كتاب «الجواهر» ج٢، باب الأذان في شرح قول المحقّق (يستحب أن يكون المؤذّن صيّتاً):

«بلا خلاف، نقلاً في المحكي عن «المنتهى»[١] إن لم يكن تحصيلاً، أي شديد الصوت، كما في «الصحاح»[٢] و«المجمل»[٣]، والمحكي عن «المحيط»[٤] و«المقاييس»[٥] و«تهذيب الأزهري»[٦] و«مفردات الراغب»[٧]، بل قيل: ونحوه ما ذكر في كتب الفقه من أنّه رفيع الصوت، لما فيه من زيادة المبالغة في رفع شأن هذا الشعار، وللنبويّ «ألقه على بلال، فإنّه أندى منك صوتاً»[٨].

كلامه في هذا المقام، وفي مقامات أُخر[٩]، مضافاً إلى الأخبار الكثيرة.

---

(١) منتهى المطلب ١: ٩٨.

(٢) الصحاح ٦: ٢٥٠٦.

(٣) المجمل «ندا».

(٤) المحيط «ندا».

(٥) مقاييس اللغة «ندا».

(٦) تهذيب اللغة ١٤: ١٣٥ «ندا».

(٧) المفردات: ٤٨٨ «ندا».

(٨) جواهر الكلام ٩: ٥٦.

(٩) في هامش النسخة الخطيّة التي بخطّ المؤلّف، وردت العبارة التالية:

«هذا من كتب الإماميّة، وأمّا أخذه هذه العلّة من كُتب إخواننا العامّة، فعن السيرة النبويّة لابن هشام في ج٢ ص١٠١. وحكى خبر الأذان، إلى أن قال:

«فبينما هم كذلك، رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، أخو الحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّه طاف بي هذه الليلة طائف، مرّ بي

⇦

وإنكار هذه الواضحات مجازفة واعوجاج وتصلّف لا ينتهى إلى حدّ، ولا يقف عند غاية.

⇦ رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟

قال: وما تصنع به.

قال: قلت: ندعوا به إلى الصلاة.

قال: أفلا أدلّك على خيرٍ من ذلك؟

قال: قلت: ما هو؟

قال: تقول: الله أكبر ... حتى ساق فصول الأذان المشهور، إلى أن قال: فلمّا أخبر بها رسول الله قال: إنّها لرؤيا حقّ إن شاء الله، فقم يا بلال فألقها عليه، فليؤذّن بها، فإنّه أندى منك صوتاً» إلى آخره.

[أقسام الحجامة وأحكامها]

وإليك ما أبداه ص١٤، بعد أن نقل كلام المعاصر في تقسيم الحجامة إلى الأقسام الخمسة، وقال: «إنّها مباحة بالأصل»، قال في ردّ قوله: «مباحة بالأصل»:

«بل هي محرّمة بالأصل؛ لأنّها ضرر وإيذاء للنفس، ولا تحلّ إلّا مع الضرورة، لدفع مرض أو ألم أعظم منها، وإلّا كانت كفعل حجّام ساباط الذي، يضرب فيه المثل، فقيل: «أفرغ من حجّام ساباط»[1] وكان إذا لم يجد من

(١) في مجمع الأمثال للميداني ٢: ٨٦ رقم ٢٨١٣:

«كان حجّاماً ملازماً لساباط المدائن، فإذا مرّ به جندٌ ضرب عليه البعث، حجمهم نسيئة بدانق واحد إلى وقت قفولهم، وكان مع ذلك يعبر الاسبوع والاسبوعان فلا يدنو منه أحد، فعندها يخرج أُمّه فيحجمها، حتّى يُري الناس أنّه غير فارغ، فما زال ذلك دأبه حتّى أنزف دم أُمّه فماتت فجأة ... وقيل: إنّه حجم كسرى أبرويز مرّة في سفره ولم يعد؛ لأنّه أغناه عن ذلك».

وفي جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢: ١٠٧ رقم ١٣٤٦، بعد ذكر الكلام السابق، قال: قال شاعر محدث:

دارُ أبـــي القاسِـــم مَفْروشـــةٌ ... مــا شِـئتَ مــن بُسـطٍ وأَنْمــاطِ
وبُعْــدُ مــا يأتِيــكَ مــن خَيْــرِهِ ... كبُعــدِ بَلْــخ مــن سُميسَــاطِ
مطْبخُـــــهُ قفْـــــرٌ وطَبَّاخُـــــهُ ... أَفْـــرَغُ مـــن حَجَّـــام سَـــابَاطِ

يحجمه حجم زوجته وأولاده»[1] إلى آخره.

هذا الفصل الذي كلّه من نوع هذه الحماقة، حماقة حجّام ساباط، الذي ضرب فيه المثل لأمرين:

١: فراغه من الشغل؛ لعدم وجود من يحتجم عنده، إما لهوانه عليهم، أو لعدم معرفته بالحجامة، أو لعدم احتياجهم للحجامة، ويقال هذا المثل لكلّ عاطل من الشغل.

٢: حماقته؛ لأنّه يحجم اُمّه أو زوجته وأولاده، حنقاً وغيظاً على مَن لم يحتجم عنده، ويقال هذا المثل لكلّ أحمق يعود إليه ضرره.

ولا أظنّك يخفى عليك أنّ الحماقة التي جرت إلى الطعن على أعمال الشيعة، حتّى مسّت كرامة النبيّ صلى الله عليه وآله وقداسته، وتوجّهت إلى الصنوة الهداة من آله، لسباتها ولسعاتها، بسبب التشفّي من الخصم، لعظمته جدّاً.

وإيراد هذا المثل في معرض الاستدلال، وتقويّة للبرهان، أحمق وأحمق.

دعنا لننظر في الجهة العلميّة فنقول: الأصل في الحجامة الإباحة، كسائر الأشياء المطلقة، التي لم يرد فيها أمر ولا نهي.

ومستحبة؛ للأدلّة الكثيرة، التي أورد جملة منها في الوسائل ج٢ ص٥٤٠ ب١٤٠، فمن تلك الروايات: رواية عمّار الساباطي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يقول من قبلكم في الحجامة»؟

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٥٦ .

قلت: يزعمون أنّها على الريق أفضل منها على الطعام.

قال: «لا، هي على الطعام أدرّ للعروق وأقوى للبدن»[(١)].

ومنها رواية ابن فضال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الحجامة في الرأس هي المغيثة، تنفع من كلّ داء إلّا السام، وشبرها من الحاجبين إلى أن بلغ إبهامه»[(٢)].

ومنها مرفوعة محمّد بن أبي عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم العيد الحجامة» ـ يعني بالعيد: العادة ـ تجلو البصر وتذهب بالداء»[(٣)].

ومرفوعته الأُخرى إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، عن أبيه عليه السلام قال: «احتجم النبيّ صلى الله عليه وآله في رأسه، وبين كتفيه، وفي قفاه ثلاثاً، وسمّى واحدة النافعة، والأُخرى المغيثة، والثالثة المنقذة»[(٤)].

ومنها رواية أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من احتجم في يوم الثلاثاء لسبع عشر، أو تسع عشر، أو لإحدى وعشرين، كانت له شفاء من أدواء السنة كلّها، وكانت لما سوى ذلك شفاء من وجع الرأس والأضراس والجنون والبرص والجذام»[(٥)].

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١١٢ حديث ٢٢١١٦، عن الكافي ٨: ٢٧٣ حديث ٤٠٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١١٢ حديث ٢٢١١٧، عن الكافي ٨: ١٦٠ حديث ١٦٠.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١١٣ حديث ٢٢١١٩، عن معاني الأخبار: ٢٤٧ حديث ١.

(٤) وسائل الشيعة ١٧: ١١٣ حديث ٢٢١٢٠، عن معاني الأخبار: ٢٤٧ حديث ١.

(٥) وسائل الشيعة ١٧: ١١٥ حديث ٢٢١٢٦، عن الخصال: ٣٨٥ حديث ٦٨.

ومنها: رواية محمّد بن الحسن، بإسناده عن علي عليه السلام قال: «الحجامة تصحّ البدن، وتشدّ العقل. توقّوا الحجامة يوم الأربعاء، فإنّه يوم نحس مستمر، وفيه خلقت جهنم»(١) إلى آخره.

ورواية حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الدواء أربعة: الحجامة، والسعوط، والحقنة، والقيء»(٢).

انتهى موضع الحاجة، و الأخبار كثيرة، تركناها إيثاراً للاختصار، كما أنّ أكثر هذه الروايات مسندة بأسانيد معتبرة، حذفناها لئلّا يطول بذكرها المقام، وننبّهك على اُمور:

١ : استحباب الحجامة مؤكّداً.

٢ : إنّ اختيار بعض الأوقات لا ينافي الرجحان.

٣ : التحديد في الروايات في حجامة الرأس بهذا المقدار من مقدّم الرأس، دليل واضح على رحجان ما يفعله أهل السيوف والمدى يوم عاشور؛ لأنّه بهذا الموضع الذي اُشير إليه في النصوص، فالطعن عليهم تحكّم بارد.

٤ : لا خصوصيّة للحجامة بالمعنى المتعارف، بل المدار على إخراج الدم من هذا الموضع، الذي أشارت إليه الروايات، فإنّما الآلة ليست جزء موضوع الحكم، ولا تمام الموضوع.

٥ : إنّ اتّباع طبّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ـ كما هو صريح هذه الأخبار ـ أولى من اتّباع طبّ الماديّ، أو من لا عقيدة له، على فرض أن يُدّعى الضرر.

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١١٧ حديث ٢٢١٣٣، عن الخصال: ٦١١ حديث ١٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١١٧ حديث ٢٢١٣٤، عن الخصال: ٢٤٩ حديث ١١٢.

٦ : إنّ فعل النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ينفي أيّ احتمال يتطرّق من دعوى الضرر.

وبعد ورود هذه الأدلّة بهذه الصراحة مع كثرتها، فالقول بعدم الرجحان، فضلاً عن الكراهة التي هي دون الحرمة، وسوسة في الدين، ينسب قائلها إلى التحامل، ويرمى بالعناد.

وسنزيدك إيضاحاً بإيراد روايات مصرّحة بالحلّ، وإن كان ذكر المصلحة أيضاً تصريح في الوسائل ج٢ ص٥٣٩ ما رواه محمّد بن يعقوب الكلينيّ، بسنده المتّصل إلى حنّان بن سدير، قال:

دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، ومعنا فرقد الحجّام، فقال له: جعلت فداك، إنّي أعمل عملاً، وقد سألت عنه غير واحد ولا اثنين، فزعموا أنّه مكروه، وأنا أحبّ أن أسألك، فإن كان مكروهاً انتهيت عنه، وعملت غيره من الأعمال، فإنّي منته في ذلك إلى قولك.

قال: «وما هو»؟

قال: حجّام.

قال: «كل من كسبك يا بن أخي، وتصدّق و حجّ منه وتزوّج، فإنّ نبيّ الله قد احتجم، وأعطى الأجر. ولو كان حراماً ما أعطاه»[1].

وما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله، حجمه مولى لبني بياضة، وأعطاه، ولو كان حراماً ما أعطاه، فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أين الدم»؟

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١٠٥ حديث ٢٢٠٩٧، عن الكافي ٥: ١١٥ حديث ٢، والتهذيب ٦: ٣٥٤ حديث ١٠٠٩، والاستبصار ٣: ٥٨ حديث ١٩١ .

قال: شربته يا رسول الله.

قال: «ما كان ينبغي لك أن تفعل، وقد جعله الله لك حجاباً من النار، فلا تعد».

ورواهما الشيخ، وروى الأخير الصدوق[١].

أمّا كراهة الحجامة، فمخصوص بيوم الثلاثاء والأربعاء والجمعة، للأخبار الواردة فيها على أنّها معارضة بمثلها، أو أقوى منها[٢] وكيف كان، فالرجحان، فضلاً عن الجواز، لا إشكال فيه.

أمّا ما ورد بلسان بعض الفقهاء من كراهة الحجامة، فالمراد كراهة الصنعة، لخسّتها؛ لأنّها صنعة خسيسة ـ لا فعل الحجامة ـ كسائر الصنائع الخسيسة في أنفسها كالحياكة والجزارة والقصارة، فإنّها صنائع مكروهة وإن كان الفعل مباحاً أو راجحاً.

بل في «الجواهر»: «وأمّا الحجامة، فقيّدها المصنّف وجماعة بما إذا اشترط الأجر على العمل المضبوط بالمدة أو بالعدة. ومقتضاه عدم الكراهة إذا لم يشترط، بل قيل: إنّه المفهوم من كلام الأصحاب، بل هو صريح «الروضة»[٣] ومحكي «المنتهى»[٤]. إلى أن قال: والأمر سهل بعد القطع بانتفاء الحرمة نصّاً وفتوى» [٥] انتهى موضع الحجامة.

---

(١) وسائل الشيعة ١٧: ١٠٥ حديث ٢٢٠٩٩، عن الكافي ٥: ١١٦ حديث ٣، ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٩٧، حديث ٣٧٢، والتهذيب ٦: ٣٥٥ حديث ١٠١٠، والاستبصار ٣: ٥٩ حديث ١٩٢.

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٧: ١١٢ باب ١٣ «استحباب الحجامة ووقتها وآدابها».

(٣) الروضة: ٨٣.

(٤) منتهى المطلب ١: ٩١.

(٥) جواهر الكلام ٢٢: ١٣٢ ـ ١٣٤.

فإذا عرفت هذا، تحقّقت أنّ الحجامة في نفسها مباحة وراجحة؛ للدليل. وقد يعرض لها الوجوب أو الحرمة كسائر الأحكام التكليفيّة، وانقسامها إلى الأحكام الخمسة، كالنكاح والتجارة والصوم وغير ذلك.

ومن هنا تستبين متانة قول المعاصر، وركاكة قوله، بل لغويته، وإن أطنب في الردّ والنقض، وتبجّح بغير بيان كافٍ، ولا برهان شافٍ. وتيقّنت وهن تشقيقاته، التي أطنب فيها وأسهب، من نشرٍ بلا لفٍّ، ونثرٍ بلا رصف الكلم المبعثرة، والمنبثه هنا ص١٥، وحملته على المتديّنين بالطبيب الحاذق.

وما ندري أيّ مستر أو دكتور يهتف داعياً إلى تقليده، فإنّ العوامّ في حاجة إلى تقليد الدكاترة في الأديان، أمّا الأبدان فإنّ التجربة عندهم أكبر برهان.

وعليك بإبداء نظريّتك في أقواله الآتية، عساك تجد لها معنىً مفهوماً، فإنّها من الرموز المغلقة، لا أخال الحدس يخطئ في أنّها إحدى الطلاسم والرقيّ العقربيّة، أو بعض إيحاءات الجنّ المخفيّة، المجملات المرتبكات.

[المهم والأهم، ومقدّمة الواجب، والتزاحم]

قوله: «مهم وأهم» و«مقدّمة الواجب» و«الاستحباب لا يعارض الحرمة» و«ولا يطاع الله من حيث يعصى»[1].

هذه الكليّات الفخمات، والكلمات الضخمات، المجتمعات المفترقات، المتضادات المتناقضات، الصاعدات النازلات، التي هي كالطبل في التهويل، وكاليراعة في الفراغ.

لقد أتعب النفس في فرض الواجب ومقدّماته، وتصرير الأهم والمهم إحدى ابتلاءاته.

أمّا فرضه أنّ استعمال آلة الجراحة مقدّمة لحفظ النفس، وحفظ النفس واجب. فمع فرض تسليمه، فإنّما هي معدّ للصحّة، التي هي سبب عاديّ أو عقليّ غالبيّ لحفظ النفس.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٥٨.

و«لا يطاع الله من حيث يعصى»، قال عنه في وقاية الأذهان: ٣٩٤: رويّ عنهم عليهم السلام، وفي جواهر الكلام ٢٢: ٤٦، والقواعد الفقهيّة ١: ٢٦٠: إنّه قول وليس حديثاً.

ولو قلنا بوجوب المقدّمة الاعتداديّة، فلا يتوقّف على وجوبها إلّا ذوها، وهو الصحة، نظيره نقل القدم معدّ غالباً لدخول المسجد، فلو فرضنا مقدّميّته، إنّما هي مقدّمة للمشي، الذي هو سبب الوصول إلى المسجد، إلّا أن يفرض القول بوجوب تحصيل الصحة مقدّمة لحفظ النفس، متمماً بأنّ سبب السبب سببٌ، ومقدّمة المقدّمة مقدّمة.

لكنّا وإن أغضينا عن المناقشة فيها، نمنع وجوب مقدّمة الوجود، للزوم الدور؛ لأنّ وجوبه يتوقّف على وجودها، ووجودها يتوقّف على وجوبه، فيدور.

أمّا فرضه لهما من قبيل المتزاحمين في قوله: «حفظ النفس أهمّ»، ومعناه حفظ النفس واجب، وعدم الإيذاء واجب، فيتزاحمان، ويقدّم الأهمّ، الذي هو حفظ النفس.

قل لي بربك: أيّ شيء تفهم من قول القائل: الصوم واجب، وعدم الإيذاء واجب؟ وهل هذا إلّا هدم لأساسه الذي بنى عليه سقوط التكاليف، وتجرّأ به على النبيّ وآله، وهو وجوب إيذاء النفس لمصلحة البدن الدينونيّة.

ثمّ لم يبيّن لنا مراده من حفظ النفس: أهو حفظها من الموت المتلف؟
أم حفظها من المضرّ المؤذي؟

فإن كان حفظها من المتلف، فلا مزاحمة؛ لأنّ المزاحمة مع فرض التكافوء، المفقود في المقام، لأنّ عدم الإيذاء لا يجب، بل يجب الإيذاء مقدّمة لحفظ النفس، كما قال أولاً.

وإن كان حفظها من المؤذي، اتحدا مفهوماً، إذ لا يقال: الأسد والليث متزاحمان، وتشبه المثل العامي «غوجه علي علي غوجه».

على أنّ المناسب لمذهبه فرض المسألة من باب تزاحم الوجوب والحرمة، وإدخالها تحت عنوان اجتماع الأمر والنهي أولى، كما يشير إليه قوله: «الضرورات تبيح المحظورات».

وإن كان يرمي بغير وتر، والعاميّ يقول: «يفر بغير شارق»، لأنّ إيذاء النفس عنده محرّم، وحفظ النفس واجب، واجتمعا في واحد شخصيّ، وهو زيد مثلاً، الذي اضطرّ إلى استعمال آلة الجراحة، فإيذاء النفس بها محرّم، واستعمالها واجب.

لكن لا يناسب القواعد تقديم الواجب، لأنّ القاعدة تقتضي سقوط الواجب؛ لأنّ النهي أقوى، ويرجّح جانب المفسدة على مراعاة المصلحة، نظير صلّ ولا تغصب.

ولو أغضينا وضربنا عن ذلك صفحاً، نقف سائلين منه، مستكشفين مراده، من تزاحم الأهم والمهم في مرحلة القدرة؟ أم في مرحلة إنشاء الحكم؟

وحيث كان مسلك معاصره سالماً من الخدشة، واضحة دلالته؛ لأنّ الواجب هو حفظ النفس، والمنهيّ عنه هو الضرر، على فرض إرادة النهي من النفي، ومع إحراز المصلحة التامة في حفظ النفس، لا يتصوّر بقاء المفسدة، التي هي مناط الحرمة التكليفيّة.

على أنّ استعمال آلة الجراحة مباح في نفسه، ويترجّح لحفظ الصحة، ومع فرض الإنحصار يجب، ولا شبهة فيه، ولا إشكال. وعلينا إبداء الفارق بين العنوانين، وتطبيق عبارته على أحدهما فنقول:

التزاحم يقع مرّة في مرتبة التكليف، وإنشاء الحكم على موضوعه، المقدّر وجوده، فيعبّر عنه بالتعارض مرّة، وبالتناقض اُخرى، فتقع المزاحمة في مدلولي الدليلين، ومؤدّى الأمارتين في الواقع، والمنافاة فيما يحكيان عنه من المؤدى النفس الأمري من غير فرق بين أن يقول: أقتل زيداً ولا تقتله.

أو يقول: أوجبت عليك زيارة الحرم نهار الجمعة، وأوجبت عليك الجلوس في دارك نهار الجمعة، أو حرّمت عليك الخروج من دارك، سواء كان مدلولاً مطابقيّاً كما مثّلنا، أو تضمنيّاً، كقوله: صلّ مثلاً ولا تركع.

أو التزامياً كان يقول: يجب عليك استقبال القبلة، الذي يدلّ بالالتزام عل حرمة استدبارها، فإذا قال: أوجبت عليك استقبال الجدي، دلّ بالالتزام على حرمة استقبال القبلة، وهو تناقضٌ، فامتثالهما معاً لا يمكن، لا لأنّه لا يتمكن من استيفاء المصلحتين، بل لعدم إحرازه المصلحة الواقعيّة، وما هو مراد المولى ومطلوبه.

ومرّة يقع التزاحم في قدرة المكلّف، بمعنى أنّ التصادم يقع في مرتبة فعليّة الحكم، لا في مرتبة إنشائه.

وهو المراد من إطلاقهم لفظ «التزاحم»، ويعبّر عنه بالتضاد، وذلك لأنّ الحكم الواقعي النفس الأمري لا قصور فيه، وملاكه تامّ ومصلحته محفوظة، لكن قدرة المكلّف ليس في وسعها استيفاء المصلحتين، لا لعدم إحراز المراد

وغرض الولي، بل لقصوره وعجزه عن أمتثالهما معاً، فيكون هذا التزاحم سبباً لسقوط أحد الموضوعين، كما يكون في الأول سبباً لسقوط أحد الحكمين.

ويمثّل له بالصلاة وإنقاذ الغريق، أو بإنقاذ غريقين أحدهما يكون أباً أو عالماً، أو بصلاتين آية وفريضة.

والفرق بين التزاحمين يقع من جهات، فإنّ التزاحم الواقع في مرحلة إنشاء الحكم، يكون فيه متعلّق الوجوب هو بعينه متعلّق الحرمة. بخلاف التزاحم الواقع في القدرة، فإنّ متعلّق هذا الواجب غير متعلّق ذاك الوجوب، وموضوع هذا الواجب غير موضوع ذلك الواجب، وإنّما وقع الامتناع في مرتبة فعليّة المنشأ، لا في نفس الإنشاء؛ لأنّه قد جمعها زمان لا يمكن فيه استيفاء المصلحتين معاً.

٢ : إنّ العلاج في التزاحم بالمعنى الأوّل يكون رافعاً لحكم الموضوع، وبالمعنى الثاني لنفس الموضوع.

٣ : إنّ المرجّحات لأحد المتزاحمين بالمعنى الأول تفيد تقوية أحد الحكمين، وبالمعنى الثاني يثبت الأهم بالدليل.

٤ : إنّ التزاحم بالمعنى الثاني منحصر في باب القدرة، وقد يجرى في غيره قليلاً، بناء على أنّ التعجيز الشرعي كالتعجيز العقلي. وحينئذٍ فالمزاحمة في قوله: لا تنطبق على شيء من المعنيين.

أمّا الثاني، الذي هو مصبّ نظره، وسيفه الذي استلّه وشهره، ويسطو فيه، قد جرّد عليه. انظر واعتبر الفريقان، يجب انقاذ زيد، فعمرو موضوع سقط عن الاعتبار، والصلاة سقطت، بمعنى لم يبق لها موضوع، فالصلاة للآية تسقط بمزاحمة الفريضة، والإيذاء لا يسقط، لأنّ الألم موجود.

فغاية ما يمكن أن يقال بسقوط حكمه، وهو الحرمة، أو عدم وجوب تجنّب الإيذاء. ولا يعقل أن يقال: لم يبق موضوع للإيذاء الذي يحس ويجس ويبتر العضو ويقطع المفصل.

تقول: يندرج في القسم الأول.

نقول لك: لا يمكن، وذلك ظاهر؛ لأنّ شرطه المصادمة في الحكم عند إنشائه، ولا مصادمة في نفس إنشاء الحكمين عندما كلّف المولى؛ لأنّ حفظ النفس لا يزاحم إيذائها المحرّم إذا قال: أوجبت عليك حفظ نفسك، وحرّمت عليك إيذائها، أي شيء يكون من المزاحمة؟

قل لي بربك، كيف يصحّ للطالب المحصّل إدراج هذه المسألة تحت عنوان المزاحمة؟ ولا أخالك ترضى بالقول في الشيء وعدمه ضدّه، لو أردنا توجيه كلامه، سليقتك تأبى ولا تقبل.

لكن صوناً لملائيته عن الغلط، ندرج مسألته تحت عنوان اجتماع الأمر والنهي، مع فرض تسليم إيذاء النفس المحرّم في هذه العناوين، التي يجول حولها، التي منعت عليه منعاً باتاً مراراً.

ومنه يتراءا لك، جلاء وجهة المقدميّة، إن كان لها وجه يبتنى على القول بمقدّمية ترك الضدّ لوجود الآخر، وأنّ المقدّمة المحرّمة قد تجب إذا توقّف عليها الواجب، وكلا الأمرين منظور فيه.

أما مسألة الضدّ، فأقصى ما يمكن تسليمه ففي الضدّين لا ثالث لهما، وهو مع ما فيه من لزوم الدور، يبتني على جعل عدم المانع من أجزاء العلّة التكوينيّة، وليس هذا محلّ البحث.

على أنّ عدم الإيذاء ليس من أجزاء حفظ النفس، كما هو ظاهر.

وأمّا المقدّمة المحرّمة، فهي وإن اقتضت تفصيلاً طويلاً، إلّا أنّ أقصى ما يمكن تسليمه، أنّ الواجب ما إذا كان للتخلّص من المحرّم، وفرض انحصار التخلّص به، كما لو فرضنا أنّ التخلّص من الزنا أو قتل النفس المحترمة، يتوقف على المرو بدار زيدٍ عدواناً، فإنّ تم فهو، وإلّا فلا.

فاندراج هذه المسألة على مراده تحت قاعدة، يحتاج إلى مؤنة شديدة وكلفه زايدة.

وحديث «الضرورات تبيح المحظورات» على عكس مراده أدلّ؛ لأنّه نصّ في الرخصة، ومراده العزيمة، فيفيد إباحة ارتكاب الحرام، لا وجوب ارتكابه، كما هو نصّ الآية والرواية ﴿ **فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[١].

وحديث: «رفع عن أُمتي»[٢]، ومعناه رفع المؤاخذة وسقوط الإثم.

وكذلك لم يذهب أحدٌ، إلى أنّ أكل الميتة في الاضطرار، وشرب الخمر في الضرورة عند مَن جوّزه، إلى وجوبه، بل ذهب إلى جواز التناول بقدر ما يرفع الضرورة أو الاضطرار.

من هنا تعلم أنّه أُمّة وحده قبال الأُمة في أكثر الفتاوى، ويتّضح لك أنّ ما أفاده معاصره هو المطابق للقواعد؛ لأنّ استعمال آلة الجراحة مباح، وقد

---

(١) البقرة (٢): ١٧٣ .

(٢) وسائل الشيعة ١٥: ٣٦٩ حديث ٢٠٧٦٩، عن التوحيد: ٣٥٣ حديث ٢٤، والخصال: ٤١٧ حديث ٩.

يجب؛ مقدّمة للواجب إذا فرض توقّف الواجب عليه، لا أنّ كلّ مقدّمة للواجب واجبة، لفساد شبهة الكعبي، وعدم القائل بوجوب إرتكاب المحرّم ضرورة واضطراراً، بل غايته جواز ارتكابه ورفع العقاب والمؤاخذة معه.

وأمّا ما يتوهّم من سقوط الحدود، فليس بشيء؛ لأنّ الحدّ يدرأ بالشبهة، لا أنّ الموجب لسقوطه تبدّل عنوان الحرمة بالوجوب، كما أنّ قوله: «الاستحباب لا يعارض الحرمة»، فلم يفهمنا أنّ المعارضة في وقت الامتثال وعند اختيار المكلّف، لأنّ ترك المحرّم أهمّ من فعل المستحب، فالواجب مثله؛ لأنّ ترك الحرام أهم من فعل الواجب، كما إذا دار الأمر بين الصلاة والغصب، والصوم وقتل النفس المحترمة، وكما إذا دار أمره بين أن يصلّي ويزني، لا إشكال في أنّ ترك الغصب والزنا وقتل النفس أهمّ، فيختار المكلّف ترك الصلاة والصوم.

وإن أراد أنّ المعارضة في نفس إنشاء الحكم، ومرتبة صدرو الأمر من الآمر، فمسلّم أنّ المحرّم لا يكون مستحبّاً، كما أنّ المحرّم لا يكون واجباً، ومحالٌ ما يلزمه تركه أن يلزمه فعله، فلا مجال عند معارضتهما للاختيار أو التخيير، بل يتعيّن اختيار الأهم، الذي هو الخلاص من المحرّم ولو أدّى إلى ترك الواجب، لما عرفت من سقوط حكمه عند الابتلاء بالمعارض، إلّا على فرض نادر، أنّ المفسدة المترتبة على المحرّم قد ألغاها المولى، ونزّل وجودها منزلة عدمها، وتكون مغمورة مستهلكة في المصلحة.

وعلى هذا الفرض يتبدّل العنوان، ويكون غرض المولى تحصيل المصلحة، فليس من التزاحم في شيء، كما في مسألة الكذب في المصلحة

لا يخطر ببال أنّ المولى غير مريد للكذب؛ لوجود مفسدته، مع أنّه مريد له لمصلحته، بل المصلحة فيه هي الملحوظة، والمفسدة المفروضة لذات الكذب جعلها كلا مفسدة، عندما أنشأ الحكم على ذلك الموضوع المفروض وجوده.

وأين هذا ممّا أنت تريده، من أنّ المصلحة والمفسدة ملحوظتان في نظر الآمر، مع هذا يقدّم الواجب إذا كان أهمّ.

و«لا يطاع الله من حيث يعصى»[١] دليلنا على عدم معارضة الواجب للحرام، ولا يكون لك دليلاً فقط على عدم معارضة المستحب للحرام، بل لا يعارض الواجب.

و﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ**﴾[٢] هذه الآية وسابقتها الرواية، بناء على استدلالك، وكلّ متقشّف حذا حذوك في تشريع الطريقه النقشبندية، التي تتبرأ منها الآية والرواية، إذ الآية الشريفة مسوقة لبيان حكم النيّة، وخلوص القصد المقرّب من الله تعالى، واجباً كان أو نفلاً، لقوله تعالى ﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الآخَرِ**﴾[٣].

فالقبول الحقيقي إنّما هو للعبادة الخالصة من الرياء والشرك بالله، وبهذا نمنع صحّة عبادة الكافر وإن قلنا بوجوبها عليه، وأين هي من مراده؟!

---

(١) في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مروي عنهم عليهم السلام، وفي جواهر الكلام ٢٢: ٤٦، والقواعد الفقهيّة ١: ٢٦٠ : إنّه قول وليس حديثاً .

(٢) المائدة (٥): ٢٧ .

(٣) المائدة (٥): ٢٧ .

ولئن سلّمنا له التعميم، فعليه إبداء الفارق بين الواجب المبتلى بالحرام، والمستحب المبتلى بالحرام، حتى يجعلها برهانا لعدم الثاني للحرام، دون الأول.

ولو أغضينا عن كلّ ذلك، وأضربنا صفحاً، نحن نسأله: إنّ حرمة الإيذاء شخصيّة، أو نوعيّة؟

فإن كانت نوعيّة لزمه التمحّل في الالتزام بالمحال، فإنّ النوع المتضرّر بالصوم ـ مثلاً ـ إذا لوحظت أشخاصه الغير المتضررة، يلزمهم وجوب الإفطار، وإن لم يكونوا متضرّرين لتضرر النوع، فيسقط الواجب بغير مسقط.

وإن كان شخصيّاً، قلنا به، ولا يضرّنا؛ لأنّ الشخص المتضرّر نلتزم بحرمة فعله عليه، ونمنع من سراية الحكم إلى بقيّة أفراد النوع، أو تعدّيته إلى الأشخاص الذين لا يتضرّرون، كما هو موضوع بحثنا في هذه الرسالة؛ لأنّ وجود شاميّ[1] يتضرّر بالسماع في خروج الدم من شخص آخر، فيغمى عليه، لا يقتضي حرمته على سائر المسلمين، الّذين يجدون النفع والصلاح، أو فرض نادراً تضرر يسير، لا يلتفت إليه في الأحكام الشرعيّة، التي لا تخلو كلّها أو جلّها من ضرر جزئي يكون في مقابله النفع العظيم الأخروي.

كما ورد الحثّ والبعث على صلاة الليل، الذي يحصل فيها الضرر اليسير بترك النوم، الذي هو منفعة للبدن ومقدّمة للصحة، وخصوصاً الشابّ، فكيف يستجيز مسلم أو يستحلّ موحّد أن يقدم على القول بسقوط الأحكام

(١) يقصد به السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ) صاحب رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه».

كليّاً، باحتمال أيّ ضرر يسير، ولو فرض ترتب الضرر على الفعل، فاللاحق لا يوجب إبطال السابق.

وكيفما حاولنا حمل عبارته على معنى مشروع، أبت إلّا الحمل على الفساد ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾[1].

---

(١) يونس (١٠): ٤١.

[الجعل للأحكام لا للأفعال]

وقوله ص١٦ في ردّ معاصره: «إنّ الجعل للأحكام» إلى قوله: «جائز وغير جائز»[1] فهي وإن كانت مناقشة في الألفاظ، وتخطئة في التعبير، يقال له استفساراً: ما تريد من عمل الجوارح؟ أتريد منه ما هو في نفسه وحدّ ذاته، من أنّه مجرّد حركة الأعضاء البدنيّة، من دون أن يكون لتلك الحركة داع يستتبع حكماً شرعيّاً أو تكليفاً حكميّاً. فمسلّم، لكن، الخصم لا يريده قطعاً.

وإن كان المراد بما أنّه يستلزم الحكم، كحركة اليد بالقنوت، واللسان بالقراءة، وهكذا. فممنوع عدم اتصافها بالجعل وإن كان بالواسطة، بل الأحكام الوضعيّة كلّها من هذا القبيل، كالشرطيّة والمانعيّة وغيرهما، فإنّ غير المذكّى في حدّ نفسه ولحاظ ذاته ليس بمجعول، ونظراً إلى ما يترتّب عليه

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٣.

من الحكم بفساد الصلاة فمجعول، وتناله يد الجعل، ويقال: جعل شرطاً، والمانعيّة مجعولة مثلاً.

وما المراد من قوله: «جائز وغير جائز»؟

أمراده بالجواز: ما لا يدخل تحته الأحكام الخمسة التكليفية؟ جدير بالمنع؛ لأنّا لا نفهم من الجواز إلّا عدم المنع، فنتصوّر عدم المنع تارة مع الإلزام بالفعل، وتارة لا مع الإلزام، فنتصوّره إمّا أن يكون لرجحان في الفعل أو لمرجوحيّة الفعل، أو لا.

والأول الوجوب، والثاني الاستحباب، والثالث الكراهة، والرابع الإباحة، وغير الجائز لا نتعقّل فيه إلّا الحرمة، فهذه الأحكام الخمسة.

أو مراده من الجواز: مجرّد الإذن الشرعيّ، وعدم الجواز: عدم الإذن. فهو على تقدير تسليم مغايرته للمعنى الأوّل، حكم شرعيّ مجعول، يعني جعله بيد الشارع.

ولعلّ مراده أنّ سليقة التعبير تقتضي هذه التفرقة، إقتفاءً لآثار المؤلّفين، فلا ضير فيه، ويسقط قوله ص١٧: «فيه: أوّلاً: إنّ العمل الذي فيه ضرر» إلى آخره [(١)].

مع أنّك قد عرفت عدم الضرر في جميع هذه الأعمال، وأنّ أقواله الصادعة بالضرر، المنادية بأعلى صوتها بالأذى، ساقطه؛ لأنّها لم تبتن على أساس محكم، ولم تستند إلى ركن وثيق، لكنّا نتكلّم معه من باب المجارات.

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٣.

ثمّ قال: «قوله ـ يعني المعاصر ـ: لم يقم برهان عقليّ ولا نقليّ على منع جعله»[١]، مستطيلاً عليه بظنّه أنّه قد أصاب المقتل، بما أجاب به بعد سطرين هاتفاً: «فأين قول الفقهاء: «دفع الضرر المظنون واجب»، وأين اكتفاؤهم باحتمال الضرر الموجب لصدق خوف الضرر في إسقاط التكليف»[٢]؟.

وأكثرَ من قول: «أين أين» في عدّة أسطر، سجّل فيها الموارد التي يتبدّل فيها التكليف، وإن كان بعضها لا يخلو من الخدشة وكأنّه لم يسمع من الألسن إلّا «دفع الضرر المظنون واجب»، ولم يسمع «قبح العقاب بلا بيان»، ولو سمع بها لسطّر القاعدتين في صحيفة عقله، وترجمها بلسان ذكائه وحدسه.

ولا أستبعد سماعه بالقاعدتين، لكن اختلط عليه موضوعهما. ولو قلّد أهل الفنّ لأخبروه، أنّ مجرى تلك بعد الفراغ عن التكليف، وهذه للشكّ في أصل التكليف، فأنا أشكّ أفهذا العمل ضرريّ أم لا؟ كيف أجري فيه قاعدة المظنون؟

إنّ هذا الخطأ الأعظم والغلط الأكبر، يخطّ ويحرر في الطروس ويبرز أمام النياقدة بكلّ صلافة، لطريف.

وبالجملة، فالشكّ في الخروج عن عهدة التكليف، يكون فيه الضرر المظنون مأمناً عقلاً، لا أنّه يثبت أصل التكليف.

نوضح لك المراد: إنّ الغسل واجب ومكلّف به، وإذا ظننت الضرر في الغسل يتبدّل التكليف من الغسل بالتيمم، فإذا شككت في أنّي أتضرّر بالغسل، فاحتمال الضرر يكون مؤمناً عقلياً للانتقال.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٣.

(٢) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٤.

وبعبارة أُخرى: ترخيص عقليّ أو شرعيّ لترك ما كلّفت به، فإذا كان شكي أنّي كلّفت بهذا التكليف أم لا؟ فأين يقع وجوب دفع الضرر؟

ولو كان التكليف الحرمة، فالذي لا يعلم أنّه كلّف الدخول للسوق، أو كلّف بشرب الماء أم لا، نثبته بقاعدة دفع الضرر المظنون، فيكون شرب الماء محرّماً عليه.

لا يمكن أن يتفوّه به فقيه، وقول الفقهاء: «لا ندفعه ولا نمنعه»، لكن نفس هذه القاعدة لا تجري سوى حسن الاحتياط، ولا تنفع إلّا إذا انضمّت إليها أدلّة الضرر، وقلنا إنّها حاكمة أو واردة على أدلّة التكاليف.

وحينئذٍ ننظر في المورد الذي يكون مشمولاً للقاعدة، أي قاعدة نفي الضرر، كالموارد التي سجّلها قلنا به، وإلّا فلا.

وغير خفي أنّ قاعدة الضرر إنّما تسقط ما كان التكليف به ضرريّاً، أمّا ما لا تكليف به كالإباحة، فأيّ شيء يسقطه الضرر؟ لا أظنه يتفوه بمثل هذا عاقل أو فقيه.

على أنّ ظنّ الضرر ليس بضرر، ولا مانع من أن يتعبّدنا الشارع بمظنون الضرر، وإن أسقط عنا التكليف بمعلومه.

إلّا أن تريد من الظن: هو الذي قامت الأمارة المعتبرة عليه، وحينئذٍ هو كمعلوم الضرر؛ لأنّا لا نفرّق بين العلم والعلميّ.

ولو سلّمنا كلّ ما تقول، ولو بأضعف احتمال، نكتفي، لكن ما الحجة لك فيه على من لا يظنّ ولا يحتمل، بل ولا يخطر بباله ضرر، ولا يمرّ بواهمته؟! بل يقطع بالنفع الذي سببه العادة والتجربة، ومستنده الوجدان.

ونحن، وكلّ ذي سليقة في الفقه، ومعرفة بأحكام الشريعة، ينادي بأعلى صوته: يا أهل المواكب خصوصاً، وسائر المكلّفين عموماً، مَن خاف الضرر سقط التكليف، أو تبدّل على الرأي الصائب، ومن احتمل الضرر فليجتنب.

وماذا تقول، وبماذا تحتج أيّها المصلح بزعمك؟! وهم العاملون للأعمال، وعموم السواد، فضلاً عن العلماء والعرفاء، ويتجنّبون موارد الضرر ويحذرونها، ولو بحسب فطرتهم وارتكازهم، فلا يسلكون المفازة المعطّشة، ولا يرتكبون المضرّات، ولا يركبون متون الأخطار.

فالبسيط الساذج العقل تجده يحتج قائلاً: النفس عزيزة، وأنّ الله لا يقبل بالمضرّة، فيما إذا كلّفته أمراً يحتمل مضرّته، يجد المنصف ذلك في محاوراتهم.

لكن إذا احتمل الجبان، أو الصفراوي المزاج، أنّ هذه طريق مهلكة، ومفازة معطّشة، ونهى سالكها مراراً عديدة، فلم يجد بها إلّا الصلاح والنجاح، فهل بربك يحرم عليه سلوكها، ولا يجوز له اقتحامها؟ أم تراه ـ وهو عاقل مجرّب ـ يرضى بهذه الوسوسة.

ولو احتمل سفسطائي، أنّ ماء الورد سمّ قاتل، ونهى مَن اعتاد شربه مراراً، وشربه وجرّب منافعه، وعرف خواصّه، أيتجنّبة؟ ويقول: إنّه سمٌّ، والسمّ محرّم بقول ذاك القائل؟

فهل يركن العاقل المجرّب إلى هذه الواهمة الباطلة والخياليّة العاطلة؟ أيترك حسّه ووجدانه ويقلّد أحمقاً جباناً؟

أيسرّك أيه المنصف تقليد من يخبرك، بأنّ الثلج محرق ومذيب للأمعاء؟! ولو صال عليك بالعلّة الشعرية والمغالطة السفسطية، بأنّ فيه جزء نارياً. ولا أظن يقع موقع الاستحسان منك، لو أخبرك بضرر الثلج الذي واضبت عليه وداومت على شربه.

قل هكذا لأصحاب السيوف والمدى، الذين يجرحون رؤوسهم في كلّ عام، فجرّبوا ذلك مراراً عديدة، فوجدوا الصلاح، وفازوا بالنجاح، من النشاط وزيادة الصحة، وشفاء أمراض كانت في بعضهم، ضدّ ما يقوله المتهجّس والمخمّن الحادس للضرر توهّماً وخيالاً.

حتى أنّ أهل هذا العمل الفاضل ـ أعني الضاربين السيوف على الرؤوس، بالسلاسل على الظهور، واللاطمين على الصدور ـ أقوى الرجال وأصحّهم أبداناً. هاهم نصب أعين الناظرين، سرور المحبّ وغيظ الحاسد، ﴿**قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ**﴾[1] دليلهم فعليّ لا قوليّ، وبرهانهم حسيّ لا حدسيّ، والحمد لله على توفيق شيعة الحسين عليه السلام لخدمة الحسين عليه السلام.

---

(١) آل عمران (٣): ١١٩ .

[الفرق بين العمل الشاقّ والعمل المؤذي]

ثمّ قال بعد نقل كلام المعاصر، مناقضاً ومناقشاً بقوله: «فيه: أنّه أعاد الجعل، وقد عرفت أنّه ليس له هنا محلّ، وجمع بين الشاقّ والمؤذي، وهما غيران حكماً وموضوعاً، فالمؤذي: وهو الضار» إلى آخره[1].

وهذه عبارة تقضي بالعجب:

أمّا قوله: «مختلفان حكماً وموضوعاً» يقتضي التباين الكلّي، مع أنّه حكم بعدم التكليف فيها بقوله: «الضار لم يكلّف الله به» معناه أنّه لم يجعل الحكم، وقوله: «يحرم» يقتضي جعل الحكم، ولكنّ حرّم امتثاله وفعله بسبب الضرر المترتّب.

والفرق ظاهر بين عدم المقتضي، وبين وجود المقتضي لولا المانع.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٤.

وكيف كان فالمناقشة معه من جهات:

١ـ إنّ عبارة المعاصر تنادي بالمغايرة بأعلى صوتها، وقرينتها معها، وهو العطف، فقول القائل: جاء زيد وعمرو، ظاهر المغايرة، بل زيد وزيد، فالثاني غير الأوّل؛ لأنّ الشيء لا يُعطف على نفسه.

٢ـ إنّا لا نسلّم اختلاف حكم الشاقّ والمؤذي، فإنّهما إذا بلغا درجة الضرر والعسر سقط التكليف، أو تبدّل، وإلّا فلا.

٣ـ نمنع التباين والمساواة، إذ ليسا بضدّين، ولا نقيضين، ولا مترادفين لغة، ولا النسبة بينهما التساوي.

أمّا التباين، فمرجعه إلى السلب الكلّي، فيقال: الإنسان ليس بحجر، والحجر ليس بإنسان كليّاً، وإلّا لصدق بعض الحجر إنسان. كما لا يقال: المؤذي ليس بشاقّ، والشاقّ ليس بمؤذي كليّاً، إذ يصدق: بعض المؤذي شاق.

وأما التساوي، فمرجعه إلى الإيجاب الكلّي، فيقال: كلّ إنسان ناطق، وكلّ ناطق إنسان، وإلّا لصدق: بعض الإنسان ناطق. كما لا يقال: كلّ مؤذي شاقّ، وكلّ شاقّ مؤذي، إذ يصدق: بعض المؤذي شاقّ.

أمّا العموم والخصوص من وجه، فمرجعه إلى موجبة جزئيّة وسالبتين جزئيتينن، فيقال: بعض الحيوان أبيض كالروميّ مثلاً، وبعضه ليس بأبيض كالزنجي، وبعض الأبيض ليس بحيوان كالقرطاس.

فلا يقال: بعض الشاقّ مؤذي، فتتعيّن نسبة العموم والخصوص المطلق. ومرجعه إلى موجبة كليّة، موضوعها الأخصّ، ومحمولها الأعمّ. وسالبة جزئيّة، موضوعها الأعمّ، ومحمولها الأخصّ. نحو كلّ إنسان حيوان، وبعض

الحيوان إنسان. وإلّا لصدق: كلّ حيوان إنسان، فيقال: كلّ شاقّ مؤذي، وبعض المؤذي شاقّ.

ومنه يظهر متانة قول المعاصر، حيث عطف الأعمّ على الأخصّ، كما يقال: الإنسان والحيوان. وضعف ما قرّره من التغاير، وخطأ فهم التساوي من كلام المعاصر.

٤ـ إنّ الضرر والأذى ليسا من المترادفين لغةً، ولا المتساويين نسبة، كما توهّمه، حسبما قرّرنا، بل النسبة العموم والخصوص المطلق.

أمّا كون الأذى أعمّ، فقوله تعالى: ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا**﴾[1] فالأذى هنا أعمّ من الضرر، فإنّه يشمل التعيير والتوبيخ والاستخفاف، والشتم والضرب والقتل، وجميع أنواع الأذى.

أمّا انفراد الأذى، فنحو قوله تعالى: ﴿**يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾[2] أي بنسبة الولد والشريك له، والسحر والكهانة للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإلّا فنسبة الضرر ـ وهو إدخال النقص في الأعيان، حسبما فسّروه ـ محال على الله.

أمّا انفراد الضرر، فقوله ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ**﴾[3]، فإنّ تعلّم السحر ضرر، لا أذيّة فيه.

أمّا مادة الاجتماع فظاهرة.

٥ـ وإنّ التكليف ـ كما أفاده المعاصر ـ معناه الشاقّ لغة، قال في «القاموس»: التكليف: الأمر بما يشقّ عليك[4].

---

(١) النساء (٤): ١٦.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٥٧.

(٣) البقرة (٢): ١٠٢.

(٤) القاموس المحيط ٣: ٢٥٩ «كلف».

وفي «المصباح»: التكاليف المشاقّ، وكلّفت الأمر: حملته على مشقّة[١].

ومثله في «مجمع البحرين»[٢]، وقال فيه: وفي عرف المتكلّمين بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقّة. وهو كذلك عرفاً، أي في عرف المتشرّعة، فالمسألة فقهيّة وأُصوليّة مرّة، وكلاميّة أُخرى.

والتحقيق: أنّ التكليف إن بلغت مشقّته إلى حدّ يخرج به عن تحت القدرة والطوق، وهو المعبّر عنه بما لا يُطاق تارة، وبغير المقدور أُخرى، امتنع التكليف به على أُصولنا، من أنّ الله لا يكلّف بالمحال، وبغير المقدور، وما لا يطاق.

وإن لم يبلغ تلك المرتبة، لكن كان يؤدّي إلى التضييق الشديد، والكلفة التي لا تتحمّل عادة، وإن أمكن عقلاً رفعه امتناناً وتفضّلا من الله على العباد؛ لقوله ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[٣].

وإن لم يصل إلى تلك الدرجة، أي درجة العسر، فلا مانع، بل المقتضي للتكليف بها موجود، وهو المقابلة بالثواب الأعظم والمانع مفقود، وهو العسر، وخير الأُمور أحمزها، بل الأجر على قدر المشقّة.

أيّها القارئ الكريم والعارف الحكيم، ألست ترى من وجدانك، إذا كلّفت شخصين بتكليفين، أحدهما أشقّ من تكيف الآخر، أنّ الذي كلّفته بالأشقّ أقرب إليك وأوقع في نفسك، وتخصّه بكرامتك، وتجزل له المرغبات

---

(١) المصباح المنير: ٥٢٢ «كلف».

(٢) مجمع البحرين .

(٣) الحج (٢٢): ٧٨.

والمشجّعات، على احتمال الأذى في جنب مرضاتك، ليحصل له المزيد من كرامتك، ويرغب غيره في التقرّب إليك، بما يرضيك.

فلا يجد لتلك المشقّة التي احتملها، والأذيّة التي تحمّلها، أثراً في قبال ما منحته به وخصصته فيه.

فلو أنّك جبهته بالرد أو الطرد والتبعيد عنك بالملامة والتوبيخ والتقريع والتعنيف بأنّك عصيتني وخالفت أمري بارتكابك الشاقّ وتحمّلك المؤذي، أنا لم أُكلّف بأيّ مشقة جزئية أو أذيّة ولو يسيرة لتنفّر عنك كلّ من يسمع مقالتك ويقول: إنّه لا يجازي المثل العامي: «إذ ما لم تجازى لا تعابي».

فاذن يتقرب إليك كلّ أحد بالمعصيّة في ترك أوامرك، ولو أردت ملامته وتوبيخه أجابك: أنت أمرتني بهذا، أنا لا احتمل هذا ولا أتحمّله.

فإذا قلت: ليس هذا بمشقّة.

قال: أنا أعرف بنفسي، وأعلم أنّها لا تطيق المشقّة الجزئيّة والأذيّة اليسيرة، لا أقدر أن أتوضّأ؛ لأنّه يتقشّف وجهي، ولا أستطيع القيام للصلاة؛ لأنّه يشقّ عليّ الوقوف، ولا أتمكّن من الركوع؛ لأنّه ينقطع ظهري، ولا استطيع الجهر بقرائتي، أخاف البحّة في صوتي، لا لا لا، حتّى يستقصي لك التكاليف كلّها.

فقل لي بربك: أمثل هذه تصدر ممّن يعدّ نفسه المصلح؟! كلا.

دع هذا، وأعد النظرة ثانياً، إذا كان لك عبيد كلّهم قد ساويت بينهم في التكليف، وكلّهم كان لك مطيعاً، وكان أحدهم يسرع إلى امتثال أوامرك، والآخر يتثاقل، وبعضهم لا يرى خدمتك في الهاجرة وحمل الأثقال ومجانبة النوم، وغيره من ملاذه، الّا لذة عظيمة، ويؤثر هواك على هواه، فيقوم اللّيل ساهراً يراقب انتباهتك لأمر تريده منه، ويمشي في الهاجرة مسارعة في قضاء لوازمك.

والآخر راقد الليل كلّه، إذا حرّكته لا ينتبه، وإن ناديته لا يصغي لندائك، وإن بدا لك شغل في بعض الأسواق أو حاجة عند شخص، أو كلمة يبلغها إلى أحد، اعتلّ بعدم الطاقة أتعدّه المطيع الممتثل المستحق للكرامة؟ وذاك العاصي المحروم المغبون المستحقّ للندامة؟

تلك لعمري كلمة العدل والإنصاف ﴿**فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ**﴾[1].

﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ**﴾[2].

---

(١) يونس (١٠): ٤١.

(٢) النحل (١٦): ٧٦.

[هل التكاليف كلّها مشتقّة من الكلفة؟]

ولو أوقفك العقل موقف النصف، أيقنت بقوّة قول المعاصر حسبما نقله عنه ص١٨ بقوله: «ومن الطريف قوله: «التكاليف كلّها مشتقّة من الكلفة» إلى آخره، واستشعرت سماجة ردّه عليه وسقامة قوله: «فيه: إنّ تكاليف العباد لا تتفاوتت بالنشاط والكسل والقوّة وعظمة المعرفة» إلى آخره[1].

هذا النقد الغريب، ولا يعزب عن البصير الناقد، أن ليس غرض ذلك الفاضل، بيان أنّ التكليف يقبل الشدّة والضعف، بحسب حالات المكلّف من القوّة والضعف والكسل. ولئن أراده، فليس بمعيب ولا بغثّ ولا سقيم، بل صحيح ومستقيم.

نوضّح لك المعنى وإن كان جليّاً: إنّ التكليف يختلف بحسب حالات المكلّفين، فالحضريّ الذي يتقشّف وجهه من استعمال الماء ـ جرياً على برهانه

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٥.

السابق ـ يسقط عنه الوضوء، بخلاف القرويّ الذي لا يتقشّف وجهه من الماء. فاختلف التكليف بحسب الأشخاص.

نحن رأينا في أطراف العراق، مَن يُكسّر الثلج ويغتسل فيه بارزاً للهواء، في اليوم الشديد البرد، مدّعياً تضرّره بالماء المسخّن، فهل يعقل الإفتاء له ببطلان غسله؛ بعلّة أن لو كان مدنيّاً لتضرّر.

بل قد يتصوّر بالنسبة إلى شخص واحدٍ في زمانين، كالصبح والظهر، لكن ذلك الفاضل لا يريد هذا المعنى، بل مراده أنّ مشقّة التكاليف لها مراتب طوليّة وسلسلة صعوديّة.

فربما كان شخص مثلاً كان يقدر على حمل رمانة، وآخر على حمل عشرة، وآخر على حمل عشرين، وقلت لعبيدك احملوا الرمّان، فمعناه أنّ كلّ واحد يحمل مقدار ما يطيق، لا أنّه احملوا بمقدار ما يستطيعه الأضعف.

وهذا حقّ؛ لأنّ التكاليف كلّها من سنخ واحد، لكن أشخاص نوع المكلّفين تختلف: فربّ شخص يصوم النهار ولا يجد أذيّة، وآخر يصوم مع وجود أذيّة يسيرة، وهكذا حتى تنتهي إلى درجة العسر والحرج.

يؤيد هذا اتفاق العلماء، وإن اختلفوا في أنّ الإكراه يوجب سلب الإختيار أم لا، أنّ الإكراه يختلف باختلاف الأشخاص: فربّ شخص يتحقّق الإكراه بالنسبة إليه بمجرّد التهديد، وآخر لا يتحقّق الإكراه بالنسبة إليه إلّا بالضرب، وآخر بالزج في السجن، وهكذا.

وبالجملة، المشقّة تلحظ بحسب حال الشخص في نفسه، لا في نوعه، فإن كانت بالغةً إلى حدّ لا تتحمّل عادة، أو توجب ضرراً لا يتسامح فيه، بأن

يمرض مرضاً شديداً وأمثاله، حرم الفعل عليه، لا على غيره من النوع الذين لا يتضرّرون.

وإن لم تبلغ هذه المرتبة، فلا توجب حرمة الفعل عليه، فضلاً عن غيره، ولا توجب سقوط التكليف، بل تكون أدعى للبعث على الطاعة، وأقوى على الحثّ للإمتثال، لما يقابلها من الثواب والأجر، فإنّ «خير الأُمور أحمزها»[١]، و«الأجر على قدر المشقّة»، مؤيداً بما ورد من صفة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه «ما خيّر بين أمرين في ذات الله إلّا اختار أشدّهما»[٢].

ويشهد له فعل عمّار بن ياسر في بناء مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، أو في حفر الخندق، نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يحمل حجرين حجرين، وعرقه يرشح، والمسلون يحملون حجراً حجراً، فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ ابن سميّة رجل لا تمسّ جسده النار»[٣].

ولقد أجاد ذاك الفاضل في إيراد هذا، ردعاً لمانع أعمال الشبيه.

أمّا كون الأنبياء لم يكلّفوا بتكاليفنا، ومقتضاه اشتراكنا معهم في جميع التكاليف.

دع أنّه يقتضي اشتراكنا معهم في النبوة، لأنّهم كلّفوا بالأمر والتبليغ المشروط بأنّه يسمع ويؤمن معه الضرر، إلى غير ذلك.

---

(١) بحار الأنوار ٦٧: ١٩١ و ٢٣٧ و٨٢: ٣٣٢، وفيها «أفضل الأعمال أحمزها». و٧٩: ٢٧٩، وفيه «أفضل الأعمال أحمزها» .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦:١١٣.

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ٢٥، عن كتاب صفّين: ٣٢٣ .

أغض عن هذه الجهة، وانظر ما المراد من الاشتراك: أفي التكاليف العامة والعناوين الكليّة، بمعنى أنّ كليّة الصلاة واجبة على عموم المكلّفين، وكلّي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون ملاحظة الأفراد، فمسلّم.

لكن جهة التكليف تختلف، فإنّي مكلّف بصلاة سبع عشرة ركعة، والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كلّف بها وبإحدى عشرة غيرها.

ونفترق عنهم من جهة أُخرى، فإنّا نكتفي بظنّ الضرر، كما ذهب إليه سابقاً، ونسبه لاحقاً في سقوط الأمر، وهم لا يكفي ذلك، وإلّا لفات الغرض من بعثة الرسل.

وهناك افتراق آخر بيننا وبينهم: أنّ تارك الأولى منّا لا يُعاتب بما يشبه التوعيد والتهديد، وهم يعاتبون بذلك، ويهدّدون بإرتكاب المعصية تارة، واقتراف الذنب أُخرى.

أو كان مراده أنّهم لم تختصّوا بتكليف خاصّ، ونحن لم نكلّف بتكليف خاصّ.

فنمنعه أيضاً عليه، فنحن لنا تكاليف خاصّة، ذكر الفريقان ـ العامة والخاصّة ـ من الخصائص النبويّة والأُمّة المرحومة كثيراً، ذكر منها في تاريخ الخميس ما ينوف على الأربعمائة[1]، ويقرب منه ما في البحار[2]، ونحن نشير إلى بعض ذلك، مكتفين باليسير.

---

(١) تأريخ الخميس ١: ٣٩٠ باب «ذكر خصائصه عَلَيْهِ السَّلَام».

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٩٩ باب «فضائله وخصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه».

فمنها عن المؤرّخ المذكور: إباحة الغنيمة، فتكليفنا نحن فيها الحلّ، وتكليف الأُمم السابقة الحرمة، وكذلك هو من طرقنا.

ومنها: إباحة الأرض مسجديّة وطهوراً، دون الأُمم السالفة، وكذلك هو من طرقنا.

ومنها: استقبال الكعبة، دون الأنبياء والأُمم السابقة، ما عدا إبراهيم، وكذلك هو من طرقنا.

ومنها: الصفّ في الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة والجمعة، والأكل والشرب ليلاً إلى الفجر في الصوم، وكذلك الجماع، وقد كانت حراماً على الأُمم قبلنا.

ولم يجعل علينا الحرج، ورفع عنّا المؤخذه بالخطأ والنسيان والإستكراه، ووضع عنّا القتل في التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربع عشر المال في الزكاة، وأُحلّ لنا نكاح الأربع ومتعة غير أهل ملّتنا، ومخالطة الحائض سوى الوطء، والتخيير بين القصاص والديّة.

وحرّم علينا كشف العورة، والتصوير، وشرب المسكر.

وأمثاله كثير ثابت بإتقاق الفريقين.

وأيضاً كلّفنا بتقديم الصدقة أمام نجواه ﷺ، وبعدم رفع الصوت عنده.

وكلّفنا بالصلاة عليه وعلى آله، وكلّفنا بإمتثال أوامره، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم.

أمّا تكاليف الأنبياء الخاصّة وإن لم يمكن احصاؤها، ففي التنبيه كفاية للنبيه.

فآدم أبو البشر كلّف بعدم الأكل من الشجرة، ونوح ببناء السفينة، وإبراهيم بذبح ولده، وهو وولده إسماعيل ببناء البيت، وموسى بصيام أربعين يوماً وبمصاحبة الخضر، ويوشع بقتال أريحا، وسليمان ببناء بيت المقدس، وعسيى بعدم الزواج.

وخصائص نبيّنا صلى الله عليه وآله أظهر، حتّى عدّ صاحب تاريخ الخميس من خصائصه صلى الله عليه وآله ما يفوق الأربعمائة، وشيخنا المجلسي في بحاره ما يقرب منها، فعليك بمراجعة الكتابين.

وذكر منها في متن «الشرائع» المحقّق أعلى الله مقامه: «السواك، والوتر، والأُضحية، وقيام الليل، وتحريم الصدقة الواجبة، وخائنة الأعين. وأُبيح له الوصال في الصوم»[1]، إلى غير ذلك من خصائصه المشهورة.

وكذلك الأئمة عليهم السلام، حسب ما في صحائفهم، كتكليف أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر حيناً من الدهر، وكتكليف الحسن عليه السلام بمصالحة الباغي، وتكليف الحسين عليه السلام بعدم الانقياد والتسليم لأهل الفجور والشقاء، وهكذا باقي الأئمة عليهم السلام.

ووثوقاً بسلامة فطرتك وثقافة فكرتك، أرجو أن لا يفوتك حسن الفقرة التي أودعها الفاضل المعاصر، حيث قال: «ومِن هنا كانت تكاليف الأنبياء والأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل»[2].

(١) شرائع الإسلام ٢: ٤٩٧.

(٢) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤: ٥٦١. وانظر التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٢.

لعمري أنّها لفقرة تعجب حسناً ورونقاً، صدق حيث اقتبس معنى الآية الشريفة ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(١) وما أظنّ الشاعر العربي إلّا ناظراً بآخر لمحة إلى هذا المعنى، حيث تلطف قائلاً:

على قَدرِ أهلِ العَزم تأتِي العَزائمُ   وتأتي عَلى قَدَرِ الكِرام المكارمُ(٢)

يا ترى لمؤلّف التنزيه ما يحكم في المعذّبين في الله، كعمار بن ياسر، وأُمّه سميّة، وخبّاب ابن الأرت، ونظرائهم، الذين عذّبوا في الله فصبروا على أمر عظيم فوق المشقّة وفوق الضرر.

فهل يحكم عليهم أنّهم ارتكبوا الحرام لقاعدة الضرر؟ أم يحكم عليهم بأنّهم لم يفعلوا حراماً، بل كان هذا الواجب عليهم؟

فإنّ حكم بإرتكابهم الحرام، فقد خالف الضرورة، وكذّب القرآن.

وإن نفى فعل الحرام في حقّهم، سقطت الحجّة التي جعلها الركن الأعظم والحجر المعظّم.

وإنّي لأتمنى أن يفصح صراحة حال كبار الصحابة، كأبي ذر، الذي قاسى ما قاسى من تسفيره إلى العراق مرّة، وإلى الشّام أُخرى، ويركب على

---

(١) الكهف (١٨): ٧.

(٢) مطلع قصيدة معروفة ومشهورة، لأبي الطيّب المتنبّي، أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤ هـ) قالها في مدح سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦ هـ)، والبيتان اللذان بعده:

وتعظمُ في عين الصَغير صِغارُها   وتصغر في عين العَظيم العظائم
يُكلّف سيفُ الدَولةِ الجيش همّه   وقد عَجِزتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ

راحلةٍ لا وطاء لها، ويحثّ السير فيه حتى تناثر لحم فخذيه وساقيه، وأخيرا أبعد عن حرم الرسول صلى الله عليه وآله إلى فلاة من الأرض، مات بها غريباً.

وكعمار بن ياسر، الذي أصابه الفتق في بطنه، بسبب ما جرى عليه من الضرب، ونظرائهما.

وأيّ ضرر أعظم من التعرّض للسلطان؟! وأيّ مشقّة أعظم؟!

فهل فعلَ أبوذر وعمّار فعلاً محرّماً، فاستوجبا سخطاً؟ أم فعلا واجباً؟

فإن قال: فعلا محرّماً، فقد خالف ضرورة المذهب، والنصّ الصريح: «تدخل الجنّة وحدك»[(١)] لأبي ذر، و«أنّ أبن سميّة رجل من أهل الجنّة»[(٢)] أو «لا تمسّ جسده النار»[(٣)] لعمار.

وإن قال: فعلا واجباً عليهما، فقد سقطت تلك المعجزة، التي أظهرها لإثبات دعوى حرمة أعمال الشبيه.

ولا يهمنا إثبات أنّ التكليف يقبل الشدّة والضعف، وإن كان لك بما مرّ كفاية،كما لا يهمنا بيان أنّ البلاء هو الدنيوي أم الأُخروي.

---

(١) انظر السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ٣٢.

[قيام المعصومين عليهم السلام بالعبادات الشاقّة]

ولكن هلمّ بنا، ودع ذاك جانباً، لننظر إلى الطامّة الكبرى، والداهية العظمى، القاصمة للظهر، الموغرة للصدر لنلاحظ أوقف عند الغاية في موجعات القلوب والأكباد؟! أم تجاوز في المزعجات حدّ الأدب؟!

أتوقف، أم ضلّ يدرج لا إلى نهاية، ويتدحرج إلى أبعد غاية؟!

بلى قد تجاوز الحدّ، فابتعد في شوطه الذي كثر فيه عثاره، وأزعج مخدرة الإسلاميّة ومحجّبة الديانة مغارة، وأوتر سهماً من كنانة تقريعه، فأنفذ في أفئدة المتديّنين، حيث شكّ به رامياً حشاشة الملّة والدين.

ماذا أُنبئك أيّها القارئ الكريم؟! وعلى ماذا أُطلعك أيّها الحرّ المنصف؟! فعلى فكرك السليم وتنويرك السلام إن احتجت إلى التفهيم.

إنّي لأعود أبكماً، وأخرس اللسان عن البيان والتبيان، إذا عدت أفتكر، أو أجلت النظرة الأُخرى في تلك الفاجعة الموجعة، والفادحة الجائحة.

خلال النظر أجد حرارة الأسف تغلي وتتقد، ولذعات الأسى المحرقة تصطلي بها الأمعاء والقوى، فتتدافع تلك الأشجان، متصاعدة مع الأنفاس حسرة ولهفة، مصاحبة شظف القلب وشظايا الكبد، متطايرة في جوّ الجوف وفضاء الحلقوم، المحترقين حنقاً وغيظاً.

أعلى نبيّنا سيّد الأنبياء يتهجّم؟!

أم على الأسد الحامي للدين والديانة يتقحّم؟!

لا وأبيك، ما بعد عبادان قرية، إلى هنا تصل الألسن، ولمن تنتاش المقاول؟!

قف، فقد أخترقتَ حجب المهابة، ورفعتَ أستار النبوّة، وعدتَ تمزّق بإهاب الإمامة وخرق جلباب العصمة.

بأبي يا أبالفضل، قتيل معركة الشقاء يوم كربلاء، تصبح صريع معركة الأهواء والآراء. يا حامل اللواء، وساقي العطاشى الماء، وهذه الحملة الشنعاء، والغارة الشعواء، قد أغارت على خير من برّ الله ورسوله، الذي ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى**﴾[١] وآله الهداة البررة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[٢]، «فألحقك الله بالصالحين وحشرك مع النبيّين»[٣].

ولنقدّم للنيقد البصير، نصّ عبارة المعاصر، تحفة للقارئ الكريم، ليتعلّم ما الذي أسخطه منها وأزعجه، حتّى تناول قداسة الرسول، ومسّ كرامة

---

(١) النجم (٥٣): ٣.

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٣) مفاتيح الجنان: ٣١٢ .

النبي صلى الله عليه وآله، المنزّه عن النقائص كلّها، ها ألفاظه التي سطّرها هذياناً في ردّه هذا الصؤول، المجترئ على قداسة الرسول.

ص١٩ قال المعاصر: «ولو كان الشاقّ ـ وإن دخل تحت القدرة والطوق ـ غير مشروع، ما فعلته الأنبياء والأولياء، ألم يقم النبيّ صلى الله عليه وآله للصلاة حتّى تورّمت قدماه؟!

ألم يضع حجر المجاعة على بطنه مع اقتداره على الشبع؟!

ألم يحجّ الأئمّة مشاة حتّى تورّمت أقدامهم، مع تمكّنهم من الركوب؟!

ألم يتخذ علي بن الحسين عليهما السلام البكاء على أبيه الحسين عليه السلام دأباً، والامتناع من تناول الطعام والشراب، حتّى يمزجهما بدموع عينيه، ويغمى عليه في كلّ يوم مرّة أو مرّتين؟!

أيجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام من إدخال المشقّة على أنفسهم طمعاً بمزيد الثواب، ولا يجوز لغيرهم؟!

أيباح لزين العابدين عليه السلام أن ينزل بنفسه ما ينزل من الآلام؛ تأثّراً وانفعالاً من مصيبة أبيه عليه السلام، ولا يباح لوليّه أن يؤلم نفسه لمصيبة إمامه؟!

أينفض العباس عليه السلام الماء من يده، وهو على ما هو عليه من شدّة الظمأ، تأسياً بعطش أخيه، ولا نقتصّ أثره؟!

أيقرح الرضا عليه السلام جفون عينيه، والعين أعظم جارحة نفيسة، ولا نتأسى به» إلى آخر عبارة هذا الفاضل الفاضلة[1].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٧.

[تورّم قدمي النبيّ ﷺ في الصلاة]

ثمّ أجاب ـ وليته لا أجاب ـ ص٢٠ قائلاً: «قد عرفت أنّ المشقّة ـ إلى قوله ـ أمّا استشهاده بقيام النبيّ ﷺ للصلاة حتّى تورّمت قدماه، فإن صحّ فلابدّ أن يكون من باب الاتفاق»[١].

مراده: أنّ الورم الناشئ من قيام النبيّ ﷺ اتفاقي، لم يكن للنبيّ ﷺ به علم، إلى أن قال:

«وإلّا لم يجز القيام المعلوم أو المظنون أنّه يؤدّي إلى ذلك، لأنّه ضرر يرفع التكليف، ويوجب حرمة الفعل المؤدّي إليه، وإلّا فأين ما اتفق عليه الفقهاء من أنّه إذا خاف المكلّف خشونة في الجلد وتشقّقة»[٢] إلى آخر تلك الألفاظ الفظة الغليظة، والفضائع المستهجنة، التي لها صدىً يرن وقعه في أسماع المسلمين..تَعالوا على الإِسْلامِ نَبْكي ونَلْطُمُ[٣].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٨.

(٢) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٤.

(٣) عجزُ بيت من قصيدة طويلة للشاعر أبي المعالي، سالم بن عليّ التغلبيّ النيليّ، المعروف بابن العودي (ت ٥٥٨ هـ)، مطلعها:

مَتى يَشْتَفي مِـن لاعـجِ القَلـبِ مُغْـرَمُ ... وَقَدْ لجَ في الهجرانِ مَنْ ليسَ يَرْحمُ

⇦

فقوله: «إن صح»: أمّا الصحّة فمسلّمة عند حملة العلم ونقلة الآثار، ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾[1] أي أشدّ كلفة، كما فسّره في حديث طويل نقله ج٦ من البحار ص١٩٨ و روى فيه ـ طبعة طهران ج٦ ـ عن الأمالي بسنده عن عمرو بن هند، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«قال علي بن الحسين عليهما السلام: إنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد بأبي وأُمي حتّى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً»[2].

وسيمرّ عليك في عبادة زين العابدين عليه السلام روايته ثانياً في مخاطبة جابر[3].

وروى في البحار عدّة روايات، بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلّف بما لم يكلّف به غيره، وهو أعظم ما يكون من المشقّة:

منها: رواية سليمان بن خالد ج٦ ص٢٣٥ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الناس لعليّ عليه السلام: إن كان له حقّ، فما منعه أن يقول به؟ قال: فقال عليه السلام:

⇦ وتمام البيت:

أشورى وإجماعٌ ونـصٌ خِلافـةٍ   تَعالوا على الإسلامِ نَبْكي ونلطُمُ

(١) المزمل (٧٣): ٦.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٧ حديث ١٤٣، عن أمالي الشيخ: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) انظر المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٨٩.

«إنّ الله لم يكلّف هذا إلّا إنساناً واحداً، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] على القتال[2].

ورواية أُخرى بمضمونها[3].

فأيّ كلفة أشقّ وضرر أعظم من تكليف شخص واحد في قبال العالم كلّه؟! لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حين نشر دعوته، كانت الدينا حينئذ تموج بالأضاليل، وتتموج بالأباطيل.

ومنها: رواية الثمالي عن عيص، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلّف ما لم يكلّف به أحد، أن يقاتل في سبيل الله وحده، وقال: حرّض المؤمنين عل القتال، وقال: إنّما كلّفتم اليسير من الأمر أن تذكروا الله»[4].

والظاهر أنّ تكاليف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أشدّ التكاليف، ويشهد له تتبّع الروايات الواردة في هذا الباب.

أمّا كون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يشبع قطّ، أو كان يتحمّل مشاقّ الجوع مع القدرة على الشبع. فما كنت أحسب أنّ أحداً يقدم على إنكاره، ولكن الليالي تولد العجائب.

---

(١) النساء (٤): ٨٤.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٣٤٠ حديث ٢٩، عن تفسير البرهان ١: ٣٩٨.

(٣) بحار الأنوار ١٦: ٣٤٠ حديث ٣٠، عن تفسير البرهان ١: ٣٩٨.

(٤) بحار الأنوار ١٦: ٣٤٠ حديث ٣٢، عن تفسير البرهان ١: ٣٩٨.

وحيث كان ديدننا تشريف هذه الرسالة بالقليل من الروايات لليمن والبركة، والتنبيه للغافل على خطأ المغفّل، وإلّا فجمعها يعسر علينا في هذه المدّة القصيرة، وسيّما مع تفرّقها في الكتب وتشتتها في الأبواب والفصول.

في ج٦ من البحار ص٢١٦ عن الكافي، بسنده إلى هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما كان شيء أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يضلّ خائفاً جائعاً»[١].

وفيه عن الكافي، بسنده إلى محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، وذكر حديثاً في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله، إلى أن قال: «يا محمّد لعلك ترى أنّه شبع من خبز البرّ ثلاثة أيام متوالية، منذ بعثه الله إلى أن قبضه؟ أما أنّي لا أقول: إنّه كان لا يجد، لقد كان يجيز الواحد بالمائة من الإبل، ولو أراد أن يأكل لأكل، ولقد أتاه جبرئيل بمفاتيح الأرض»[٢] وتمام الحديث ص٢١٧، ورواه في الوسائل ص٢٦٤ مثله[٣].

وفي الوسائل ص٢٦٣ عن الأمالي، بسنده إلى عيص بن القسم، قال: قلت للصادق عليه السلام: حديث يروى عن أبيك عليه السلام: أنّه ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله من خبز برّ قطّ، أهو صحيح؟ فقال: «لا، ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله خبز برٍّ قطّ ولا شبع من خبز شعير قطّ»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ١٦: ٢٧٩ حديث ١١٩، عن روضة الكافي: ١٢٩ .

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٧٧ حديث ١١٦، عن روضة الكافي: ١٢٩ ـ ١٣١ .

(٣).وسائل الشيعة ٢٤: ٢٥٠ حديث ٣٠٤٦٥، عن روضة الكافي: ١٢٩ حديث ١٠٠ .

(٤)وسائل الشيعة ٢٤: ٢٤٤ حديث ٣٠٤٤٩، عن أمالي الصدوق: ٢٦٣ حديث ٦ . وانظر بحار الأنوار ١٦: ٢١٦ حديث ٤

يؤيّده المشهور روايته عن عبيد الله ابن أبي رافع ـ أو هو غيره ـ حين دخل على أمير المؤمنين عليه السلام وقت إفطاره، وقد قدّموا له قرصي شعبر بنخالتها، فالتفت إلى فضّة وقال: فضة! أما تتّقون الله في هذا الشيخ ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ هلا نخلتموه له؟

فقالت له فضّة: إنّه يأمرنا.

قال: فالتفت إلى أمير المؤمنين، ودمعت عيناه، قال: بأبي وأمي مَن لم يشبع ثلاثاً من خبز الشعير[١].

وهذا الخبر لم أنقله بألفاظه وإنّما نقلت معناه بما يقرب من ألفاظه.

وفي البحار ج٦ ص٢٠٢ عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حفر الخندق، إذ جاءت فاطمة عليها السلام، ومعها كسيرة من خبز، فدفعتها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا فاطمة؛ أما إنّه أوّل طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاثة أيام»[٢].

وفيه ص٢١٩ نهج البلاغة إلى قوله عليه السلام في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله: «أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً»[٣].

والخميص: الجائع، والمخمصة: المجاعة، كما في «القاموس»[٤] و«الصحاح»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ١٣٨ حديث ٤٥، عن الدعوات للراوندي .

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٢٥ حديث ٢٨، عن صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ١٥ .

(٣) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٤ حديث ١٣٦، عن نهج البلاغة ١: ٣١١ ـ ٣١٥ .

(٤) قاموس المحيط ٢: ٤٦٣ «خمص».

(٥) الصحاح ٣: ١٠٣٨ «خمص».

قال في «مجمع البحرين» ـ طبعة تبريز ص٢٦٤: «وفي الخبر أنّه عليه السلام شدّ حجر المجاعة على بطنه، قيل: فائدة ذلك المساعدة على الاعتدال والانتصاب على القيام، أو المنع من كثرة الخلل من الغذاء الذي في البطن. وربّما يشدّ طرف الأمعاء، فيكون الضعف قليلاً. أو لتقليل حرارة الجوع ببرودة الحجر، أو الإشارة إلى كسر النفس والهامها الحجر، لا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب» انتهى[١].

وفي تأريخ الخميس ص٢٣٩: «وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وآتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، فلم يقبلها.

وقال: لمّا شكى إليه الأصحاب الجوع يوم الخندق، ورفعوا عن بطونهم عن حجر حجر، رفع صلى الله عليه وآله عن بطنه عن حجرين.

وَشَدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أحشـاءَهُ وَطَـوى تَحتَ الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرفَ الأدَمِ[٢]

ولعلّك تظنّ أنّ حكمة شدّ الحجر وفلسفته، تحمّل المشقّة للجوع.

---

(١) مجمع البحرين ٣:١١٨ «خمص».

(٢) من قصيدة طويلة معروفة في مدح الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، تُعدُّ من أفضل وأعجب قصائد المديح، تُرجمت إلى عدّة لغات، تُسمّى بـ «البردة»، و«البُرأة»، و«الميميّة»، و«الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة».

قالها الشاعر المصريّ الصوفيّ محمّد بن سعيد البوصيري (ت ٦٩٦ هـ)، يستشفع بها إلى الله تعالى في أن يعافيه من مرض الشلل النصفيّ الذي أصابه، فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام يمسح على وجهه، وألقى عليه بردة، ليستيقظ وقد بُرئ من مرضه.

والقصيدة مذكورة كاملة في ديوانه: ٢٥٤.

هي هذه، بل الحكمة الواقعيّة والفلسفة الحقيقيّة ستتجلّى لعينك، وترسم على صحيفة خاطرك، تكملة للفائدة، وتعلم علماً يقيناً أنّ المقاصد العليّة في الفلسفة الدينيّة، لا تنالها سفاسف الآراء الواهنة، ولا خواسّ الأفكار الداحضة الواهيّة.

فحيث إنّ الرسول المقدّس شرعاً وسنّة، بُعث مصلحاً للعوالم، الحائدة عن سلوك مناهج الصفات المحمودة، متقهقرة في حضيض الرذائل الخسيسة.

وحيث كان صلى الله عليه وآله هو المصلح الأكبر للأُمّة، المبعوث إليها بالإصلاح الدينيّ، والطبيب الحاذق بعلاجات النفوس السقيمة، بالأخلاق الذميمة، من الاستيثار بما يحصل بأيديهم، مستبدين بمصالحهم الذاتيّة الشخصيّة، حائدين عن المواساة والإثرة المحمودين، متهافين على التأنّق في المطعم والمشرب والملبس، وأمثال ذلك ممّا جبلت عليه النفوس البشريّة، من حبّ الإثرة، ونفرته الطباع الأُنسيّة من حميد الإيثار.

وكان دأب الأغنياء الجمع، لا التفريق، وحوله فقراء وضعفاء، قد انقطعو للعبادة، وجعلوا نفوسهم وقفاً على الطاعة، وأنّ أفعاله صلى الله عليه وآله مبتنيّة على الحكمة والموعظة الحسنة.

شدّ حجر المجاعة على بطنه، وهو يقدر على الشبع؛ ليقتدي به الفقراء، في الصبر على ألم الجوع، ومضض الطوى.

فإنّهم متى رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله يتكبّد هذه المصاعب، يجرون على منهاجه، فيصبرون على ما أصابهم في جنب الله، رغبة في الثواب فيشتغلون

بالطاعة بدلاً عن أن يتشاغلوا بطلب الدنيا، ولا يلههم عن العبادة الكدّ والكدح في تحصيل المعاش.

والأغنياء إذا رأوا فعله، من ربط حجر المجاعة، مع القدرة على الشبع، يرغبون في الآخرة، وتهون عليهم الأولى، تأسّياً برسول الله ﷺ، واقتفاء له، فيوثرون الفقراء ويعطون الفضل من أموالهم، برغبة منهم وميل قلبي، لا بضغط وغلظة أو تأثّر وانفعال، بل سرور ورضى وطيبة نفس.

فينتظم بذلك أمر المعاد والمعاش، ويكون توجّه الخلق جميعاً إلى ربّ الأرباب، ويقصدون غاية واحدة، هي القيامه وتكون الأُمة نفساً واحدة وإن تعدّدت الأجسام، هو الذي جمعكم على الهدى ﴿**وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ**﴾[(١)].

هذا ما ظهر لي، وما خفي أكثر.

ويظهر للعرفاء، ومَن منحهم الله لطف القريحة، ومنّ عليه بالهداية، وهداه بنور العلم المنجي.

التفت أيها النيقد، ولا يفوتك التعجّب والاستغراب، وانظر بآخر لمحة قوله: «فلا بدّ أن يكون من باب الاتّفاق»[(٢)].

أنا إن قلت لك: أغض، لا أظنّك تقدر أن تغضي، وترى روح نبيّك التي ترفرف بين جنبيه بكلّ قداسة، وترفّ نفسه الطاهرة الزاكية على مفرق الصلاح والإصلاح، بكلّ فضيلة تنشر تلك الروحيّة الحيّة أبداً وأمداً، كلّ مزيّة حميدة، وسجيّة فاضلة.

---

(١) الأنفال (٨): ٢٦ .

(٢) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٤ .

فالحنان والرحمة والعطف واللطف وما لا أطيق، ولا الإنس والجن إن ساعدوني على أن نصف المزايا المحمّديّة الفاضلة، والكمالات النبويّة، سيّما العلوم والمعارف. لا أحسب أنّ أعداء الملّة المحمديّة وأضداد شرعه المقدّس، ينكرون ذلك.

كلّا، وكيف؟! وقد طفحت كتب فلاسفة النصارى في العصور القديمة والحديثة، بكلّ تبجيل لقداسة نبيّ الإسلام، ونشرت صحف الجهابذة الأُروباويّون والأمريكانيّون، الصفات التي أسّسها واضع الشريعة الإسلاميّة الكاملة، وجعلوها أُسّ المدنيّة الراقيّة إلى اليوم، وأحد نتائجها الحضارة والعمران الحديث.

يعرف ذلك الواقف على أدنى مؤلّفاتهم المترجمة قريباً، لاحظ «العقائد الإسلاميّة» و«الإسلام سوانح وخواطر».

وسأتحفك ببعض ما يتعلّق بنفس النبيّ، دون فلسفة شرعه المقدّس.

دعنا من ذا، وأعد النظر في معنى تلك الكلمة، أتراها فلتة لسان بدرت على عجل؟ أم فارطة قلم جاءت على ريث ومهل؟

هذه الفقرة التي يمتعض من سماعها الدين، وينقبض من لذعات قوارصها الإسلام. والمسلم لا يعلم لمَ صدرت؟ وفي أيّ شيء بدرت؟ ولعلّه يدري ما معناها ـ وليته لا يدري ـ: أنّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بلغ في عدم العلم والمعرفة، لم يكن له إلمام حتّى العاديّات والتجربيّات، التي لا تخفى على القرويّ والبدويّ، بل حتى على الصبيان.

بربك أيّها القارئ الكريم، كم رأيت صبيّاً إذا كلّفته سير فرسخ أو دونه، لا يفعل، ويحتجّ: لا أقدر على قطع هذا المقدار من المسافة، ولو فعلتُ تورّمت قدماي.

هذه الأُمور الواضحة، لا تخفى على جميع البشر، على اختلاف أصنافهم، فيقدّرون المسافات قبل المسير، فلو زادت ـ ولو حدساً وتخميناً ـ يحسّ بالضرر، ويمتنع من السلوك.

هذه المسألة الوجدانيّة والفطريّة الارتكازيّة، لم تكن لرسول الله ﷺ، على أنّ الجاهل البسيط إذا اقتضى المقام قيامه على قدميه ولو نصف ساعة، يشعر بالضرر ويقول معتذراً ـ إذا قيل له: لمَ جسلت ـ : نزل الدم في رجلي، يعني تضرّره بالقيام.

وإلّا فقيام النبيّ ﷺ، الذي نشأ عنه الورم، يقتضي تكرّر الفعل، لا أنّه مرّة واحدة، إلّا أن يكون فرضه مريضاً بأحد الأمراض النافخة للعضو، وهذه أعظم من الأُولى.

والأُولى على سماجتها وبشاعتها أهون ... **حَنانيك بعضُ الشرّ أهوَنُ من بعض**[1].

---

(١) عجز بيت للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد بن سفيان، المتوفى سنة ٦٠ قبل الهجرة النبويّة الشريفة؛ وتمام البيت:

أَبــا مُنــذرٍ أَفْنَيــتَ فاسْــتَبقِ بَعضَــنا ... حَنانيك بعضُ الشرِّ أهوَنُ من بعضِ

انظر: لسان العرب ٤: ٢٥٣ «حنى».

فإذا كان هذا المقدار لساذجة العقول والبسطاء، حاصل علمه بالطبع والجبلة، فلمَ امتنع هذا العلم العادي لحضرة الرسول صلى الله عليه وآله؟! الذي هو علم كلّه، نور كلّه، هدى كلّه، رشد كلّه، حكمة كلّه، عرفان كلّه ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[(١)].

عودناك أيها القارئ المنصف أن نطلعك على الجزئي المرتبط بالمقام، فإنّ الكلّي لا يمكن ضبطه بهذه العجالة.

في البحار ج٦ طبعة طهران ص**٢٩٩** عن الكافي، بسنده المتصل إلى بريد، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[(٢)] فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أُنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه[(٣)] إلى آخره.

وفيه عن الكافي، بإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[(٤)] قال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله المتوسّم، وأنا من بعده، والأئمّة من ذريّتي المتوسّمون»[(٥)].

---

(١) النجم (٥٣): ٢ ـ ٥.

(٢) آل عمران (٣): ٧.

(٣) بحار الأنوار ١٧: ١٣٠ حديث ١، عن أُصول الكافي ١: ٢١٣.

(٤) الحجر (١٥): ٧٥.

(٥) بحار الأنوار ١٧: ١٣٠ حديث ٢، عن أُصول الكافي ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.

وفيه عن الكافي بإسناده إلى أحمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله ورث النبيّين كلّهم؟

قال عليه السلام: «نعم».

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال عليه السلام: «ما بعث الله نبيا إلّا ومحمّد صلى الله عليه وآله أعلم منه»، ثمّ ساق الحديث في الاحتجاج إلى قوله عليه السلام: «جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1].

ثمّ قال ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[2] فنحن اصطفانا الله عزّ وجلّ، وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء»[3].

وحديث الجفر والألواح ص٣٠١، الذي يقول: «فيه تبيان كلّ شيء، كان أو ما هو كائن، إلى أن تقوم الساعة»[4].

وفي ص٣٠٤ بسنده إلى الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله خلق أُولي العزم من الرسل، وفضّلهم بالعلم ـ إلى قوله عليه السلام ـ وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا»[5].

---

(١) النمل (٢٧): ٧٥.

(٢) فاطر (٣٥): ٣٢.

(٣) بحار الأنوار ١٧: ١٣٣ حديث ١٠، عن أُصول الكافي ١: ٢٢٦.

(٤) بحار الأنوار ١٧: ١٣٧ حديث ٢١، عن بصائر الدرجات: ٣٨.

(٥) بحار الأنوار ١٧: ١٤٥ حديث ٣٣، عن بصائر الدرجات: ٦٢.

والأخبار من طرقنا متواترة معنى، فكونه أعلم الخلق مقطوع به، بل من ضروريات الدين.

لسنا نحن وحدنا نروي ونعتقد، بل إخواننا المسلمون يعتقدون ويروون، ففي تاريخ الخميس ص٣٥٣ في أثناء سياق خبر المعراج الطويل، قال:

«حتّى إذا بلغ أمام العرش ورأى عظمته، فاعتراه خوف واستولى عليه رعب، فسمع النداء يقول: اُدن يا محمّد، فدنا، فقطرت عليه من العرش قطيرة، ما أخطأت فمه، فوقعت على لسانه، فكانت أحلى من كلّ شيء، فارأه الله بها علم الأولّين والآخرين»[1] إلى آخره.

وقال ص٢٤٣، «واُوتي علم كلّ شيء، إلّا الخمس التي في آية ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ**﴾[2] وقيل: إنّه اُوتيها وأمر بكتمانها»[3].

وقال قبل هذه العبارة بأسطر: «وجُمعت له الشريعة والحقيقة، ولم يكن للأنبياء إلّا أحدهما، بدليل قصة موسى والخضر وقوله: إنّي على علم لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم لا ينبغي لي أن أعلمه»[4].

وقال محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني، في كتاب «الملل والنحل» ص١٣، بعد أن ذكر حجّة الصابئة على تفضيل الملائكة على الأنبياء، بقوله: قالت الصابئة: الروحانيات فضلت الجسمانيات بقوتي العلم والعمل.

---

(١) تأريخ الخميس ١: ٥٧٧.

(٢) لقمان (٣١): ٣٤.

(٣) تأريخ الخميس ١: ٣١٢.

(٤) تأريخ الخميس ١: ٣١١.

أما العلم فلا ينكر إحاطتهم بمغيّبات الأُمور عنّا، واطلاعهم على مستقبل الأحوال الجارية علينا، ولأنّ علومهم كليّة وعلوم الجسمانيات جزئيّة، وعلومهم فعليّة وعلوم الجسمانيات انفعاليّة، وعلومهم فطريّة وعلوم الجسمانيات كسبية» إلى آخر ما هناك[١].

ثمّ قال: أجابت الحنفاء عن هذا بجوابين: أحدهما: التسوية بين الطرفين، وإثباة زيادة في جانب الأنبياء، والثاني: ثبوت الشرف في غير العلم والعمل.

أمّا الأوّل: قالوا: علوم الأنبياء كليّة وجزئيّة، وفعليّة وانفعاليّة، وفطريّة وكسبيّة، فمن حيث يلاحظ عقولهم عالم الغيب منصرفة عن عالم الشهادة، تحصل لهم العلوم الكليّة فطرة دفعة واحدة.

ثمّ إذا لاحظوا عالم الشهادة، حصلت لهم العلوم الجزويّة اكتساباً بالحواس على ترتيب وتدريج، فكما أنّ للإنسان علوماً فطريّة هي المعقولات، وعلوماً حاصلة بالحواس، فعالم المعقولات بالنسبة إلى الأنبياء كعالم المحسوسات بالنسبة إلى سائر الناس، فنظرياتنا فطريّة لهم، ونظرياتهم لا نصل إليها قط، بل محسوساتنا مكتسبة لهم ولنا بكواسب الجوارح، جوارح الحواس، فأمزجتهم أمزجة نفسانيّة، ونفوسهم نفوس عالية، وعقولهم عقول أمريّة، وأُمورهم أُمور فطريّة .. إلى آخر كلامه[٢].

---

(١) الملل والنحل ٢: ١٨.

(٢) الملل والنحل ٢: ١٩.

اسمح لي أيّها المنصف، وافسح لي في العذر لو قلت: لا أُطيق حصر الأخبار من الفريقين، وعسا أتحفك بلطائف حكمية كهذه، وظرائف فلسفيّة.

ففي المواقف، طبعة الهند ص٦٦٢ قال: أمّا الفلاسفة فقالوا: هو ـ يعني النبي صلى الله عليه وآله ـ من اجتمع فيه خواصّ ثلاث:

أحدها: الاطلاع على المغيبات، قال الشارح: الكائنة والماضية والآتية.

وثانيها: أن يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة.

وثالثها: أن يرى الملائكة مصوّرة، ويسمع كلامهم. قال الشارح: وحياً من الله إليه(١).

وقال الفاضل المجلسي في ج٦ من البحار ص٣٠٦ بعد إيراد الآيات الكثيرة، والأخبار المتجاوزة درجة الاستفاضة: «فائدة: قد تقدّمت الأخبار المستفيضة في كتاب العلم، في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، لا يتكلّمون إلّا بالوحي، ولا يحكمون بشيء من الأحكام بالظنّ والرأي والقياس والاجتهاد، وهذا من ضروريات المذهب»(٢) انتهى كلامه.

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٣).

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله: العالم؛ لقوله تعالى **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾**(٤)، فهو أعلم الخلق بالنصّ، والإجماع من المسلمين، وضرورة العقل،

---

(١) المواقف ١: ١٣٧.

(٢) بحار الأنوار ١٧: ١٥٥.

(٣) الحشر (٥٩): ٧.

(٤) النساء (٤): ١١٣.

كما هو مقتضى العصمة، بل عنده وعند الأئمّة عليهم السلام علم ما كان وما يكون ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[(١)].

هذا سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام، أعلم الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بالإجماع، وضرورة المذهب، وهو تلميذ النبيّ المتخرّج من تلك الكليّة الإلهيّة والمدرسة القدسيّة الإلهاميّة.

قال الفاضل المقداد في شرح باب حادي عشر ص٥٢ طبعة بمبئي، في تعداد مزايا أمير المؤمنين، التي توجب أفضليته على من عدى رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الرابع: إنّه أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون هو الإمام.

أمّا الأوّل فلوجوه: إنّه كان شديد الحدس والذكاء، والحرص على التعلّم، ودائم المصاحبة للرسول صلى الله عليه وآله، الذي هو الكامل المطلق بعد الله، وكان شديد المحبّة له، والحرص على تعليمه. وإذا اتفق هذا الشخص، وجب أن يكون أعلم من كلّ أحد بعد ذلك المعلّم، وهو ظاهر. انتهى موضع الحاجة»[(٢)].

أشرنا لك بهذه الفقرة إشارة ما، إلى أنّه من أعلم الخلق، أو الكامل المطلق بعد الله، أو المعلّم الأكمل، وإلّا فاستقصاء أمثاله يوجب الضجر والملل، وإلّا فالطوامير والأسفار مملوءة بأقوال العلماء من عموم المسلمين، بأنّه صلى الله عليه وآله الكامل المطلق.

---

(١) الجنّ (٧٢): ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) شرح الباب الحادي عشر: ١٢٣.

أعيذ شعورك وذهنك، وحدسك وفطنتك، ولو لم تجد دليلاً أن ترضى ـ فضلاً أن تعتقد ـ بأنّ الورم حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله بضرب من الاتّفاق، من دون أن يعلم. فإنّ عقلك يرشدك أنّ هذه الصفة، لو أمكن أن يتّصف بها النبيّ صلى الله عليه وآله، لما استطاع أن يبلغ حكماً ولا فحم.

ولو قال لشخص: لا تزني.

فإذا قال: وإذا فعلت ماذا؟

يقول له: تحترق بالنار.

فإذا ردّ عليه السؤال بـ: ما يدريك؟

فإن قال: أنا أعلم.

قال: فلمَ لا تعلم بضرر نفسك الحاضر، حتّى تعلم بالضرر الغائب؟

وإن قال: أخبرني الوحي.

يقول: لمَ لا يخبرك بضرر نفسك، فيصونك من ارتكاب القبيح.

فهل ترى إلزام أوكد من هذا؟ وهل اعتقاد أشنع من ذا؟ ما هكذا تورد يا سعد الإبل.

نبيّنا وسيّدنا، المؤيّد بالوحي الإلهي قولاً وفعلاً، لا يخلو فعله ولا عمله بحال من الأحوال عن وحيّ إلهيّ وتأييد ربّاني.

وحصول الوحي لا يخلو: إمّا بنزول الكلام المؤلّف على يد سفير الوحي جبرئيل، وإما بالإلهام، ويعبّر عنه بالحديث القدسي، أو بنكت في القلب، فيبديه ويعبّر عنه بالحديث.

قال المحقّق الداماد في الرواشح السماويّة ص٢٠٤ في الفرق بين القرآن، والحديث القدسيّ، والحديث النبويّ: «الراشحة الثامة والثلاثون:

سبيل رهط في الفرق بين الحديث القدسي، وبين القرآن، وبينه وبين الأحاديث النبويّة.

أمّا القرآن: فهو الكلام المنزل بألفاظه المعيّنة، في ترتيبها المعيّن للإعجاز بسورة منه.

والحديث القدسي: هو الكلام المنزل بألفاظ بعينها، في ترتيب بعينه، لا لغرض الإعجاز.

والحديث: الكلام الموحى إليه بمعناه، لا بألفاظه.

فما أتانا به، فهو جميعاً من تلقاء إيحاء الله سبحانه إليه. ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى**﴾[١]، لكن الوحي على أنحاء ثلاثة».

وقال: «فرق الحديث القدسي، ما أخبر الله نبيّه معناه بالإلهام أو بالمنام، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أُمّته بعبارة عن ذلك المعنى، فلا يكون معجزاً ولا متواتراً كالقرآن»، إلى أن قال أعلى الله مقامه ص٢٠٥:

«ويشبه أن يكون حقّ التحقيق أنّ القرآن،كلام يوحيه الله تعالى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله معناً ولفظاً.

والحديث القدسي: كلام يوحى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله معناه، فيجري على لسانه في العبارة عنه ألفاظاً مخصوصة بترتيب مخصوص، ليس للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يبدّلها بألفاظ غيرها أو ترتيب غيره.

والحديث النبويّ: معناه ممّا يوحى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فيعبّر عنه حيث يشاء كيف يشاء»، ثمّ أفاض في كلام طويل حتى انتهى إلى قوله ص٢٠٧:

---

(١) النجم (٥٣): ٣.

«ثمّ إنّ للوحي مراتب مختلفة وضروباً متنوّعة، بحسب اختلاف أحوال النفس ومقاماتها وأحايينها وأوقاتها، فمن المتكرّر الثابت، أنّه كثيراً ما كان يرى جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي.

وفيه أنّ الحارث بن هشام، سأل رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ قال صلى الله عليه وآله: «أحياناً يأتيني بمثل صلصلة الجرس، وهو أشدّ عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه. وأحياناً يمثّل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» إلى آخر كلامه هنا[1].

وقال على مشرب الفلسفة ص٣٢، بعد كلام، نلخّص منه موضع الحاجة قال:

«ومن هناك يستوجب النبيّ صلى الله عليه وآله أن يكون في جوهر نفسه العاقلة، ذا خصائص ثلاث البتة، أوّلها: الاستغناء عن مؤن الاقتناص والتعلّم، لكونه مؤيداً بشدّة الصفا وشدّة الاتصال بالمبادئ العقليّة، إلى أن يشتعل حدساً وقبولاً من روح القدس في كلّ شيء، فينعقد في ذهنه القياس بلا معلم» إلى آخره.

ثمّ قال: «ثانيها: أن يشتدّ لشدّة الاعتلاق والاتصال بذلك العالم، فيسمع كلام الله ويتشبّح لملائكة الله، وقد تمثّلت له على صورٍ يراها بإذن الله سبحانه، ويحدث له سماع صوت من قبل الله وروح القدس والملائكة، فيسمعه من غير أن يكون ذلك كلاماً إنسانياً وقولاً بشرياً وصوتاً من الحيوان الأرضي، بل هو إيحاء وتنزيل من لدن عزيز عليم به صاحب الوحي والتنزيل، ذو معجزة قوليّة وآيات علميّة حكيمة.

---

(١) الرواشح السماوية: ٢٥٧.

ثالثها: أن تكون نفسه المقدّسة الربانيّة لقوتها القدسية قويّة فعّالة، كادت أن تكون متصرّفة في العوالم الأسطقسية، تعرف النفوس في أبدانها فكاد هيولي عالم العناصر تطيعه، فيكون بذلك ذا معجزات فعلية خارجة عن طور العادة، خارقة لضوابط مذهب الطبيعة».

ثمّ عقّبه بالكلام على مرتبة الإمامة.

وصدر الدين الشيرازي حيث كان يذهب مذهب أهل الكشف والشهود، قال في أحد فيوضاته ص٢٧٢: «قال الله تعالى في محكم آياته ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[١] يعني أنّ أنواع البشر وإن كانت متماثلة الأفراد، لكنّها متخالفة القوى والاستعداد، فلبعض النفوس مقدار عند الله لا يعلمه أحد سواه.

وأمّا الذي يحكم به العقل القويم الناهج على الصراط المستقيم، هو ما تزيّن به أهل الإسلام، واعترف به أرباب الحكمة والكلام، من أنّه لا بدّ في النبوّة من وجهتين:

أحدهما نظراً إلى عناية المعبود بتكميل الناس في النشأتين، فإنّ من له بحمل أخمص القدمين دون القعر، ولم يضع تقويس الحاجبين بلا وتر، فبأن لا يسوغ في الظنّة بإفاضة النبوّة على روح من الأرواح البشريّة، مع كونه رحمة للخلق والبرية، كان أولى وأليق وأخلق.

---

(١) الأنعام (٦): ١٢٤.

والثانية نظراً إلى احتياج العباد في أُمور المعاش والمعاد، فتتدرّج بهذه الحقائق، ورتع قلمه في رياض تلك الحدائق، إلى أن رتع في خميلة الحكمة الجميلة قائلاً: أن اختار طائفة من عباده واصطفاهم وقرّبهم وناجاهم، وكشف لهم من مكنون علمه وأسرار غيبه وأخباره، ثمّ بعثهم إلى عباده ليدعونهم إليه وإلى جواره، يستضيئوا بأنواره لكي بنتبهوا عن نوم الجهالة، ويستيقضوا من رقدة الغفلة والكسالة، ويحيوا حياة العلماء، ويعيشوا عيش السعداء.

وحيث كان يرمز بهذه الفقرة إلى فائدة البعثة وثمرة إرسال الرسل، أوعز ثانياً في فيض آخر من فيوضه ص**٢٧٣** قائلاً:

«فيض الأسباب الموجبة لخوارق عادات الخلائق، الصادرة عن الأنبياء ثلاثة، بإذن مبدع الأشياء صفاءً ونقاءً، وقوة نظرية في الحدس، وضعف سلطان المتخيلة من الحس.

وحيث كان الأول من الثلاثة لامحاً لصدور المعجزة، عبرنا ذلك العباب إلى الجانب الآخر، وأرسينا عند ساحل قوله ص٢٧٥: السبب: فهو أنّ القوّة النظرية إمّا بالغة حدّ الكمال، أو ناقصة نازلة إلى رتبة الأرذال.

والبالغة تنقسم إلى: ما تحتاج إلى معلم إنساني، وآلة نظرية من علم قانوني، كما هو في أكثر الناس، بتفاوت درجاتهم وتنوّع استعدادتهم.

وإلى ما لا تحتاج إلى معلم بشري، ولا تفتقر إلى قانون نظري، بل يفهم الأُمور الغيبيّة بلا توسط إنسان من عالم الأسرار، كما قال تعالى ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾[1] انتهى ما اقتضبته لك من كلامه.

---

(١) النور (٢٤): ٣٥.

[أقوال حكماء الغرب عن النبيّ محمّد ﷺ]

لسنا نحن الإسلاميّون وحدنا نعتقد هذا، ونصف به نبيّنا الفائق وصفاً وصفاءً، بل منصفو حكماء النصارى ومحققو فلاسفة الغرب، قد أودعوا مصنّفاتهم بالفلسفيّات والحكميات، الدالّة صراحة على أنّ محمّداً ﷺ في العلم والحكمة والفلسفة الإلهية، أوحد الخلق، وله المزية على سائر البشر.

أتحفك ببعض كلمات لبعض أُولئك الفلاسفة، تعرف أنّ من وسم النبيّ ﷺ بوسم الجهل، أو رسم لذاته الكاملة رسم النقص، ما هو في العقيدة،

وما هو في الملك، إذا تثبت لديك أنّ له لياقة العرفان ولباقه البيان.

كتاب «العقائد الإسلامية» ألّفه بالإنكليزيّة الشيخ عبد الله كويليام، شيخ الإسلام في جزائر بريطانيا، وعرّبه محمّد ضياء، طبعة الأُولى ١٣١٥ هـ ١٨٩٧م، بدرب الجنينة بمصر، ذكر ص١١٤ كلمة المسترجون دافنبورت، في كتابه المسمّى «محمّد والقرآن»، ما نصّة، إلى أن يقول:

«إنّ ابن البادية الطيّب القلب، قد كان له بعينيه النجلاوتين، ونفسه الطاهرة الزاكيّة أفكار» إلى قوله:

«كان هذا الرجل على نقيض من أعمالهم، فكان قائماً بذاته، مكتفياً بحقائق الأُمور. وأنّ خفايا الوجدان العظيمة قد هطعت عليه، وانبهرت فيه بهولها وبهاتها، وليس في الإمكان إخفاء هذه الحقيقة الوضّاءة التي تقول: ها أنا ذا.

فمثل إخلاص هذا الرجل، الذي نتكلّم عنه، له في الحقيقة شيء من جانب القدرة الإلهيّة، وأنّ الكلمة الواحدة من مثل هذا الرجل، كصوت يبعث من قلب الطبيعة نفسها، وأنّه لمن الواجب على الناس أن يعيروا إلتفاتهم إلى هذه الحقائق، وأن لا يصدّقوا عنه شيئاً آخر؛ لأنّ كلّ ما خالف ذلك فإنّما هو إفتراء وتزوير.

ولقد كان في هذا الرجل من سالف الزمان، ألف فكرة في حجّه وسفره، فقد كان يقول: ما ذا أكون أنا؟

وما هذا الشيء الذي لا يسبر له غور؟ ولا يدركه الإنسان؟ وهو الذي أعيش فيه، والذي يسمّيه الناس عالماً.

ما هي الحياة؟

ما هو المماة؟ ما الإيمان؟ ما العمل؟

فماكان أحد يدلّه، لا صخور جبل حراء، ولا جبل سيناء، ولا الخلوة الموحشة، ولا السموات العظيمة المقامه فوق الرؤوس بأنجمها الزاهرة، بل كان يدري الأُمور بنفسه، أو بالوحي الذي كان ينزل عليه من الحضرة الإلهيّة».

وفي ص١٠٦ منه كلمة دار كو هارت: «وفي الحقيقة أنّه لم يرد أيّ دليل، ويظهر أيّ برهان قطّ، يدلّ على أنّ محمداً تنازل في أيّ وقت من الأوقات، إلى عمل حيل أو معجزات باطلة، لتأييد نبوّته، أو لإثبات دعواه في أنّه رسول من الله، بل بالعكس، اعتمد كلّ الاعتماد على الأدلّة الراجحة، والبراهين الصحيحة، والفصاحة. فكان يستعين بالإلهامات الأكيدة، التي كانت توحى إليه بواسطة الوحي الإلهي.

«الإسلام خواطر وسوانح»: كتاب ألّفه الكونت هنري دي كاستري، بترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة درب الجمالين بمصر ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م، يذكر فيه مؤلّفه ـ الكونت هنري المذكور ـ تعصب المسيحيين الأعمى ورمي نبيّ الإسلام بالمستفظعات، ويحكم بأنّها أُمور تعصبيّة قحّة إلى إلى أن قال ص٢٠:

«وعلى كلّ حال، سواء توصلنا إلى معرفة حقيقة القرآن أم لا، فلا ينكر أحد أنّ مظهر محمّد كان بمظهر النبوّة، بقطع النظر عن صدق تلك النبوّة وعدم صدقها؛ لأنّ النبوّة من حيث هي: عبارة عن قيام رجل يملي على الناس أمر ربّه، ويعتقد حقاً أنّ ما يقوله آت من عند الله، وهو تعريف أعلم أنّ المسيحيين لا يقبلونه، سواء كانوا من المتكلّمين أو الحكماء الباحثين.

إلّا أنّني ما أردت به التوفيق بينهما، بل قصدت به تمهيداً للإيضاحات التي أُريد أن أُقدّمها للقرّاء في عرض رسالتي، وعلى ما تقدّم أقول:

إنّ لظهور النبوّة سببين مختلفين: فإما أن تكون صادرة عن وحي سماويّ، أو عن اتّقاد في الذهن، واشتداد حركة في النفس الباطنيّة.

والمتأثّر بأحد هذين السببين، ينفعل به قهراً، غير مختار، فهو صادق على الحالين. وتكون النبوّة حقيقيّة أو كاذبة بحسب المؤثّر، فإن كان إلهيّاً فالأول، وإلّا فالثاني.

ولو رجعنا إلى ما وضّحه الحكماء عن النبوّة، ولم يقبله المتكلّمون من المسيحيّين، لأمكننا الوقوف على حالة مشيّد دعائم الإسلام، وجزمنا أنّه لم يكن من المبتدعين، فمحمد كما قال «ايوالد» عن أنبياء بني إسرائيل: أعتقد أنّ روحاً من الله استولت على لبّه، فلم يعد يشعر أنّ له فكراً خاصاً، بل إنّه أُوتيه من عند ربّه، واختفت في نظره أنانيّة، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته»، إلى قوله ص٢١:

«ولقد نعلم أنّ الصوت الذين كان يسمعه نبيّ المسلمين، شبيه بالصوت الذي أيقظ «ايوانس» قبله»[1].

(١) في هامش النسخة الخطيّة لهذه الرسالة، التي بخطّ مؤلّفها، وردت العبارة التالية:
«وقال (فيليب فان نس ميرز) الأمريكائي في كتابه (التاريخ العام)، المترجم بالانكليزية، المطبوع في بيروت، مطبعة الأمريكائيّة، سنة ١٩٢١م في ص٢٣٥: وكانت نفس محمّد تتوق إلى التأمل في المباحث الغامضة، التي كانت لا تزال تأخذ بمجامع النفوس الدينيّة. فكان يختلي في غار بجوار مكّة، يتعبّد فيه. فأُعلن لذويه أنّه رأى رؤيا، ظهر له فيها الملاك، وأوحى إليه بما يجب أن يعمله» إلى أن قال ص٢٣٦:
«وبقي محمّد زمناً طويلاً، بعد أن جاءه هذا الوحي، يجهد في حمل الناس على طريق الإقناع والإرشاد، على اتّباع دعوته» إلى قوله:
«القرآن وتعاليمه: يتضمّن القرآن تعاليم الإسلام، ويعتقد المسلمون أنّه كتب منذ الأزل في ألواحٍ في السماء، وكان محمّد من حين إلى آخر ينزل عليه الوحي، فيتلو على

[جواب المؤلِّف على رسالة التنزيه]

انتهى هذا المقدار، حيث إنّا لم نرد أن تكون حكيماً إلهيّاً، ولا فيلسوفاً روحانياً، محيطاً بالفسلفة والحكمة التامة، مطلعاً على أسرارها ومكنوناتها. وإنّما غرضنا أن تعرف وتفهم كيف جاء مؤلّف «التنزيه» بذاك النقد الغير نزيه، وتفقه أنّ هذه العجرفة الشاميّة الحديثة في آخر الملّة الإسلامية، هي أُخت الغلطة الفظّة التي صدرت في أوائل الإسلام، حديث «إنّ النبيّ ليهجر».

ضع ميزان الإنصاف، ووازن بين أن يقول النبيّ صلى الله عليه وآله من دون قصد ولا صواب، وبين أن يفعل بلا قصد ولا صواب.

لسنا نريد الاستدلال، أو نقيم الحجّة والبرهان على حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله، وصفاته الكاملة الثابتة بالأدلّة الأربع القطعيّة في المذهب، الضروريّة في دين الإسلام.

بل قصدنا تنبيه الغافل، وإيقاظ المغفّل، أنّ من كان مستند أفعاله وأقواله إلى الوحي والإيحاء الإلهيّين، كيف لا يوحى إليه أنّ هذا الفعل ضرر؟! ⇦

الصحابة سوراً أو فصلولاً من الكلام السماويّ ... تعلن له الأحلام والرؤى. أراد بالرؤى: ما يراه مشاهدة ويعاينه معاينة، كما يرى جبرئيل بصورة دحية».

وكيف لا يصون الله نبيّه المنزّه عن التقحّم في المحرّم اختيارياً أو قهرياً؟!

لا أقل من أن يلقى في روعه، أو ينكت في قلبه.

وكيف يستجيز عاقل، أو يستحلّ مسلم أو موحّد، أن ينسب لمدينة العلم الإلهي والوحي الرباني، أنّه لا يعلم بضرر نفسه؟! فتكون تلك الأفعال الواقعة منه على ضرب من الاتفاق؟!

سبحان الله، بماذا أُجيب هذا القائل؟! وأردّ صولة هذا الصائل؟! وأعجب وأغرب يتبجّح ويمتنّ بأنّي أنا ابن ذاك الهادي، ومن الذين لمودتهم تمام أجر الرسالة.

هكذا لم يشعر بأنّه الولد العاقّ لذاك الوالد البرّ، ولم يفهم أنّ الرسالة التي يمتّ بمودّتها قد مزّقتها أظفاره ومخالبه.

أباح الحِمى المَحروس حتّى استباحَه بعاريـةِ الأَقْـلام مـن سـفّه الجَهـل

وكَم من أبٍ قدْ عقّه بعضُ ولـدهِ بِمُستفضع القـولِ الشـنيئ أو الفِعـل

لطيف ما يحكى أنّ أبا العيناء قال له بعض الهاشميّين: أنا من قوم لا تتمّ صلواتك إلّا بالصلاة عليهم.

أجاب أبو العيناء: إني إذا قلت: الطيّبين الطاهرين، خرجت أنت منهم.

سر عجيب، نظرنا أنّ دعوة محمّد ﷺ ضادتها قريش وبعض بني هاشم، خلافة علي ضادتها قريش، دعوة الأئمة ضادتها قريش وبنو هاشم، الدعوة الحسينيّة الأخيرة «المآتم والمواكب» ضادتها قريش وبنو هاشم ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأَوْلِي الأَبْصَارِ**﴾[1].

---

(١) النور (٢٤): ٤٤.

ولم يزل يتسلّق في الورط، ويقرع الأسماع بالفوارط، متجاوزاً طور الأدب، ناكباً عن مدارج الكمال، حتى جاءنا بالطامة الكبرى والبليّة العظمى، قوله «وإلّا لم يجز» إلى آخره[1].

هذه التجاسرات المستبشعة و التهجّمات المستفظعة، حسب أنّ الرسولﷺ لا تثبت له المعرفة والإدراك، ولا العلم والعرفان، وفرض الثبوت فرضاً، وعلى تقديره قطعَ وجزمَ بفعله الحرام بإرتكابه الضرر.

لم يخشى من الجرأة على الله والجسارة على رسوله، ولم يخف خرق إجماع المسلمين على عصمة النبيّ ﷺ، وعدم جواز صدور الذنب بعد البعثة، خصوصاً الكبائر، التي منها الإقدام على الذنب مع العلم به، كما فرضه هذا الفارض، ولم يخالف فيه إلّا تفضيليّة الخوارج، وهم فرقة منهم.

ليتك أيّها القارئ المنصف، والحرّ الفاكرة، والثاقب البصيرة، عرفت مبدأ بعثة هذا النبيّ الجديد، وتحقّقت موطن نشر دعوته النبيّ العزيز على مؤلّف «التنزيه» المسمّى بالضرر، والملقّب بالشاقّ تارة، وبالمؤذي اُخرى، وتبيّنت شريعته الناسخة بزعمه لشرائع الأنبياء والرسل، وهي ما جعل فقط.

دع عنك ذا، وانظر في هذه الصولة الحمقاء، واحتكم في هذه الفقرة الشنعاء، فإنّها تتضمّن اُموراً، نبديها تذكرة للمتذكّر، وتبصرة ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ**﴾[2].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٤.

(٢) سورة ق (٥٠): ٣٧.

١ـ لازم هذه الصلابة في الجهل والوقاحة القحة، أن لا نقلّد سيّد الأنبياء وخاتم الرسل، بأفعاله التي هي أقوى وأوضح برهان على نفي الضرر، ونعلم علماً يقيناً أنّ ما فعله النبيّ صلّى الله عليه وآله ليس من الضرر، وإنّما الضرر المحرّم غيره.

٢ـ تقتضي هذه الفقرة، أنّ دعواه إذا عارضت فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله، يسقط فعل النبي صلّى الله عليه وآله عن الحجيّة، ويتعيّن الأخذ بإدعائه. انظر بربّك، ألك سليقة تقبل ذلك؟! أو روح حرّة ترضاه؟ أو طبع كريم يألفه؟!

٣ ـ جعله اتفاق العلماء ـ لو فرض محالاً، مع العلم بمخالفة النبيّ صلّى الله عليه وآله ـ حجّة على النبيّ صلّى الله عليه وآله، وهذه أفضع من اختها.

٤ـ نسبته إرتكاب المحرّم إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله المعصوم نصاً وعقلاً، وضرورة من الدين، واتفاقا من علماء المسلمين، وعدم صدور الذنب منه بعد النبوّة، وهذه أدهى وأمرّ.

ونحن نلتفت صادحين بالحقيقة، صادعين بإبداء كلمة الإرشاد، نستلفت أنظار المسلمين قائلين: أتليق بنبيّكم هذه الصفات من الجهل، وارتكاب المحرّم؟! إنّ هذا لهو الخلط والخبط.

مهلاً أيّها المجترئ، أتدري؟ لا أُخال تدري، من أين استفدنا هذه القاعدة؟ أمنكَ، حتّى تحتجّ بها عليه؟ أم من شرعه المقدّس، امتناناً وتعطفاً وحناناً، وتفضّلاً وإحساناً على ضعفاء أُمّته؛ لسماحة ملّته.

وإلّا فالعقل لا يقف أمامها بالمنع، مناجزاً ولا مجادلاً حاجزاً، كيف والملل السابقة والشرائع المتقدّمة أكثر تكاليفها شاقة مضرّة، كالتوبة فإنّها بالقتل في أُمّة موسى ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[١].

وفي الشريعة المحمّديّة بالندم ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾[٢] ﴿**وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾[٣].

لا أطيل بتسجيل هذه البيانات، من أراد التمتّع بها، فليرجع إلى الكتب المبسوطة الموضوعة لأمثال هذه البيانات، كالبحار وأمثاله.

فمن كان هذا شرعه، والتسهيل شريعته، ما يدري ما هو؟! أم يدري؟! فإن كان لا يدري، كيف شرّع ما لا يعرفه؟! وإن كان يدري كيف ارتكب؟!

تقول: خالف الإجماع ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ**﴾[٤].

٥ـ مفاد تقريره: أن لا يكون فعل المعصوم حجّة، لأنّ حجّيّته متوقّفة على العلم بعدم ضرريّته عنده، فهو لا يخطأ في حدسه، والنبيّ صلى الله عليه وآله يخطأ في فعله، فظنّه الضرر ضرر وإن لم يكن كذلك عقلاً أو شرعاً أو عرفاً، وظنّه باطل وخياله زائل، وفعل المعصوم ـ كقوله وتقريره ـ حجّة، فإن شاء فليرضى، وإن شاء يغضب، وإن جاءنا بحديث الحمار ثانياً[٥].

---

(١) البقرة (٢): ٥٤.

(٢) هود (١١): ٥٢.

(٣) هود (١١): ٣.

(٤) الحجّ (٢٢): ٤٦.

(٥) إشارة لقول السيّد محسن الأمين العاملي في رسالته «التنزيه لأعمال الشبيه» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٥٤: «ولكن من أُغضب فلم يغضب فهو حمار».

٦ـ فرض إمكان اتّفاق الفقهاء، علماً منهم بمخالفة المعصوم، وهو محال. ولو صحّ فرض المحال وتصوير الممتنع فالاتفاق ليس بحجّة، إنّما الحجّة قول المعصوم وفعله وتقريره.

على أنّ حجيّة الإجماع حيث لا نعلم رأي المعصوم، أو نظنّ بإندراج رأيه في آراء المجمعين، فحجيّته تدور مدرا رأي المعصوم.

ولهذا، لو اتفق الفقهاء، وخالف شخص واحد لا نعرفه بعينه، فإنّ الإجماع حينئذٍ يكون في غاية الوهن، لاحتمال أنّ ذلك المخالف هو المعصوم، وهذا يعرفه كلّ من له إلمام بالقواعد.

دأبنا أن نحمل عبارته على معنى، صوناً للملائيّة عن الهذيان، لعلّ نظره إلى ما فاه به بعض الفقهاء، من إمكان النسخ بالإجماع.

وهذا القائل، مع كونه من بعض العامّة، الذين ليس هو بعمدة، ولا من فطاحلهم الذين ينظر إليهم، وتعدّ أقوالهم كمشاهيرهم المعروفين، وهو مع كون القائل غير معتدّ به، القول ساقط:

أمّا أولاً: فلإمتناع انعقاد الإجماع في قبال النبيّ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

وأمّا ما قالوه من إمكان الاجتهاد، فأُمور اعتذاريّة، قصدوا بها رفع القبح عن فعل بعض الصحابة، وعند تصادم الحقائق تجدهم يتقهقرون، ولذا طعن الصحابة على عثمان في إرجاع الحكم إلى المدينة، الذي طرده رسول الله، ومنع أبي بكر وعمر من إرجاعه، ولم يعذروا عثمان بالإجتهاد.

وأمّا ثانياً: لو أمكن النسخ، فلا يدلّ على أنّ الفعل السابق كان محرّماً، بل يدلّ على أنّه كان سائغاً، والنسخ تحديد لانقضاء مدّة ذاك الحكم.

وأمّا ثالثاً: فالإجماع لا ينعقد إلّا على نصّ، وإلّا كانت من الظنون التي توافقت فيها الآراء صدفة، وهو في الحقيقة ليس بإجماع، ويتحلّل إلى آراء متعدّدة، كلّ ظن منها ليس بحجّة في نفسه، وانضمامها لا يفيد القطع قطعاً.

وأمّا رابعاً: فالإجماع من الأُمور اللبيّة التي لا عموم فيها، والقياس ممنوع، فلو قام الإجماع على أنّ المضطربة عدداً تفعل كذا مثلاً، لا يمكننا إلحاق المضطربة وقتاً بها بالإجماع، بدون ملاحظة الدليل.

وكيف، فالإجماع على أُصولنا لا يمكن انعقاده في قبال المعصوم، وكذلك عقلاً، وإلّا لزم تعدّد الأنبياء والمشرعون، وكذلك شرعاً ﴿**وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1] فنحن معنا الإجماع والعقل والشرع، ومخالفنا مخالف لهذه الأُصول القطعيّة.

ومن الطريف المستطرف، تسجيله الموارد التي حكم الفقهاء فيها بتبدّل التكليف، جعلها حجّة قاطعة في إصدار الفتيا للنبيّ صلى الله عليه وآله، فكأنّه جاء مستفتياً عن تكليف نفسه، وهذا من طريف القياس، الذي يقال في المثال العامي «قياس جواد بعبو».

أيحسب رسول الله صلى الله عليه وآله بدويّاً، أو قرويّاً جلّقياً جاءه يستفتيه في تكليفه الشرعيّ؟!

لا أقول: إنّ هذا خطأ وتقصير، بل أقول: قصور عن معرفة المعصوم ومن الجرأة وسوء الأدب.

لا أقلّ لو كان متورّعاً وفقيهاً لقال: هذا فعل، والفعل لا عموم فيه، وللنبيّ صلى الله عليه وآله تكاليف خاصّة، ولعلّه من خصائصه دوننا، وأمّا تكليفنا نحن،

(١) الحشر (٥٩): ٧.

فقد تلقّيناه منه ﷺ، بأن نتجنّب الضرر، ولا نتقحم المشاقّ. لكان أسلم له، لكن الحديث ذو شجون.

٧ـ لو قلنا: إنّه ما أراد أنّه ارتكبه بعمد، بل هو ناشئ عن خطأ وذهول وغفلة. فلا أنكر عليك، لكن أقول لك: سله: لمَ لا يشمله حديث الرفع؟

فإن قال: اختصاصه بالأُمة، فقد ناقض قوله بالاشتراك في التكليف، كما شمله حديث الضرر، حتّى قال: ارتكب الضرر وقوله «لم يجز»، فهذا يقتضي أنّه ارتكبه عن علم وعمد.

ولو جاريناك، فالخطأ والذهول والغفلة لا يصدر من رسول الله ﷺ؛ لوجوب العصمة بالإتفاق منّا ومن سائر المسلمين، عدى التفضيليّة من بعض فرق الخوارج. فصدور الذنب منه مطلقاً، صغيراً وكبيراً عمداً بعد البعثة، اتفاقاً بين المسلمين.

أمّا الإماميّة، فأجمعوا أنّ النبيّ ﷺ لا يصدر منه الذنب، لا صغيراً ولا كبيراً، عمداً أو سهواً، بعد البعثة أو قبلها. ولم يخالف إلّا الصدوق وشيخه ابن الوليد، فجوّزا على النبي ﷺ الإسهاء من الله رحمة وامتناناً، لا السهو الذي هو من الشيطان[1].

قال المجلسي: وهما محجوجان بالإجماع[2].

قال المحقّق الداماد في «الرواشح» ص٨٥ ، بعد أن ذكر حديث سهو النبيّ ﷺ العاميّ: «وليعلم أنّ حكم الميزان العقلي والبرهان الحكمي، وجوب

---

(١) بحار الأنوار ١٧: ١٠٢ ـ ١٠٣، نقلاً عن من لا يحضره الفقيه: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) بحار الأنوار ١٧: ١٠٨.

عصمة النبيّ ﷺ السان للسنّة الإلهيّة عن السهو فيما يتعلّق بأُمور الدين وأحكام الشرع.

ولذلك شريكنا السالف في رئاسة فلاسفة الإسلام، قال في ثامن إلهيات الشفا: إنّ من الفضلاء من يرمز برموز ويقول ألفاظاً مستشنعة أو خطأ، وله فيها غرض خفي، بل أكثر الحكماء بل الأنبياء لا يؤتون من جهة غلطاً أو سهواً، هذه وتيرتهم.

فهذا مذهب أصحابنا، أعني أعيان الفرقة الناجية الإماميّة، ومسلك الصدوق في قوله وشيخه ابن الوليد يقول: أوّل درجة الغلوّ نفي السهو عن النبيّ ﷺ، بعيد عن مسير الصحّة، بل الصحيح عندي ـ على مشرب العقل ومذهب البرهان ـ أنّ أوّل درجة في إنكار النبوّة إسناد السهو إلى النبيّ ﷺ فيما هو فيه نبيّ.

ولا مغالاة في إثبات العصمة عن السهو فيما لتبليغه وتكميله البعثة، إذ هذه الملكة لنفس النبيّ ﷺ، إنّما هي بإذن الله وعصمته، وفضله ورحمته، وتأييده وتسديده.

وتمام الأمر هنا على ذمّة حيزة الطبيعي من كتابنا «تقويم الإيمان»، فما تضمّنته الرواية إنّما كان من باب تشريع السنّة وتعليم الأُمّة، لا لتدارك ما فاته من الصلاة المفروضة بالسهو»[1] انتهى ص٨٦.

أمّا اخواننا المسلمون العامة، فالأكثر على موافقتنا، ففي «تاريخ الخميس» ص٢٤٧، وقد أرسله إرسال المسلّمات في صفات النبيّ ﷺ وخصائصه بقوله:

---

(١) الرواشح السماويّة: ٢٦٠.

«والعصمة من كلّ ذنب ولو صغيراً ولو سهواً، وكذلك الأنبياء، وينزّه عن فعل المكروه»[١].

وقال في «المواقف» ص٦٨٩ في معنى الذنوب: «إمّا كبائر، وإمّا صغائر.

وكلّ واحد منهما: إما عمداً، وإمّا سهواً.

وكلّ واحد منهما: إمّا قبل البعثة، أو بعدها.

أمّا الكبائر عمداً، فلم يخالف فيه إلّا الحشوية» إلى أن قال:

«أمّا سهواً فجوّزه الأكثرون، والمختار خلافه».

ثمّ أفاض في ردّ القائلين بصدور الكبيرة سهواً، والصغيرة عمداً، وتأويل الآيات التي ظاهرها تقتضي صدور الذنب، وأفاد تحقيقاً لطيفاً عليك بمراجعته[٢].

ويكفيك أيّا الإمامي تأليف علم الهدى السيّد المرتضى، المسمّى بـ «تنزيه الأنبياء»؛ فإنّه من أجلّ الكتب المؤلّفة في هذا الشأن، وأتقنها وأمتنها، فطالعه مطالعة طالب رشاد، لا متطلّب تعنت وعناد.

وقال المحقق القوشجي ص٤٦٤ في مثل هذا الموضوع، إلى أن قال: «ولهذا ذهب كثير من المعتزلة إلى نفي الكبائر قبل البعثة أيضاً، والشيعة إلى نفي الصغائر ولو سهواً والمذهب عند محقّقي الأشاعرة منع الكبائر والصغائر الخسيسة بعد البعثة مطلقاً»[٣] يريد عمداً وسهواً.

---

(١) تأريخ الخميس ١: ٣٩٣.

(٢) المواقف ٢: ١١٧.

(٣) شرح المواقف ١: ١٩٨.

وقال محمّد سعيد عبد الغفّار، من علماء الأزهر في كتاب «العقيدة السعيديّة» المطبوعة بمصر ١٣٢٥هـ في ص١٩، قال: الأصل الثاني في الأنبياء الأمانة: يجب لهم الأمانة، وأمانتهم عصمتهم ظاهراً من الزنا، وشرب الخمر، وغير ذلك من سفاسف الأُمور.

وباطناً من الغلظة والفظاظة، والحسد والكبرياء، وغير ذلك، قبل النبوّة وبعدها؛ لأنّهم لو خانوا بمعصية ظاهرة أو باطنة، لكنّا مأمورين بالمعاصي؛ لأنّا مأمورون بالاتباع من غير تفرقة في أفعالهم، قال الله تعالى ﴿**فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾[1] وقوله تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ**﴾[2].

وما وقع منهم من الزلّات الصوريّة، والعتاب عليها. فهذا بالنسبة إلى علوّ مقاماتهم وسنّي حالاتهم، أو عتاب على ترك العزيمة واتباع الرخصة وعصمتهم بفضل الله بحيث لا اختيار للعبد فيها بخلقهم، غير مائلين إلى المعصية، ولا نافرين عن الطاعة، أو بصرفهم عن الأوّل وجذبهم إلى الثاني.

وحيث إنّ المسيحي أو الغربي لا يعرف العصمة، ولا يعتقد بها، أفصح عمّا يحكيها بالمعنى، في «العقيدة الإسلامية» ص١٤٧ كاركيل صرّح قائلاً:

«إنّي على كلّ حال أُحبّ محمّداً وأميل إليه؛ لبعده بالمرّة عن الشوائب الدنيئة، فهو ابن البرية البدوي النشط النفس، الذي لم يكن يدّعي ما ليس فيه، فلم يكن يفتخر بالتظاهر ويتباهى بالكبرياء.

---

(١) الأنعام (٦): ٩٠.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢١.

وأيضاً لم يكن مسترسلاً في التذلّل والإنكسار، فكان عائشاً بقدر ما في خبائه وحذائه البابليين» إلى أن قال:

«ولم يكن في محمّد هذا ميل للتصنّع والتغرير، فلم يكن يعبأ بالتضليل، وذكر الخلاص به في الدنيا والآخرة، ولا يعيره الالتفات، فإنّ التضليل التدجيل وما شاكل ذلك، من أنواع التظاهر بالحقائق، والمواربة والتموية من أكبر الآثام وأعظم الجرائم التي يرتكبها الإنسان، فإنّها تتكوّن في قلبه وتمتزج بنفسه ولا تتجلّى منه، بل تبقى مستترة فيه تحت ستار الزخارف» إلى أن قال:

«أما محمّد، فإنّه كان متحلّياً بالمبادئ الأدبيّة الحقيقيّة، التي كانت تنزل عليه من جانب القدرة الإلهيّة، وكانت ملازمة له آخر أيامه» انتهى.

وحيث إنّ كلمات الحكماء ومقاصد الفلاسفة رموز مغلقة، تنظر بعين نافذة على ما وراء حجب الستار الخفيّة، نشير لك إلى بعض تلك الخفايا، وهي:

إنّ مبادئ محمّد ﷺ ومطالبه القوليّة والفعليّة قدسيّة صرفة، خالية عن المداجات والمحاباة والتظليل ونظائره التي هي عنوان يجمع إرتكاب القبائح عمداً أو سهواً.

والبرهان على عدم اتّصافه بهذه الصفات القبيحة، أنّه متحلّ بالمبادئ الإلهيّة، التي هي الوحي والإلهام والعناية الربانية، التي هي لطف، ومن كان مستمراً بأمثال هذه المبادئ الحقيقيّة الإلهيّة، فهو معصوم من أوّل العمر إلى آخره.

وفي ص١٥٠ فيه ذكر كلمة الدكتور مارقس دودس الطويلة، في فلسفة الإسلام وفضيلة التديّن به، إلى قوله ص١٥٤:

«جميع النظامات الدينيّة والمعتقدات السريّة، مهما كانت، عظيمة، ومهما كانت خطيرة، لانحرافها عن جادة الصواب، وزيغانها عن سواء السبيل، إلّا ديانة ذلك الرجل، أشرف خلق الله، وخاتم المرسلين.

في كتاب «الإسلام سوانح وخواطر» الكونت هنري الفرنساوي ناقلاً ص٢٥ قال رونان: «خلق الإنسان ضعيفاً، فلا يقوى على احتمال الرسالة الربانيّة زمناً طويلاً، ومن لم تطل مدّة رسالته، فهو من البررة المعصومين».

وقال الكونت هنري ص٢٣: «والآن نلخّص لك مذهب نبيّ المسلمين في الديانات الثلاثة، فنقول: إنّ دين الأنبياء كان كلّه واحداً، فهم متّحدون في المذهب منذ آدم إلى محمّد»، إلى أن قال:

«إذن لا ننكر على محمّد في الدور الأول من حياته، كمال إيمانه وإخلاص صدقه. فأمّا الإيمان، فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني، وما أُوتيه من النصر كان من شأنه أن يقوّيه على الإيمان، لولا أنّ الاعتقاد كلّه قد بلغ منه مبلغاً لا محلّ للزيادة فيه، ولم يكن فيه عيب، بل أنّ ما نسبوه إليه من هذا القبيل لا يؤثّر شيئاً على سيرته الطاهرة».

إلى هنا قف، ولعلّك تستغرب قوله: «في الدور الثاني»، ولم تعلم أنّه أورده مورد الردّ على رينارد دوزي حيث قال: «يكاد أن يكون من المستحيل الجزم، بأنّ محمّداً كان في آخر أيام حياته يعتقد بصدق رسالته» إلى آخر ما هناك من الهفوة الشيطانية، فرد عليه هذا الفيلسوف بهذه العبارة.

وبآخر لمحة قوله: «قد بلغ مبلغاً لا محلّ للزيادة فيه» ينظر إلى كلمة سيّد الموحّدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول ـ وهو حكيم الإسلام وفيلسوف الملّة الحنيفيّة ـ «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[١] وحيث إنّ إثباة الخطأ والذهول والغفلة والنسيان أكبر عيب، لا تؤثر هذه النسبة الباطلة شيئاً في سيرته صلى الله عليه وآله، التي هي مجموع أفعاله وأقواله، ولا تقتضي ثلماً في مروته، وذلك ظاهر.

وأفاد هذا الفيلسوف معقولاً مسلّماً، فإنّا إذا سمعنا من ينسب إلى ملك الجورَ والبخلَ والجبنَ ونظائرها، ونحن تتبّعنا سيرة ذلك للملك، فوجدنا فيها العدل والسخاء والشجاعة وغيرها من المحامد، فتلك النسبة الظالمة لا توجب هظماً في جلالة ذلك الملك.

هكذا محمّد صلى الله عليه وآله، نسبة الجهل والغفلة والظلم وأمثالها نسبة لا تظيره، لأنّا قد تتبّعنا سيرته فوجدناها كاملة، وايمانه ثابت، وعقيدته الدينيّة بلغت إلى حدّ لا تقبل الزيادة.

وأنت أيّها الناظر الخبير، لا تحتاج إلى أكثر من هذه الإشارة، التي تلخّص لك منها: أنّ صدور الذنب ـ الكبيرة ـ من المعصوم بعد البعثة، ممنوع، بإجماع المسلمين عمداً. وأمّا سهواً فباتّفاق الشيعة وأكثر الأشاعرة والمعتزلة، بل المخالف نادر.

وعبارة القوشجي في قوله: «عند محقّقي الأشاعرة» تعطي أنّ المخالف منهم غير محقّق، فلا يعتدّ بخلافه.

---

(١) انظر سفينة البحار ٢: ٧٣٤.

وكيف كان، فخلاف المخالف محجوج ومردود، وإن أراد الوقوف على الحقيقة، فليرجع إلى الكتب الموضوعة لهذا الفنّ من المبسوطة لأصحابنا وغيرهم.

ما كنّا نتخيّل أنّ أحداً من أهل نحلتنا يوقفنا أمام هذه المواقف، التي فرغ الأصحاب ـ جزاهم الله خيراً عن الدين والديانة ـ من تحقيقها وتنقيحها، هذه كتبهم البديعة قائمة تجادل عن الحقّ بالتي هي أحسن، أدفع الحسنة السيئة.

[حجّ الأئمّة عليهم السلام مشاة]

قوله: «أمّا استشهاده بحجّ الأئمّة مشاة، هو من هذا القبيل»[1].

وغرضه: إما اتفاقي، أو فعلوا حراماً إن صحّ.

أمّا صدوره فعن البحار ج١٠ ص٩٤ قال: «قال الصادق عليه السلام: إنّ الحسن ابن علي عليهما السلام حجّ خمسة وعشرين حجّه ماشياً، وقاسم الله ماله مرّتين.

وفي حديث: قاسم ربّه ثلاث مرّات، وحجّ عشرين حجّة على قدميه.

أبو نعيم في «حلية الأولياء»، بالإسناد عن القاسم بن عبد الرحمن، عن محمّد بن علي عليه السلام: إنّ الحسن بن علي عليهما السلام قال: إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمشي إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه.

وفي كتابه بالإسناد: إنّ الحسن بن علي حجّ ماشياً، وقسّم ما له نصفين.

وروى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عباس، قال: لمّا أُصيب الحسن، قال معاوية لعنه الله: ما آسى على شيء إلّا على أن أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن بن علي عشرين حجه ماشياً، وإنّ النجائب لتقاد معه»[2].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٣٣٩ حديث ١٣، عن المناقب لأبن شهر آشوب ٤: ١٤.

وفي حديث حجّ علي بن الحسين عليهما السلام، المشهور المستفيض روايته عن إبراهيم بن أدهم وعن فتح الموصلي، المتضمن لقوله: «بادية بيداء وصبيّ يمشي» أورده في ج١١ من البحار ص١٣[١].

وحديث شقيق البلخي، المشهور في حجّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، رواه في ج١١ من البحار ص٢٥٥ عن «كشف الغمّة» بسنده إلى شقيق، وقال المجلسيّ: «رأيت هذه القصّة في أصل كتاب محمّد بن طلحة «مطالب السؤول» وفي «الفصول المهمّة»، وأورده ابن شهر آشوب أيضاً مع اختصار.

وقال صاحب «كشف الغمّة» وصاحب «الفصول المهمّة»: هذه الحكاية رواها جماعة من أهل التأليف: رواها ابن الجوزي في كتابيه «إثارة العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» وكتاب «صفة الصفوة»، والخافظ عبد العزيز الأخضر الجنابذي في كتاب «معالم العترة النبويّة»، ورواه الرامهرمزي في كتاب «كرامات الأولياء»[٢].

وروى في البحار ج١١ ص٢٦١ عن «التهذيب» و«المناقب» عن علي بن جعفر قال: «خرجنا مع أخي موسى بن جعفر أربع عمر يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله، واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، وأُخرى خمسة وعشرين يوماً، وأُخرى أربعة وعشرين يوماً، وأُخرى إحدى وعشرين يوماً»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٣٨ حديث ٣٣، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٧٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ٨٢، نقلاً عن مطالب السؤول: ٨٣، والفصول المهمّة: ٢١٩، وصفة الصفوة ٢: ١٠٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٨: ١٠٠ حديث ٢، عن قرب الإسناد: ١٦٥.

وفي الوسائل ج٢ ص١٤٤ روايات كثيرة، منها: رواية عن صفوان ، وعن عبد الله بن سنان اُخرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما عُبد الله تعالى بشيء أشدّ من المشي ولا أفضل»[1].

ومنها رواية هشام بن سالم، قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، أنا وعنبسة بن مصعب وبضعة عشر رجلاً، فقلنا: جعلنا الله فداك، أيّهما أفضل المشي أم الركوب؟ فقال: «ماعُبد الله بشيء أفضل من المشي»[2].

ومنها رواية الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فضل المشي، فقال عليه السلام: «الحسن بن علي عليه السلام قاسم ربّه ثلاث مرّات، حتّى نعلاً ونعلاً وثوباً وثوباً، وديناراً وديناراً، وحجّ عشرين حجّه ماشياً على قدميه»[3].

ومنها: رواية رجاء الزبيدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من المشي»[4].

ومنها رواية محمّد بن الحسين، قال: روي أنّه ما تقرّب العبد إلى الله عزّوجلّ بشيء أحبّ إليه من المشي إلى البيت الحرام على القدمين، وأنّ

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٧٨ حديث ١٤٢٨٤، عن التهذيب ٥: ١١ حديث ٢٨، والاستبصار ٢: ١٤١ حديث ٤٦٠ .

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٧٨ حديث ١٤٢٨٥، عن التهذيب ٥: ١٣ حديث ٣٤، والاستبصار ٢: ١٤٣ حديث ٤٦٦ .

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٧٨ حديث ١٤٢٨٦، عن التهذيب ٥: ١١ حديث ٢٩، والاستبصار ٢: ١٤١ حديث ٤٦١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٧٩ حديث ١٤٢٨٧، عن التهذيب ٥: ١٢ حديث ٣٠، والاستبصار ٢: ١٤٢ حديث ٤٦٢ .

الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة، ومن مشى عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه وركوبه. والحاج إذا انقطع شسع نعله، كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى منتعل»[١].

ومنها: رواية محمّد المسلي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت، والمشي إلى بيته الحرام»[٢].

وهذه الرواية لا بأس أن نذكرها بسندها: محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن علي بن النعمان، عن صندل، عن أبي أُسامة، عن أبي عبد الله قال: «خرج الحسن بن علي إلى مكّة سنة ماشياً، فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت يسكن عنك هذا الورم.

فقال: «كلّا، إذ أتينا هذا المنزل، فإنّه يستقبلك أسود ومعه دهن، فاشتر منه ولا تماكسه» الحديث، وفيه أنّه وجد الأسود ومعه الدهن[٣].

ومنها: رواية أبي المكندر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال ابن عباس: ماندمت على شيء صنعت ندمي على أن لم أحجّ ماشياً، لأنّي سمعت رسول الله يقول: مَن حجّ إلى بيت الله ماشياً، كتب الله له سبعة آلاف حسنة من حسنات الحرم.

قيل: يا رسول الله ما حسنات الحرم؟

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٧٩ حديث ١٤٢٨٨، عن من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٠ حديث ٦٠٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٧٩ حديث ١٤٢٨٩، عن ثواب الأعمال: ٢١٢ حديث ١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٨٠ حديث ١٤٢٩١، عن الكافي ١: ٣٨٥ حديث ١.

قال صَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه: حسنته ألف ألف حسنة.

وقال: فضل المشاة في الحرم كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم، وكان الحسين بن علي عليهما السلام يمشي إلى الحجّ ودابته تقاد وراءه[١].

أحمد بن فهد في «عدة الداعي»: عن المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه: «إنّ الحسن بن علي عليهما السلام كان أعبد الناس، وأزهدهم، وأفضلهم في زمانه. وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، ورمى ماشياً، وربما مشى حافياً»[٢].

المفيد في «الإرشاد» عن علي بن إبراهيم بن علي، عن أبيه قال: «حجّ علي بن الحسين ماشياً، فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكة»[٣].

مؤيداً بالإجماع على انعقاد نذر من نذر الحجّ، وانعقاده دليل الرجحان، ويشهد له كثير من الأخبار، وإلّا فالمحرّم لا ينعقد نذره قولاً واحداً.

ويؤيده الروايات الكثيرة الواردة في استحباب زيارة الحسين عليه السلام ماشياً:

فمنها: رواية أبي الصامت يقول: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: «من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً، كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة. فإذا أتيت الفرات فاغتسل، وعلّق نعليك، وامشي حافياً، وامشي مشي العبد الذليل»[٤] إلى آخره.

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٨٠ حديث ١٤٢٩٢، عن المحاسن للبرقي: ٧٠ حديث ١٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٨٠ حديث ١٤٢٩٣، عن عدّة الداعي: ١٣٩.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٨١ حديث ١٤٢٩٤، عن الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٥٦.

(٤) وسائل الشيعة ١٤: ٤٤ حديث ١٩٥٥٥، عن كامل الزيارات: ١٣٣.

ومنها رواية علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا علي، زر الحسين عليه السلام ولا تدعه».

قلت: فما لمن زاره من الثواب؟

قال عليه السلام: «من أتاه ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة ثواباً، ومحا عنه سيئة، وترفع له درجة»(١).

وفي معناهما روايات كثيرة(٢).

أمّا ما ورد من الروايات في باب الحجّ، تدلّ أنّ الركوب أفضل من المشي، فمحمولة على مَن يمنعه المشي من العبادة، لما في بعضها من التصريح بذلك(٣).

ولو تنزّلنا مع الخصم، فأقصى ما تفيد، اختيار أحد فرديّ الراجح الشرعيّ، مثل الصلاة مع المجتهدين اللذين أحدهم اقرأ، أو الصلاة في المسجدين وأحدهم الجامع. وفعل الأئمة عليهم السلام يعيّن رجحان المشي، فالقول بكراهته ـ فضلاً عن الحرمة ـ تهجّم على الدين، وكيف؟! وقد حجّوا مشاة.

ولا سبيل إلى القول بأنّ الورم اتفاقي؛ لما في الرواية التي رواها الكليني من التصريح «ألا تركب يخفّ عنك الورم».

فلم يبقى إلّا شنعته الثالثة، وهو إرتكاب الضرر المحرّم على رأيه الكاسد، نعوذ بالله من نسبة الجهل إليهم، وتعمّد ارتكاب ما نهى الله عنه؛ لأنّ علمهم وعصمتهم من ضروريات مذهب الإمامية.

---

(١) وسائل الشيعة١٤: ٤٤١ حديث ١٩٥٥٦، عن كامل الزيارات: ١٣٣ .

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٤: ١٣٩ باب ٤١ «استحباب المشي إلى زيارة الحسين عليه السلام».

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٨١ باب ٣٣ «استحباب اختيار الركوب في الحج ...».

سنتحفك بأقلّ قليل من الروايات الواردة، وكلمات العلماء في هذا الباب، وأنّ كلّ ما كان من صفات النبيّ صلى الله عليه وآله ثابت لهم، إلّا النبوة، ولكن للزيادة إفادة.

ج٧ من البحار ص٢٩٧ في حديث علي بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: سأل ضرار من هشام بن حكم، عن الدليل على الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله؟

فقال: الدلالة عليه ثمان دلالات: أربعة في نعت نسبه، وأربعة في نعت نفسه.

إلى قال: وأما الأربعة التي في نعت نفسه، فإنّه يكون أعلم الخلق، وأسخى الخلق، وأشجع الخلق، وأعفّ الخلق، وأعصمهم عن الذنوب، صغيرها وكبيرها، لم تصبه فترة ولا جاهلية، ولابدّ أن يكون في كلّ زمان قائم بهذه الصفة، إلى أن تقوم الساعة.

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي وكان حاضراً: من أين زعمت يا هشام أنّه لابدّ أن يكون أعلم الخلق؟

قال: إن لم يكن عالماً لم يؤمن أن تنقلب شرائعه وأحكامه، فيقطع من يجب عليه الحدّ، ويحدّ مَن وجب عليه القطع، تصديق ذلك قوله تعالى ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى**﴾[١] ثمّ ساق الحديث إلى اثباة العصمة وباقي الصفات[٢].

---

(١) يونس (١٠): ٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ١٤٢ حديث ١٦، عن علل الشرائع: ٧٨ ـ ٧٩.

وفيه ص٢٩٨ في حديث إسحاق بن غالب، وهو حديث طويل، يذكر فيه صفة الإمام وفضله، إلى أن قال: قال عليه السلام: «فهم عالم بما يرد عليه من ملتبسات الوحي، ومعميات السنن، ومشتبهات الفتن ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ**﴾[1] وتكون الحجة من الله على على العباد بالغة[2].

وفيه ص**٢٩٩** عن العياشي، عن أبي عمرو الزبيدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ ممّا استحقّت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثمّ العلم المنوّر بجميع ما تحتاج إليه الأُمّة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها خاصة وعامة، والمحكم والمتشابه، ودقائق علمه، وغرائب تأويله، وناسخه ومنسوخه».

قلت: وما الحجّة بأنّ الإمام لا يكون إلّا عالماً بهذه الأشياء التي ذكرت؟

قال: «قول الله تعالى فيمن أذن لهم في الحكومة وجعلهم أهلها ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾[3] تمام الآية والحديث[4].

وفيه ص٣٠٤ عن تفسيرالنعماني، بإسناده إلى إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: وللإمام المستحقّ للإمامة

---

(١) التوبة (٩): ١١٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ١٤٦ حديث ١٩.

(٣) المائدة (٥): ٤٤.

(٤) بحار الأنوار ٢٥: ١٤٩ حديث ٢٤، عن تفسير العياشي ١: ٣٢٢.

علامات، فمنها: أن يعلم أنّه معصوم من الذّنوب كلّها، صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطأ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا.

والثاني: أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه، وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس. فيحتاج الناس إليه، ولا يحتاج إليهم».

إلى أن قال عليه السلام: «فأمّا العصمة من جميع الذنوب، وبذلك يميّزه عن المأمومين، الذين هم غير معصومين؛ فلأنّه لو لم يكن عالماً لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل الناس فيه».

إلى أن قال عليه السلام: «أمّا وجوب كونه أعلم الناس، فإنّه لو لم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلّب الأحكام والحدود، وتختلف عليه القضايا المشكلة، فلا يجيب أو يجيب عنها»[1] إلى آخره.

وفيه ص٣٨٦ عن «الإرشاد» و«الاحتجاج»: كان الصادق عليه السلام يقول: «علمنا: غابر، ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الاسماع. وإنّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة عليها السلام، عندنا الجامعة وفيها جميع ما تحتاج إليه الناس».

فسئل عن تفسير هذا الكلام، فقال: «أما الغابر: فالعلم بما يكون.

وأما المزبور: فالعلم بما كان.

---

(١) بحار الأنوار ٢٥، ١٦٤، ذيل حديث ٣٢، عن المحكم والمتشابه: ٧٩.

وأمّا النكت في القلوب: فهو الإلهام.

وأمّا النقر في الأسماع: فحديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم.

وأمّا الجفر الأحمر: فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وأمّا الجفر الأبيض: ففيه توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وكتب الأنبياء الأُولى.

وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام: ففيه ما يكون من حادث، وأسماء مَن يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأمّا الجامعة: فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله من فِلق فيه، وخط عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتّى أنّه فيه أرش الخدشة والجلدة ونصف الجلدة»[1].

من فلق فيه، بالكسر ويفتح، أي من شقّ فمه، حكاه عن الجوهري[2].

وفيه ص٤١٥ عن سورة بن كليب، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّا والله لخزّان الله في أرضه وسمائه، لا على ذهب ولا فضّة، إلّا على علمه»[3].

وفي أمالي شيخنا الطوسي ص١٢٨ المعنعنة المعتبرة إلى محمّد بن الوليد، المعروف بشباب الصيرفي، مولى بني هاشم، قال: حدّثنا سعيد الأعرج،

---

(١) بحار الأنوار ٢٦: ١٨، حديث ١، عن إرشاد المفيد: ٣٥٧، واحتجاج الطبرسي: ٢٠٣.

(٢) الصحاح ٤: ١٥٤٤ «فلق».

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ١٠٥ حديث ١، عن بصائر الدرجات: ٢٩.

قال: دخلت أنا وسليمان بن خالد على أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، فأبتداني فقال:

«يا سليمان، ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يؤخذ به، وما نهى عنه ينتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولرسوله الفضل على جميع من خلق الله. العائب على أمير المؤمنين عليه السلام في شيء كالعائب على الله وعلى رسوله، والرادّ عليه في صغيرٍ أو كبيرٍ على حدّ الشرك بالله. كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله لا يؤتى إلّا منه، وسبيله الذي مَن تمسّك بغيره هلك.

كذلك جرى حكم الأئمّة عليهم السلام بعده واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض، وهم الحجّة البالغة على مَن فوق الأرض ومَن تحت الثرى.

أما علمت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: أنا قسيم الجنّة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب عصا والميسم، ولقد أقرّ لي جميع الملائكة والروح بمثل ما أقروا لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولقد حملت مثل حمولته، وهي حمولة الربّ، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى، ويستنطق فينطق، وأنا أدعى فأكسى واستنطق فأنطق. ولقد اُعطيت خصالاً لم يعطها أحد قبلي: علمت البلايا والقضايا وفصل الخطاب»[(١)].

وفيه بسنده المتّصل إلى المفضّل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: اُعطيت تسعاً، لم يعطى أحد قبلي

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٥٢ حديث ١، عن أمالي ابن الشيخ: ١٢٨.

سوى النبيّ صلى الله عليه وآله، لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي، فما غاب عنّي ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي، وأنّ بولايتي أكمل الله لهذه الأُمّة دينهم، وأتمّ عليهم النعم، ورضي لهم دينهم، إذ يقول يوم الولاية لمحمد صلى الله عليه وآله: يا محمّد أخبرهم أنّي أكملت لهم دينهم»[1] إلى آخره.

وحديث «سلوني قبل أن تفقدوني»[2] وقد رواه في البحار ج٧ ص٤٠١.

وحديث «لو ثنيت لي الوسادة»[3] للمنصف كفاية.

وفي الأمالي ص٢٦٠: إبراهيم الأحمري، بسنده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: «كان عليّ عليه السلام محدّثاً، وكان سلمان محدّثاً».

قال: قلت: فما آية المحدّث؟

قال: «يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت»[4].

وفيه إبراهيم الأحمري، بسنده إلى أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ منّا لمن ينكت في قلبه، وإنّ منّا لمن يؤتى في منامه، وإنّ منّا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطست، ومنّا من يأتيه صورة أعظم من جبرئيل وميكائيل».

وقال أبو عبد الله: «منّا من ينكت في قلبه، ومنّا من يقذف في قلبه، ومنّا من يخاطب».

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٤١.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ١٦٤.

(٣) بحار الأنوار ٢٨: ٢٣١، تفسير العياشي ٢: ٣٠٧.

(٤) الأمالي لابن الشيخ: ٢٦٠.

وقال عليه السلام: «وإنّ منّا لمن يعاين معاينة، وإنّ منّا من ينقر في قلبه كيت وكيت، وإنّ منّا لمن يسمع كما تقع السلسلة في الطست».

قال: قلت: والذي تعاينون ماهو؟

قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل»(١).

وفيه إبراهيم بسنده إلى الحرث النضري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الذي يسأل عنه الإمام، وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟

قال: «ينكت في القلب نكتاً، أو ينقر في الأُذن نقراً».

وقيل لأبي عبد الله عليه السلام: إذ سُئلت كيف تُجيب؟

قال: «إلهام أو سماع، وربما كانا جميعاً»(٢).

وفيه ص١٦١ إبراهيم، عن حماد بن عبد الله بن بكير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني أبو بصير أنّه سمعك تقول: «لولا أنّا نزداد لأنفذنا».

قال: «نعم».

قال: قلت: تزدادون شيئاً ليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: «لا، إذا كان ذلك كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحياً، وإلينا حديثاً»(٣).

وفيه إبراهيم، بسنده عن عبد الله بن بكير، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لولا أنّا نزداد لأنفذنا».

---

(١) بحار الأنوار ٢٦: ١٩ حديث ٣، عن الأمالي لابن الشيخ: ٢٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٦: ١٨ حديث ٢، عن الأمالي لأبن الشيخ: ٢٦٠.

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ٨٦ حديث ١، عن أمالي ابن الشيخ: ٢٦١.

قال: قلت: جعلت فداك، تزدادون شيئاً ليس عند رسول الله؟

قال عليه السلام: «إنّه إذا كان ذلك أُتي النبي صلى الله عليه وآله فأُخبر، ثمّ عليّ عليه السلام، ثمّ إلى واحد واحد، حتى ينتهي إلى صاحب الأمر»[1].

والروايات كثيرة، ولنذكر حديث الشاميّ الذي طلب مناظرة الصادق عليه السلام، والحديث وإن طال، ولم يكن إلّا بعضه شاهدنا، إلّا أنّي أحببت إيراده هنا أُنساً به، وقد رواه المفيد في «الإرشاد» والكشي في كتابه، وأنا أنقله عن الكشيّ ص١٧٨ طبعة بمبئي، بسند معتبر عن هشام بن سالم، قال:

كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام، وجماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلمّا دخل سلّم، فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، فجلس، ثمّ قال: «ما حاجتك أيّها الرجل»؟

فقال: بلغني أنّك عالم بكل ما تُسئل عنه، فصرت إليك لأُناظرك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «في ماذا»؟

قال: في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه ونصبه ورفعه.

فقال عليه السلام: «يا حمران، دونك الرجل».

فقال الرجل: إنّما أُريدك، لا حمران.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن غلبتَ حمران فقد غلبتني».

فأقبل الشاميّ يسأل حمران حتّى غرض[2]، وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله: «كيف رأيت يا شامي»؟

---

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٨٦ حديث ٢، عن أمالي ابن الشيخ: ٢٦١ .

(٢) غَرِضَ منه: أي ضجر وملَّ.

قال: رأيته حاذقاً، ما سألته عن شيء إلّا أجابني فيه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حمران، سل الشاميّ، فما تركه يكشر[1]».

فقال الشاميّ: أرأيت يا أبا عبد الله أُناظرك في العربيّة؟

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: «يا ابان بن تغلب ناظره»، فناظره، فما ترك الشامي يكشر.

قال: أُريد أن أُناظرك في الفقه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا زرارة ناظره»، فناظره فما ترك الشامي يكشر.

فقال: أُريد أن أُناظرك في الكلام.

قال: «يا مؤمن الطاق ناظره»، فناظره، فسجل[2] الكلام بينهما، ثمّ تكلّم مؤمن الطاق بكلام فغلبه به.

فقال: أُريد أن أُناظرك في الاستطاعة.

فقال للطيّار: «كلّمه فيها» فما تركه يكشر.

ثمّ قال: أُريد أن أُكلّمك في التوحيد.

فقال لهشام بن سالم «كلّمه»، فما تركه يرتم[3] ولا يحلى ولا يمرّ.

قال: فبهت، فضحك أبو عبد الله عليه السلام حتى بدت نواجده.

فقال الشامي: كأنّك أردتَ أن تخبرني أنّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

قال: «هو ذاك».

---

(١) يكشر: أي يهرب.

(٢) السجل والتسجيل: المري والتقرير والجريان.

(٣) يرتم بكلمة: أي تكلم .

ثم قال عليه السلام: «يا أخا أهل الشام، أمّا حمران، فحرّفك فحرت له فغلبك بلسانه، وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه.

وأمّا أبان بن تغلب، فمغث[١] حقاً بباطل، فغلبك.

وأمّا زرارة، فقاسك فغلب قياسه قياسك.

وأمّا الطيّار، فكان كالطير يقع فيقوم، وأنت كالطير المقصوص، لا نهوض لك.

وأمّا هشام بن سالم، فأحسن أن يقع فيطير.

وأمّا هشام بن الحكم، فتكلّم بالحقّ، فما سوغك بريقك.

يا أخا أهل الشام، إنّ الله أخذ ضغثاً من الحقّ وضغثاً من الباطل فمغثهما، ثمّ أخرجهما إلى الناس، ثمّ بعث أنبياء يفرقون بينهما، ففرّقها الأنبياء والأوصياء، وبعث الله الأنبياء ليعرفوا ذلك، وجعل الأنبياء قبل الأوصياء، ليعلم الناس مَن يفضّل الله ومَن يختصّ.

ولو كان الحقّ على حدّة والباطل على حدّة، كلّ واحد منهما قائم لشأنه، ما احتاج الناس إلى نبيّ ولا وصيّ، لكن الله خلطهما وجعل تفريقهما إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام من عباده.

فقال الشامي: قد أفلح من جالسك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجالسه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، فيأتيه بالخبر من عند الجبّار، فإن كان ذلك كذلك فهو كذلك».

---

(١) مغث: أي خلط .

فقال الشامي: اجعلني من شيعتك، وعلّمني.

فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام: «علّمه، فإنّي أحب أن يكون تلميذاً لك».

قال علي بن منصور وأبو مالك الحضرمي: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام، ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام، وهشام يزوّده هدايا أهل العراق.

قال علي بن منصور: وكان الشاميّ ذكيّ القلب»[1] انتهى.

فلنسحب جيش المقال الاحتلالي عن هذه الأصقاع، فإنّا لا نريد لك الإستقصاء والإحاطة بالروايات والأخبار؛ لأنّه ليس في وسعنا، ولكن غرضنا الإشارة والتنبيه على أنّهم خزّان علم الله على حلاله وحرامه، ومن كان كذلك، فكيف لا يعلم بما هو مضرّ.

وأيضاً عصمتهم المسلّمة كيف لا تمنعهم عن فعل المحرّم، عمداً كان أو خطأ، لما عرفت.

وما أحسن كلمة المحقّق الداماد في رواشحه، حيث تقدّمت عبارته السالفة في النبوّة، نصّ عبارته في الإمام ص٣٣ قال:

«ثمّ مرتبة الوراثة والوصاية، وتجري في كمال جوهر النفس، في اشتعال قوتها القدسيّة، وشدّة اعتلاقها واتصالها، وتأكد علائقها بذلك العالم، مجرى مرتبة النبيّ، وتستنّ بسنّتها، وتتلو درجتها، وتنوب عنها منابها.

إلّا أنّها ليست بمثابة تصحح للوصي تشبّح الملائكة، وتمثّل روح القدس له على صورة يراها ويعاينها، حتى يكون يتصحّح له من ذلك سماع

(١) رجال الكشيّ: ٢٧٥ رقم ٤٩٤.

كلام الله بالوحي والإيحاء، على أن يكون هو الموحى إليه من دون توسّط الرسول، بل إنّما الأوصياء والأئمّة بعقولهم محدّثون مفهّمون ـ على البناء للمجهول من التحديث والتفهيم ـ فربّما يسمعون الصوت، لكنّهم لا يعاينون شخصاً متشبّحاً» إلى قوله ص٣٤:

«والنبيّ سلطانه على الظاهر والباطن جميعاً، وكذلك وصيّه الذي يقوم مقامه»، إلى قوله: «فكذلك قوّة البيان والتعليم، إنّما تفيض عنه بواسطة خليفته ووصيّه على جميع أهل العالم، وهو صاحب التأويل، وخازن الوحي، وحافظ الدين، وحامل عرش الحكمة، وعيبة علم الحقيقة، ونو الله في ظلمات الأرض»[1]، إلى آخره.

وإن أردت تمام الكلام في عصمتهم عليهم السلام، فعليك بمطالعة كتب أصحابنا الموضوعة لهذا الفنّ، تجد الكافي الشافي.

لا تحسب أنّ إخواننا المسلمين، يمنعون علينا وراثة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، واختصاص آله بعلومه، وإن منعوا الإرث المالي، فقد صرّحوا بوارثة الميراث الكمالي، فإنّ الناسب للأئمّة الجهل مخطئ بإجماع اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) الرواشح السماوية: ١١٤.

[بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام]

وفي الحقيقة لا ينكر مؤلّف «التنزيه» تلك الآثار الجميلة، والمزايا والأخلاق الحميدة، والأفعال المرضيّة. لكنّه أطاع شيطان الغضب، وانقاد بشطن الهوى والتعصّب الذاتي للحميّة الشخصيّة، فقد هدّه متردياً في تلك المهاوي العميقة، وما تناول شاء التخلّص من تلك الترديات السحيقة، حتى سقط مرّة أُخرى من كوّةٍ تنفذ إلى غور بعيد القعر، صعب الإرتقاء، قائلاً: «أمّا بكاء علي بن الحسين ـ إلى قوله ـ فهو أجنبيّ عن المقام»[1].

وهي سقطة وعثار لا يقال، وكبوة لا يقال معها: لعا. ولعلك تستغرب هذه المقالة، وجدير بك الاستغراب، ممن يكافح عن الديانة، وينافح عن الحقيقة، سيما إذا قستها إلى أُصول المذهب، وتحقّقت إيعازها، وعرفت

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٦.

مغزاها، تعلم أنّ هذه الجلبة إحدى فضائح التأليف، ومخازي التصنيف، بماذا عساك لا تدري ما ذا يحسب؟!

يحسب زين العابدين عليه السلام قرويّاً أو بدويّاً اُصيب بأبٍ له، وافتقد إخوة وعمومة، فحرّكته الطبيعة القاهرة، فأفاض الدموع مستعبراً بداع الشفقة والحنان، مقهوراً مقسوراً، لا يقدر على جذب ذاك العنان.

فالإمام زين العابدين عليه السلام يريد الكفّ عن البكاء المحرّم، لكن ليس ذاك باستطاعته، ولا هو في وسعه، فهو مقسور بقاسر طبيعي، وقاهر غريزي، لا يعلم أكثر من ذلك المحرّك والداعي.

حاشا وكلا، ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾[1].

علي بن الحسين الإمام المعصوم، العالم بالعلم المكتوم، الجامع المانع. تراه يبكي أربيعن سنة أو عشرين سنة، بمحرّك طبيعي وباعث ارتكازي، كما يستعبر القروي.

آه آه، يأبه من دون علم ولا معرفة بفضل الحسين عليه السلام، الذي بكته الأنبياء والملائكة، والإنس والجن، والأرض والسماء، والطير في الهواء، والوحش في الفلا، وسكان الجنان، حسبما نطقت به الأخبار الصحيحة، أورد الكثير منها في «الخصائص الحسينيّة»[2] الشيخ جعفر الشوشتري، وعاشر بحار الأنوار[3].

---

(١) مريم (١٩): ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الخصائص الحسينية: ١٨٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠١.

[بكاء الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على الحسين عليه السلام]

الحسين عزيز الله، بكاه رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار.

ففي الخصال للصدوق ص٣١، بسنده إلى الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه اسماعيل، الكبش، الذي أنزل عليه، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلق إليك؟

فقال: يا رب، ما خلقتَ خلقاً هو أحب إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله.

فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك، أم نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فأوحى الله إليه: فولدك أحبّ إليك، أم ولده؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يد أعدائه أوجع لقلبك؟ أم ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

فقال: يا رب، بل ذبح ولده ظلماً على يد أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي.

فجزع إبراهيم لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك، بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب»[(١)].

وله مقامات اُخر بكى فيها على الحسين عليه السلام، ذكرها في «الخصائص» وغيرها.

وفي ج١٠ من البحار ص١٥٦: روى في «الدر الثمين» في تفسير قوله: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾[(٢)] أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل عليه السلام: قل يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٥ حديث ٦، عن عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ٢٠٩ باب ١٧.

(٢) البقرة (٢): ٣٧.

فلما ذكر الحسين عليه السلام، سالت دموعه، وانخشع قلبه، وقال: يا أخي يا جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي ويسيل عبرتي.

قال جبرئيل عليه السلام: ولدك هذا يصاب بمصيبة، تصغر عندها المصائب.

فقال: أخي ما هي؟

قال: يقتل عطشاناً غريباً، وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه، واقلّة ناصراه، حين يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلّا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذا سبق في علم الله الواحد المنّان، فبكى آدم وجبرئيل عليه السلام بكاء الثكلى[1].

وفي «الخصائص الحسينيّة» للمرحوم شيخ جعفر الشوشتري: روى ص١٠٣ بقوله: «المجلس الخامس: سفينة نوح: لمّا وصلت إلى أرض مقتل الحسين عليه السلام ومحلّ طوفان سفينة أهل البيت، أخذته الأرض، وخاف نوح من الغرق، فقال: إلهي طفت الدنيا، وما أصابني فزع مثل هذه الأرض؟ فنزل جبرئيل عليه السلام بقصّة الحسين عليه السلام وقال: يقتل في هذا الموضع، فبكى نوح وأصحاب السفينة».

وفيه قال، ومجمع البحرين: «حين التقى موسى والخضر، فحدّثه عن آل محمّد صلى الله عليه وآله وعن بلائهم، حتّى إذا بلغ إلى ذكر الحسين عليه السلام، فعلت أصواتهما بالبكاء على ما في الرواية».

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ حديث ٤٤.

ثمّ ذكر حديث بساط سليمان حين دارت الريح ببساطه دورات.

وإبراهيم عليه السلام حين اُري ملكوت السموات، فرأى شبح الحسين فبكى. وذكر عدّة مجالس[١]، ذكرها كلّها في ١٠ «البحار»[٢].

ثمّ ذكر في «الخصائص» على نحو ما في «البحار»، حديث إسماعيل، وقصّة أغنامه التي امتنعت من شرب ماء الفرات حزناً على الحسين عليه السلام.

وذكر بكاء جملة من الأنبياء على نحو ما في «البحار»[٣].

وروى في «البحار» قصّة إسماعيل بن دانيال، وهو نبيّ، وسؤاله الرجوع إلى دنيا ليطلب بثار الحسين عليه السلام مع مَن يطلبه[٤]، وستمر عليك قصة عيسى في حديث بكاء أمير المؤمنين.

وبالجملة، بكاء الأنبياء مشهور، وحديثه مستفيض.

وفي أمالي الشيخ الطوسي ص١٩٨ بسنده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «بينما الحسين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد أتحبّه؟

قال: نعم.

قال: أما أنّ اُمتك ستقتله، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك حزناً شديداً»[٥] إلى آخره.

---

(١) الخصائص الحسينيّة: ١٩٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٢ ـ ٢٤٤.

(٣) الخصائص الحسينيّة: ١٩٤، بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٧ حديث ٢٨، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٦٤.

(٥) بحار الأنوار ٤: ٢٢٨ حديث ٩، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٦٠.

وفي ص٢٠٠ بإسناده إلى أبي سلمة، عن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ أجلس حسيناً على فخذه، فجعل يقبّله، فقال جبرئيل عليه السلام: أتحب ابنك هذا؟

قال: نعم.

قال: فإنّ أمتك ستقله بعدك، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال له: إن شئت أريتك من تربته»[1] الحديث.

وفيه ص٣٣ بالإسناد عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: حدّثتني أسماء بنت عميس الخثعميّة، قالت: قبّلت[2] جدّتك فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالحسن والحسين عليهما السلام.

قالت: فلمّا ولدت الحسن عليه السلام، جاء النبيّ ﷺ فقال: يا أسماء هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فدعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها، ثمّ أذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في أُذنه اليسرى، وقال لعليّ عليه السلام: بم سمّيت ابنك هذا؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله.

قال ﷺ: وأنا ماكنت لأسبق ربّي عزّ وجلّ.

قال: فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: يا محمّد، عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدك، فسمّ ابنك باسم ابن هارون.

فقال النبي ﷺ: ما اسم ابن هارون؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٠ حديث ١٣، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٥٥.

(٢) قبّلت: أي صرت لها قابلة.

قال جبرئيل عليه السلام: شبر.

قال: وما شبر؟

قال: الحسن.

قالت أسماء: فسمّاه الحسن.

قالت أسماء: فلما ولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام نفّستها به، فجائني النبي فقال: هلمّي ابني يا أسماء، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسين عليه السلام، قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال رسول الله: إنّه سيكون لك حديثاً، اللهم العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك.

فلمّا كان في يوم سابعه، جائني النبي صلى الله عليه وآله وقال: هلمّي ابني، فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن، وعقّ عنه ـ كما عقّ عن الحسن ـ كبشاً أملحاً، وأعطى القابلة رجلاً، وحلق رأسه، وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وخلّق رأسه بالخلوق وقال: إنّ الدم من فعل الجاهليّة.

قالت: ثمّ وضعه في حجره، ثمّ قال: يا أبا عبد الله، عزيز عليّ، ثم بكى.

فقلت: بأبي وأُمّي، فعلتَ في هذا اليوم وفي اليوم الأول فما هو؟ قال: أبكي على ابني هذا، تقتله فئة باغية كافرة من بني أميّة، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم.

ثمّ قال: اللهم إنّي أسألك فيما سألك إبراهيم في ذريته، اللهم أحبّهما وأحبّ من يحبّهما، والعن من يبغضهما ملئ السماء والأرض»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٣٨ حديث ٤، عن معاني الأخبار: ٥٧ .

وفي مجالس ابن الشيخ ص٦١ بسنده إلى جابر الجعفي،عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: «زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أهدت لنا اُم أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدّمناه فأكل منه، ثمّ قام النبيّ صلى الله عليه وآله إلى زاوية البيت فصلّى ركعات، فلمّا أن كان في آخر سجوده بكى بكاء شديداً، فلم يسأله أحد منّا إجلالاً له.

فقام الحسين عليه السلام فقعد في حجره، وقال: يا أبت، لقد دخلت بيتنا، فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثمّ بكيت بكاء غمّنا، فلمَ بكيت؟

فقال: يا بني، أتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً، فأخبرني أنّكم قتلى، ومصارعكم شتّى»[1] الحديث.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٤ حديث ٢٠، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٥٨.

[بكاء فاطمة عليها السلام على ولدها الحسين عليه السلام]

وفاطمة عليها السلام، ففي ص١٦٠ ج١٠ من «البحار» عن جعفر بن محمّد الفزاري، معنعناً عن الصادق عليه السلام، قال: «كان الحسين عليه السلام مع اُمّه تحمله، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين مَن أعان عليك.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبه، أيّ شيء تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء، يتهادون إلى القتل، كأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا أبه، وأين هذا الموضع الذي تصف؟

قال: موضع يقال له: كربلاء، ذات كرب وبلى علينا وعلى الأُمّة، يخرج عليهم شرار أُمّتي، لو أنّ أحدهم شفع له من في السموات والأرض ما شفّعوا فيه، وهم المخلّدون في النار.

قالت: يا أبه يقتل؟

قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، تبكيه السموات والأرض، والملائكة والوحش، والنبات والبحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفّس، ويأتيه قوم من محبّينا، ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقّنا منهم، وليس على الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم.

أُولئك مصابيح في ظلمات الأرض، وهم الشفعاء، وهم واردون عليّ حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيمائهم، وكلّ أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا، لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم نزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء: إنّا لله وبكت» إلى آخره[1].

وفيه: رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين: روي أنّه لمّا أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة بقتل ولدها الحسين، وما يجري عليه من المحن، بكت فاطمة عليها السلام بكاءً شديداً وقالت: يا أبه متى يكون ذلك؟

قال: في زمان خالٍ منّي ومنك ومن علي عليه السلام.

فاشتدّ بكاؤها وقالت: يا أبه، فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٤ حديث ٢٢، عن تفسير فرات: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧.

وفيه ص٢٤٦ في حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله، إلى أن قال: «فقد طال بكاء النساء، وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرتُ إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إنّ فاطمة لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة، لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها، وقد استعدوا لذلك، مخافة أن يخرج منها عنق» إلى قوله:

«فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة، وإنّ البحار لتنفتق فيدخل بعضها في بعض، وما منها قطرة إلّا بها ملك موكل»، إلى قوله:

«فلا تزال الملائكة يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومَن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله سبحانه، مخافة على أهل الأرض. ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض، لصعق أهل الأرض، وتقلّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم.

قال: غيره أعظم منه، ما لم تسمعه.

ثمّ قال: يا أبا بصير، أما تحب أن تكون ممّن يسعد فاطمة؟ فبكيت حين قالها، فما قدرت على النطق، وما قدرت على كلامي من البكاء»[1] انتهى رمز في الحديث.

ما بال الملائكة لا يُبالون بإرتكاب المعيب الشائن، من هذه الزعقات والأصوات المنكرة؟!

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٨ حديث ١٤، عن كامل الزيارات: ٢٨ .

[بكاء الإمام علي عليه السلام على ولده الحسين عليه السلام]

وأمير المؤمنين عليه السلام: ١٠ البحار ص١٥٨ بسنده إلى ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل نينوى، وهو بشطّ الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين؟

فقال: لو عرفته كمعرفتي، لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتّى اخضّلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً، وهو يقول: أوّاه أوّاه، مالي ولآل أبي سفيان؟! مالي ولآل حرب؟! حزب الشيطان وأولياء الكفر، صبراً أبا عبد الله، فقد لقى أبوك مثل الذي تلقى منهم.

ثمّ دعا بماء وتوضّأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء أن يصلّي، ثمّ ذكر نحو كلامه الأول، إلّا أنّه نعس عند انقضاء كلامه وصلاته، ثم انتبه فقال: يا بن عباس.

فقلت: ها أنا ذا.

فقال: ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك، ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء، معهم أعلام بيض، وقد تقلّدوا سيوفهم، وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين فرخي ومضغتي ومخّي، قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث.

وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء، ينادون ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثمّ يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر فقد أقرّ الله عينك يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ثمّ انتبهت هكذا.

والذي نفس عليّ بيده، لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم ﷺ، أنّي سأراها في خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلا، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وأنّها لفي السموات معروفة، تذكر أرض كرب وبلا، كما تذكر بقعة الحرمين وبيت المقدس.

ثمّ قال: يا بن عباس، اطلب لي حولها بعر الظبا، فوالله ما كذبت ولا كُذّبت، وهي مصفّرة لونها الزعفران.

قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي، فقال عليّ عليه السلام: صدق الله ورسوله.

ثمّ قام يهرول إليها، فحملها وشمّها وقال: هي بعينها، أتعلم يا بن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم، وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريون، فرأى الظباء مجتمعة وهي تبكى، فجلس عيسى عليه السلام، وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لمَ جلس ولمَ بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟

قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟

قالوا: لا والله.

قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول، شبيهة اُمّي، ويلحّد فيها، ريحها أطيب من المسك، لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء.

فهذه الظباء تكلمن وتقول: إنّها ترعى حول هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض.

ثمّ ضرب بيده إلى هذه البعران فشمّها وقال: هذه بعر الظبا على هذه الطيب لمكان حشيشها، اللهمّ فأبقها أبداً حتّى يشمّها أبوه، فيكون له عزاء وسلوة. فبقيت إلى يوم الناس هذا، وقد اصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلا.

ثمّ قال بأعلى صوته: يا ربّ عيسى بن مريم، لا تُبارك في قتلته، ولا المعين عليه، والخاذل له.

ثمّ بكى بكاء شديداً، وبكينا معه، حتّى سقط على وجهه، وغشي عليه طويلاً ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه، وأمرني أن أصرّها كذلك، ثمّ قال:

يا بن عباس، إذا رأيتها تتفجّر دماً عبيطاً، ويسيل منها دم عبيط، فأعلم أنّ أبا عبد الله عليه السلام قد قتل بها ودفن.

قال ابن عبّاس: فوالله لكنتُ أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما افترض الله عليّ؛ وأنا لا أحلّها من طرفي كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت، فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ وقلت:

قد والله قتل الحسين عليه السلام، والله ما كذّبني عليّ قطّ في حديث حدّثني، ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون فلا كان؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره.

ففزعت وخرجت، وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر عين الشمس، ثمّ طلعت الشمس فرأيتُ والله كأنّها منكسفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باكٍ فقلت: قد والله قتل الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصــــــبروا آل الرســــــول   قتــــــل الفــــــرخ النحــــــول

نــــزل الــــروح الأمــــين   ببكــــــاء وعويــــــل

ثمّ بكى بأعلى صوته، فأثبت عندي تلك الساعة، وكان الشهر المحرّم يوم عاشورا لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورود خبره وتأريخه، فحدثت بهذا الحديث أُولئك الذين كانوا معه، فقالوا: قد والله سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة، ولا ندري ما هو، فكنّا نرى أنّه الخضر»[(١)].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٢ حديث ٢، عن أمالي الصدوق: مجلس ٨٧ حديث ٥ .

وأتحفناك بهذا الخبر تاماً؛ لما فيه من الفوائد الجمعة، تظهر لك بأوّل لمحة.

وأمثاله كثير، كحديث هرثمة المشهور في خروجه مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين إلى قوله:

«فلما ضرب ابن زياد بالبعث إلى حرب الحسين، خرجتُ مع العسكر، فلمّا وصلت إلى كربلاء، عرفتُ الأرض، وذكرت الحديث، فقلت: لا والله لا أُقاتل الحسين»، إلى أن قال:

«فأقبلت إلى الحسين» حتّى قال: فقال عليه السلام:

«تنحى عنّا حتى لا ترى لنا سواداً، ولا تسمع لنا واعية، فإنّ من رأى سوادنا أو سمع واعيتنا ثمّ لم ينصرنا، كان حقاً على الله أن يكبّه على منخريه في نار جهنم»[1].

وهو مرويّ في «البحار» وفي «كتاب صفّين»، لنصر بن مزاحم المنقري، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، على ما ببالي بعيداً.

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٥ حديث ٤، عن أمالي الصدوق: مجلس ٢٨ حديث ٦.

[بكاء الأئمّة عليهم السلام على الإمام الحسين عليه السلام]

وأبو محمد الحسن: في «الخصائص الحسينيّة» ص١٠٢، فقد روي أنّ الحسن عليه السلام لما دنت وفاته ـ إلى قوله ـ فقال: «صدق حديث جدّنا رسول الله فيّ وفيك»، ثمّ اعتنقه وبكيا كثيراً، ثم ساق حديث القصرين ـ إلى قوله ـ فعند ذلك بكيا، وضجّ الحاضرون في البكاء والنحيب»[١].

في البحار ١٠: وساق حديث وفاة الحسن عليه السلام ـ إلى قوله ـ «فلمّا نظر إليه الحسين بكى، فقال الحسن: ما يبكيك؟ ـ إلى قوله ـ فبكى الحسن وقال: وأنت يا أبا عبد الله قد ازدلف إليك ثلاثون»[٢] الحديث.

وأبو عبد الله الصادق: ففي ١٠ البحار ص١٦٦ في حديث مسمع كردين الطويل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

(١) الخصائص الحسينيّة: ١٩١.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ١٤٢.

قلت: أنا رجل مشهور من أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثيرة من القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان، فيميلون عليّ.

قال: «فما تذكر ما صنع به»؟

قلت: بلى.

قال: «فتجزع»؟

قلت: أي والله، فاستعبر لذلك، حتى يرى أهلي أثر ذلك، فامتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي.

قال: «رحم الله دمعتك، أما أنّك من الذين يعدّون في أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون بخوفنا، ويأمنون إذا آمنا.

أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة ما تقرّ به عينك قبل الموت، فملك الموت أرقّ عليك من الأمّ الشفيقة على ولدها».

قال: «ثمّ استعبر، واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة وخصّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل الحسين، وما بكى لنا أكثر، ومارقأت الدموع الملائكة منذ قتلنا»[١] والحديث طويل، ورواه في الوسائل[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٩ حديث ٣١، عن أمالي الشيخ الطوسي: ١٠١.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٩٧٠٥، عن كامل الزيارات: ١٠١.

وأبو إبراهيم موسى بن جعفر: في حديث الرضا عليه السلام، رواه في الوسائل ص٥٠٢ بسنده إلى إبراهيم، قال: قال الرضا عليه السلام: «فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب».

ثمّ قال عليه السلام: «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»[1].

وأبو الحسن الرضا عليه السلام: في حديث الريّان بن شبيب ص٥٠٢ في الوسائل أنّه قال: «يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابكي للحسين بن علي، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون. ولقد بكت السموات والأرضون لقتله» إلى أن قال:

«يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتّى تصير دموعك على خديك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً» إلى آخره[2].

وسيمرّ عليك حديث تقريح جفونه.

وأبو جعفر الباقر عليه السلام: في الوسائل ص٥٠٣ في حديث علقمة، عن أبي جعفر عليه السلام، إلى أن قال: «ثمّ ليندب الحسين ويبكيه، ويأمر مَن في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة، بإظهار الجزع عليه، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام» إلى آخر الحديث[3].

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ حديث ١٩٦٩٧، عن أمالي الصدوق: ١١١ حديث ٢.
(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ حديث ١٩٦٩٤، عن أمالي الصدوق: ١١٢ حديث ٥.
(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٩ حديث ١٩٧٠٩، عن مصباح المتهجّد: ٧١٣.

وأحاديث الأئمّة في بكائهم وحثّهم على البكاء كثيرة، ففي الوسائل ص٥٠٢ بالإسناد إلى الحسين بن ثوير، عن الصادق، قال في حديث: «إنّ أبا عبد الله عليه السلام لما قضى، بكت عليه السموات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، ومن يتقلّب في الجنّة والنار، ومن خلق ربنا، ما يرى وما لا يرى بكى على أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلّا ثلاثة أشياء».

قلت: وما هذه الثلاثة؟

قال: «لم تبك البصرة ولا دمشق ولا آل ...»[1].

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٦ حديث ١٩٧٠١، عن الكافي ٤: ٥٧٥ حديث ٢ . وفيهما: «ولا آل عثمان»، وفي نسخة: «ولا آل زياد».

[بكاء الملائكة والحيوانات والجنّ على الإمام الحسين عليه السلام]

وبكاء الملائكة ـ مضافاً إلى ما سلف ـ في ١٠ البحار ص١٥٤ بسنده إلى ابن عباس، قال: الملك الذي جاء إلى محمّد صلى الله عليه وآله يخبره بقتل الحسين عليه السلام، كان جبرئيل الروح الأمين، منشور الأجنحة، باكياً، صارخاً، قد حمل من تربته وهو يفوح كالمسك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «أو تفلح أمّة تقتل فرخي»؟! أو قال: «فرخ ابنتي»، قال جبرئيل عليه السلام: يضربهم الله بالاختلاف، فيختلف قلوبهم[1].

وفيه ص٢٤٩ في حديث هشام بن سعد، قال: أخبرني المشيخة، أنّ الملك الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وأخبره بقتل الحسين عليه السلام هو ملك البحار، وذلك أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس، نزل على البحر ونشر أجنحته عليها، وصاح صيحة عظيمة وقال: يا أهل البحار ألبسوا أثواب الحزن، فإنّ فرخ الرسول مذبوح.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٧ حديث ٢٨، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٦٤.

ثمّ حمل من تربة قبره في أجنحته إلى السماوات، فلم يلق فيها ملكاً إلّا شمّها، وصار عنده لها أثر، ولعن قتلته وأشياعهم وأتباعهم(١).

والشيخ الطوسي في الأمالي، روى أنّ عظيماً من عظماء الملائكة، استأذن ربّه في زيارة النبيّ، فرأى الحسين عليه السلام ـ إلى قوله ـ: أما أنّ اُمتك ستقتله ـ وإلى أن قال ـ: وذاك العظيم هو إسرافيل(٢).

وفي ١٠ البحار ص٢٤٤ بسنده إلى ميثم التمار: يقول: والله لتقتل هذه الاُمّة ابن بنت نبيها في المحرّم، بعشر يمضين فيه، وليتخذن أعداؤه ذلك اليوم يوم بركة، وأنّ ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام.

ولقد أخبرني أنّه يبكيه كلّ شيء، حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جو السماء، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، ومؤمنو الإنس والجنّ، وجميع ملائكة السموات والأرض، ورضوان، ومالك، وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً(٣).

وفيه ص٢٤٥ في حديث زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٢١ حديث ٥، عن كامل الزيارات: ٦٧.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٢ حديث ٤، عن علل الشرائع ١: ٢١٧، وأمالي الصدوق، المجلس ٢٧ حديث ١.

أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وأنّ البحار تفجّرت، وأنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين.

وما اختضبت منّا امرأة ولا دهنت، ولا اكتحلت، ولا رجّلت، حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد.

وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي عليه السلام إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه. وأنّ الملائكة التي عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة»، إلى أن قال:

«وما عين أحبّ إلى الله، ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة وأسعدها عليه، ووصل رسول الله وأدّى حقّنا. وما من عبد يحشر إلّا وعيناه باكية، إلّا الباكي على جدي فإنّه يحشر وعينه قريرة»[1].

والمستفيض المروي بعدّة طرق في تفسير ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ**﴾[2]: «ولكن الحسين بكت عليه السماء»[3].

ومثله المشهور رواية: «ما بكت السماء إلّا على يحيى والحسين عليهما السلام»[4].

والطيور: في ١٠ البحار ص٢٤٧ عن الحسين بن أبي غندر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سمعته يقول في البومة: فقال: «أحد منكم رآها بالنهار»؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٦ حديث ١٣، عن كامل الزيارات: ٨٨.

(٢) الدخان (٤٤): ٢٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٩ حديث ١٥، عن كامل الزيارات: ٨٩.

(٤) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٠ حديث ١٨، عن كامل الزيارات: ٩٠.

قيل له: لا تكاد تظهر بالنهار، ولا تظهر إلّا ليلاً.

قال: «أما إنّها لم تزل تأوي العمران أبداً، فلما أن قتل الحسين عليه السلام آلت على نفسها أن لا تسكن العمران أبداً، ولا تأوي إلّا الخراب، فلا تزال نهارها صائمة، حزينة حتّى يجنّها الليل، فإذا جنّها الليل فلا تزال ترنّ على الحسين حتّى تصبح»[١].

ومثله روى الميثمي إلّا أنّه أبدل ترنّ بـ«ترنّم»[٢].

وفيه عن سلمة، عن الحسين بن صاعد، وكان قيّماً للرضا عليه السلام، قال: حدّثني أبي، قال: دخلت على الرضا عليه السلام، فقال لي: «ما يقول الناس»؟

قلت: جعلت فداك، جئنا نسألك.

قال: فقال عليه السلام: «ترى هذه البومة؟ كانت على عهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله تأوي المنازل والقصور، وكانت إذا أكل الناس الطعام، تطير فتقع أمامهم، فيرمى إليها بالطعام، وتسقى ثمّ ترجع إلى مكانها، ولما قتل الحسين عليه السلام خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري، وقالت: بئس الأُمة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيكم، ولا آمنكم على نفسي»[٣].

وحديث ابن فضّال، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ البومة لتصوم النهار، فإذا أفطرت تدلهت على الحسين حتى تصبح»[٤] انتهى.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٣ حديث ٣٤، عن كامل الزيارات: ٩١.
(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤ حديث ٣٧، عن كامل الزيارات: ٩٢.
(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤ حديث ٣٥، عن كامل الزيارات: ٩٠.
(٤) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤ حديث ٣٦، عن كامل الزيارات: ٩٠.

ولا يفوتك اللغز في الاقتصار على حديث البومة من بقية الطيور، فإنّه رمز خفيّ.

والجنّ: ولا ضبط لكثرة نياحتهم، فالإشارة في ص٢٥٣ في حديث عبد الله بن حسّان الكناني، قالت: بكت الجن على الحسين عليه السلام فقالت:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

الأبيات[1].

وفي حديث دعبل الخزاعي، عن أُمّه سُعدى بنت مالك الخزاعية، أنّها سمعت نوح الجنّ على الحسين عليه السلام:

يابن الشهيد ويا شهيداً عمّه ... خير العمومة جعفر الطيّار

عجباً لمصقول أصابك حدّه ... في الوجه منك وقد علاك غبار

وعن ابن بطة أنّه سمع نوحهم:

أيا عين جودي ولا تجمدي ... وجودي على الهالك السيّد

ومن نوح نسائهم:

نساء الجنّ يبكين من الحزن شجيّات ... ويسعدن بنوح للنساء الهاشميات

ويندبن حسيناً عظمت تلك الرزيّات ... ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيات

ويلبسن ثياب السّود بعد القصبيّات[2]

وفيه ص٢٧٤ حديث أبي زياد، قال: وكان الجصّاصون يسمعون نوح الجنّ حين قتل الحسين في السحر بالجبّانة، وهم يقولون:

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٧ حديث ٤، عن كامل الزيارات: ٩٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٦ حديث ٣، عن مناقب آل أبي طالب ٤: ٦٢.

مســـــح الرســـــولُ جبينـــــه فلـــه بريـــق فـــي الخـــدود
أبـــواه مـــن عليـــا قـــريش وجـــده خيـــر الجـــدود[١]

وفي أمالي شيخنا الطوسي ص٥٦ بإسناده إلى محفوظ بن المنذر، قال: حدّثنا رجل من تميم كان يسكن الرابية، قال: سمعت أبي يقول: ما شعرنا بقتل الحسين حتّى كان ليلة عاشوراء، فإنّي لجالس بالرابية، ومعي رجل من الجنّ، فسمعنا هاتفاً يقول:

والله مـا جئـتكم حتّـى بصـرت بـه بـالطفّ متعفّـر الخـدّين منحـورا
وحولـه فيتـة تـدمى نحـورهم مثل المصابيح يطفون الـدّجى نـورا
وقد حثثت قلوصـي كـي اُحـدثكم من قبل أن يتلاقـى الخـرد الحـورا
كان الحسـين سـراجاً يستضـاء بـه الله يعلـم أنّـي لـم أقـل زورا
صـلّى الإلـه علـى جسـم تضـمّنه قبر الحسين حليـف الخيـر مقبـورا
مجـاوراً لرسـول الله فـي غُـرف وللوصـيّ وللطيـار مسـرورا

فقلت له: من أنت يرحمك الله؟

فقال: أنا وأبي من جنّ نصيبين أردنا مؤازرة الحسين عليه السلام ومواساته بأنفسنا، فانصرفنا من الحجّ فأصبناه قتيلا[٢].

ورواه المجلسي بصورة اُخرى، وهو: أنّ نفراً اجتمعوا لنصرة الحسين عليه السلام، وجعلوا يتشاورون في ذلك، إذ جائهم رجلان من الجنّ ـ إلى أن

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٤١ حديث ١١، عن كامل الزيارات: ٩٣.
(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٩ حديث ٩، عن تذكرة الخواصّ: ١٥٤، وكامل الزيارات: ٩٧، وأمالي الشيخ الطوسي: ٦٨.

قال ـ: فانسل الجني من بينهم، فما كان بأسرع من أن رجع صارخاً وهو يقول: والله ما جئتكم.. الأبيات، انتهى ملخص ما نقلناه بالمعنى.[1]

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٤٠ حديث ١٠، عن كامل الزيارات: ٩٣.

[بكاء النصارى على الإمام الحسين عليه السلام]

والملل الخارجة عن الملّة الإسلاميّة، كحديث الراهب، فيما رواه في ١٠ البحار ص٢٣٩، عن سليمان بن مهران الأعمش، في حديثه الطويل حين لقى الرجل في الطواف وهو يقول: اللهمّ اغفر لي، وأنا أعلم انّك لا تغفر لي، وساق الحديث المشهور إلى قول الراهب لحملة الرأس الشريف: لي إليكم حاجة.

قالوا: ما هي؟

قال: قولوا لرئيسكم: عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من آبائي، يأخذها منّي ويعطيني الرأس، يكون عندي إلى وقت رحيلكم، فإذا رحلتم رددته إليكم.

فأخبروا عمر بن سعد لعنه الله بذلك، فقال: خذوا منه الدنانير، وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل.

فجاؤوا إلى الراهب وقالوا: هات المال حتى نعطيك الرأس، فأدلى إليهم جرابين في كلّ جراب خمسة آلالف درهم، فدعا ابن سعد له بالناقد والوزّان فانتقدها ووزنها ودفعها إلى خازنة، وأمر أن يعطى الرأس.

فأخذ الراهب الرأس، فغسّله ونظّفه، وحشّاه بكافور ومسك كان عنده، ثمّ جعله في حريرة ووضعه في حجره، ولم يزل ينوح ويبكى، حتى نادوه وطلبوا منه الرأس فقال:

يا رأس، والله لا أملك إلّا نفسي، فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدّك محمد أنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأسلمت على يديك، وأنا مولاك[1].

ثمّ ساق الحديث إلى مجلس يزيد لعنه الله، ووضع الرأس بين يديه ص٢٤٥ قال: فدخل رأس اليهود فقال: ما هذا الرأس؟

فقال: رأس الخارجي.

قال: ومَن هو؟

قال: الحسين.

قال: ابن مَن؟

قال: ابن علي.

قال: ومَن اُمّه؟

قال: فاطمة.

قال: بنت محمّد؟

قال: محمّد نبيّكم؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٤ حديث ٣١.

قال: نعم.

قال: لا جزاكم الله خيرا، بالأمس كان نبيّكم، واليوم قتلتم ابن بنته. ويحك إنّ بيني وبين داود نيفاً وثلاثين أباً، فإذ رأتني اليهود كفّرت لي.

ثمّ مال إلى الطشت، وقبّل الرأس وبكى، وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وخرج، فأمر يزيد لعنه الله بقتله[(١)].

وفيه رواية رسول ملك الروم، قال: فلمّا رأى النصراني رأس الحسين، صاح وناح، حتى ابتلّت لحيته بالدموع.

ثمّ ساق حديث وعظه يزيد، وحكاية سفره إلى المدينة لرؤية النبيّ صلى الله عليه وآله، وحديث بكاء الحسين، وحديث مصارعة الحسن والحسين عليهما السلام، ونزول جبرئيل عليه السلام وفلقه حبّة اللؤلؤ بجناحه فلقتين.

ومضمونه أنّ النبيّ وعليّ وفاطمة، بل ربّ العزة ما أحبّ أن يكسر خاطر أحدهما، وأنت تفعل هذا.

ثمّ نهض إلى الرأس الشريف واحتضنه، وجعل يقبّله ويبكى ويقول: يا حسين، اشهد لي عند جدّك محمد صلى الله عليه وآله المصطفى، وأبيك عليّ المرتضى، واُمّك فاطمة الزهراء»[(٢)] انتهى.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٩ ـ ١٩١.

[ردّ المؤلِّف على رسالة التنزيه]

وما أدري من أيّ الأمرين أعجب؟!

أقوله: «إنّ بكاء السماء والأرض، وهذه الأشياء على الحسين، لا حجّة فيه»؟

أم بكاء إمام المسلمين زين العابدين عليه السلام بغير معرفة وتحقيق، بل محض شفقة بنوّة؟![1]

إنّ الزمان عجائبٌ وغرائبٌ	**تترى وأنفُ أخ المروة ترغم**
منها وأعظمها على محقّ الهدى	**قول يزوّقه الحقود اللائم**
وأشدّ منها لا يفكر عالم	**ما ذا أتاح لدينه المتعالم**
يقظان أصبح ذو الجهالة أنّ ذا	**عجب وعالمنا المحقّق نائم**

هل ياهذا إن السجّاد زين العابدين يبكى أربعين سنة أو عشرين سنة، بما يقرح جفون عينيه، بداعي القهر والقسر الطبيعي، ليس وراؤه شيء يترتّب

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٢.

عليه من الأجر والثواب، ولا يعرّف أيّ شيء درجة الحسين عليه السلام وخطره عند الله؟!

وتراه يفعل المضرّ الذي هو فعل معصية، وهو لا يملك اختياره، فيكون في معصية الله أربعين سنة أو عشرين عاماً، عالماً بالمعصية؟!.

وكأنّك تطلّبت له العذر عن العقوبة، فنشكرك على هذا العذر، الذي هو أقبح من الفعل.

ولولا سماجة المثل، واستلزامه سوء الأدب، لأوردت مثالاً، ينكشف به غيهب هذه الظلمة أمام نظر الرامق لهذه الرسالة، بعين التدبّر والتبصّر، لا بمقلة التعاظم والإستكبار.

ألا فليقبل الناظر البصير، أُريه رواية أو أكثر، تظهر له أنّ الإمام عليه السلام، يرى بكاء الحسين عليه السلام من أفضل الطاعات وأكمل القربات:

في الوسائل ج٢ ص٤٠٢ بسند أذكره لك: عن محمّد بن موسى المتوكّل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد وعبد الله ابني عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام، حتّى تسيل على خدّيه، بوّأه الله بها غرفاً يسكنها أحقاباً.

وأيّما مؤمن دمعت عيناه، حتّى تسيل عيناه على خدّه، فيما مسّنا من الأذى من عدونا في الدنيا، بوّأه الله مبوّأ صدق.

وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا، فدمعت عيناه، حتّى تسيل عى خدّه، مضاضة ممّا أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخط النار»[١].

ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره، عن أبيه عن جعفر بن محبوب[٢].

ورواه ابن قولويه في المزار، عن الحسن بن عبد الله بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب[٣].

مثله ص٤٠٣ عن حكيم بن داود ، عن محول بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «من قطرت عيناه ـ أو دمعت عيناه ـ فينا دمعة، بوّأه الله في الجنة غرفاً ليسكنها حقاباً أو حقباً»[٤].

هذه شذرة من عقد، ودرّة من قلادة. أيها القارئ الكريم، انظر واعتبر، وأنصف، وراجع وجدانك؛ وذاكر فاكرتك وشعورك، وقل بكلّ صراحة: أيّها اللاف الحابل بالنابل، والخابط في الحزن المظلم: أتخفى على المعصوم ـ المنزّه عن الخطأ ـ جهة الحكمة ووجه المصلحة؟! ولا يستبين له الحكم؟! ولا يعرف تكليفه الشرعي؟! ويتفطّن لهذه الدقائق الأحمق المخطئ؟! بلى العجرفيّة بألفاظه تقرن.

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ١٩٦٩٢، عن ثواب الأعمال: ١٠٨ حديث ١ .

(٢) تفسيرالقميّ ٢: ٢٩١ .

(٣) انظر كامل الزيارات: ١٠٠ .

(٤) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٨ حديث ١٩٧٠٧، عن كامل الزيارات: ١٠٤ .

وقال السُّهى للشمس أنتِ خفيّةٌ وقال الدُّجى يا صبحُ لونُكَ حائلُ[(١)]

لا تتستر بالخيالات والأوهام، أنّ مَن لا يعتقد بمذهب الإماميّة، يقف معهم موقف المدافعة والممناعة.

كلّا، إنّه وإن لم يعتقد الإمامة، وإن أضاف إليها العصمة، لكن الامتياز بالعلم والفضيلة على أهل زمانه مسلّم عند جميع المسلمين، طفحت فيه كتبهم ومؤلّفاتهم، وإنّ أحد تلاميذه المشاهير الزهري وابن المسيب ونظرائهم.

فإخواننا المسلمون ليسوا في عمى حتى عن هذه الأُمور الضروريّة، فهم متيّقظون متفطّنون إلى ما تنقله فطاحل علمائهم من علم زين العابدين، الذي تخرّج عليه جماعة من كبار التابعين، الذين لا ينازع أحدهم في الامتياز المطلق.

فتقلّب أنت وحدك في هذه المجهلة، وليرتع قلمك في تلك الفظائع والفضائح، التي تسلسلت واحدة بعد الأُخرى.

---

(١) من مقطوعة شعريّة لأبي العلاء المعرّي، أحمد بن عبد الله القضاعي التنوخي (ت ٤٤٩ هـ)، مطلعها:

ألا في سَبيل المجدِ ما أنا فاعلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

والبيت والذي قبله وبعده:

إذا وصف الطائي بالبخل مادَرٌ وعيَّر قُساً بالفَهاهة باقلُ
وقال السّهى للشمس أنت خفيّة وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادلُ

انظر: سقط الزند: ١٩٥.

[نفض العباس عليه السلام الماء من يده تأسّياً بعطش الحسين عليه السلام]

ولا وربّك، ما وراء هذه المناكير والأضاليل، والأساطير المملوءة بالأباطيل، ولا تعجب أو تستغرب وإن كان الآتي أغرب. فمن شرّع الإنكار، وأبدى النكير على المخصوصين بآية التطهير، ماذا تستغرب منه لو قال بكلّ صلافة قحة ووقاحة فظة، وصلابة وغلظه، وتهجّم شنيع، قائلاً بمستفظع من الغلظة: «أمّا نفض العباس الماء من يده تأسياً بعطش أخيه، فإن صحّ لم يكن حجّة لعدم العصمة»[1].

هذه غارة شنعاء، وجولة حمقاء، حول كرامة قمر العشيرة، وحامل لواء السبط، المواسي بنفسه، أوجبت لنا الخوض في كلمة العصمة، لنريك حقيقتها، وتعلم أنّ العباس إن لم كن معصوماً، فقد بلغ درجة العصمة.

ومرادنا أنّ عصمته عليه السلام لم تكن منصوصة، والعصمة تتوقّف على أمرين: النصّ الخاصّ، والمعجزة مع دعوى الإمامة، وإلّا فكرامات العباس عليه السلام

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٧٨.

كثيرة، لا يجحدها إلّا من لا حسّ له، ولأنّها من المشاهدات المحسوسة، التي شاهدها جمّ غفير من الناس.

وكيف كان، فبلوغ درجة العصمة ـ وإن لم يطلق الاسم ـ لا يتوقف على النصّ.

وأنت إذا لاحظت الأخبار وكلمات الفقهاء واللغويين، وتتبّعت موارد الاستعمالات، ونظرت إلى إطلاق كلمة العصمة على الزهراء عليها السلام، وكونها معصومة بكلّ معنى، عرفت عدم مساواة العصمة للنبوّة والإمامة، وخصوصاً عصمة الملائكة والأنبياء غير أُولي العزم، مع ما ورد أنّ «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[1]، والقصد في الفضيلة لا النبوّة.

تتيقّن أنّها أعم مطلقاً وأنّها أشبه شيء بالشرط، كالطهارة للصلوات، فكما لا تتحقّق الصلاة بدون الطهارة، لا تتحقّق النبوّة والإمامة بدون العصمة. لكن لا يلزم من تحقّق الطهارة تحقّق الصلاة،كما لا يلزم من تحقّق العصمة تحقّق النبوّة أو الإمامة.

وكيف كان، سنتلوا عليك ما سنح لنا إيراده، وإليك الحكم، فما شئت فقل، وعليك بإمعان النظر والتدبّر مع الإنصاف.

قال الصدوق في «اعتقاداته»، طبعة ايران ص١٠٣:

«اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة أنّهم معصومون، مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً. ومن نفى

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢: ٢٢، وعوالي اللآلي ٤: ٧٧.

عنهم العصمة في شيء من أحوالهم، فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر. واعتقادنا فيهم أنّهم معصومون بالتمام والكمال».

وقال المفيد أعلى الله مقامه في «النكت الاعتقادية» طبعة بغداد ص٤٥: «إنّ العصمة لطف يفعله الله بالمكلف، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليها» انتهى.

ولعلّك تقدر أن تقول: إنّ اللطف من الله تعالى لا مانع عقلاً ولا نقلاً أن يلطف بالعباس بن علي، فلا يقع منه ذنب، فإنّ كثيراً من عباد الله الصالحين ليسوا بأنبياء ولا أئمّة، قد مَنَّ الله عليهم، فلم يصدر منهم ذنب، كما هو الظاهر من حال سلمان وأبي ذر ونظرائهما.

وقال العلّامة في الباب الحادي عشر، طبعة بمبئي ص٤٢: «العصمة لطف خفيّ يفعله الله تعالى بالمكلّف، بحيث لا يكون له داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك».

وقال الفاضل المقداد في الشرح: «أعلم أنّ المعصوم يشارك غيره في الألطاف المقرّبة، ويحصل له زائدة على ذلك ملكة نفسانيّة، لطف يفعله الله بحيث لا يختار معه ترك الطاعة، ولا فعل المعصية، مع قدرته على ذلك.

وذهب بعضهم إلى أنّ المعصوم لا يمكنه الإتيان بالمعاصي، وهو باطل».

ولعلّك لا يخفى عليك تلميحه وتلويحه إلى أنّ المعصوم اثنان:

معصوم مطلق: وهو النبيّ أو الإمام، وهذا لا يشاركه أحد في عصمته.

ومطلق معصوم: وهو الذي يشاركه المعصوم بالمعنى الأوّل في جميع الألطاف.

فإذا كانت العصمة درجتان ومرتبتان:

فالأُولى: يشترك فيها مطلق الوليّ، وهي المقرّبة من الطاعة، والمبعّدة من المعصية، ولكن لم تصر بعد ملكة.

والثانية: وهي التي يختصّ بها المعصوم المطلق، وينفرد بها عن غيره، وهي الملكة التي لا يختار معها ترك طاعة، ولا فعل معصية.

وعسى أن يمرّ في خلدك الفكر الثاقب والتفكر المصيب، فلا توسوس واهمتك وخياليتك، بامتناع لطف الله ومحاليّة اتصاف العباس بن علي به، بلى إنّ الله بعباده لطيف خبير.

أمّا العلّامة أعلى الله مقامه في «كشف المراد» فقال في شرح قول المحقّق الطوسي: (والعصمة لا تنافي القدرة):

«اختلف قول القائلين بالعصمة، في أنّ المعصوم هل يتمكّن من فعل المعصية، أم لا؟

فذهب قوم إلى عدم تمكّنه منها.

أمّا القائلون فمنهم من قال: إنّ المعصوم يختصّ في نفسه وبدنه بخاصيّة يقتضي امتناع إقدامه على المعصية.

ومنهم من قال: إنّ العصمة هي القدرة على الطاعة، وعدم القدرة على المعصية، وهو قول أبي الحسن البصري.

وأمّا الآخرون، الذين لم يسلبوا القدرة، فمنهم من فسّرها بأنّه الأمر الذي يفعله الله بالعبد، من الألطاف المقرّبة من الطاعات، التي يعلم معها أنّه لا يقدم على المعصية، بشرط أن لا ينتهى الأمر إلى الإلجاء.

ومنهم من فسّرها بأنّه ملكة نفسانيّة، لا يصدر من صاحبها معها المعاصي.

وآخرون قالوا: العصمة لطف يفعله الله بصاحبها، لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية.

وأسباب هذا اللطف اُمور أربعة:

أحدها: أن يكون لنفسه أو بدنه خاصيّة، يقتضي ملكة مانعة من الفجور، وهذه الملكة مغايرة للفعل.

الثاني: أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعة.

الثالث: تأكيد هذا المعلوم بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى.

الرابع: مؤاخذته على ترك الأولى، بحيث يعلم أنّه لا يترك مهملاً، بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الاُمور الحسنة.

فإذا اجتمعت هذه الاُمور كان الإنسان معصوماً.

والمصنّف اختار المذهب الثاني، وهو أنّ العصمة لا تنافي القدرة، بل المعصوم قادر على فعل المعصية، وإلّا لما استحقّ به المدح على ترك المعصية، ولا الثواب، ولبطل الثواب والعقاب في حقّه، فكان خارجاً عن التكليف، وذلك باطل بالإجماع والنقل في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[1] انتهى.

وكيف كان، فالعصمة مع بطلان سلب القدرة والإلجاء، تكون صفة عامة لمن يحبه الله تعالى، والصفة الخاصة للمعصوم المطلق التي أشار إليها

---

(١) الكهف (١٨): ١١٠ .

المقداد بقوله: تكون له زائدة، هي هذه الأُمور الأربعة، وبها يمتاز المعصوم المطلق عن سائر المطيعين.

على أنّ أحد تلك الأسباب حاصل للعباس قطعاً، وهو العلم.

وإن أبيت إلّا انحصار العلم بالوحي والإلهام، فلتكن هذه الأُمور كلّها فارقاً.

وقال المقدّس الأردبيلي في بعض حواشي التجريد: «قوله: ولا ينافي العصمة القدرة» إلى آخره، بل يجب أن يجمع، وإلّا لانتفى تكليف المعصوم بين الثواب والعقاب، والمدح والفضيلة الزائدة على غيرهم، فكأنّه أخذ العصمة بمعنى عدم صدور الذنب، لا لما يوجب امتناع الذنب وفعل الطاعة معه عقلاً، ولا في نفس الأمر من انضمام الإرادة الجامعة الموجبة للفعل.

وبالجملة، ينبغي أن يكون المعصومون مثل غيرهم في ثبوت القدرة مع العصمة، وعدم لزوم فعل الطاعة، وترك المعصية، إلّا بالإرادة الموجبة والعلّة المستلزمة، ليكون سبباً للفضيلة، والامتياز على غيرهم، ويكون ذلك بحسن اختيارهم، وعدمها في غيرهم لسوء اختيارهم.

فلا معنى للقول بعدم ذلك، وأنّ المعصوم لا يتمكّن معها على ترك الطاعة، وفعل المعصية، وهي أنّها موهبة من الله تعالى خصّهم بها، لكسب استعدادهم لها فتامل فيه» انتهى.

ولعلّ المتأمّل إذا عرف أنّ العصمة مكتسبة، أو موهبة تقارن الاستعداد والتهيء الكسبي، فلا أخال يمنع من عصمة العباس عليه السلام، لكن مع المحافظة المميّزة للمعصوم المطلق، حسبما مرّ آنفاً.

وللسيد المرتضى رسالة وجيزة مستقلّة في تحقيق معنى العصمة، طبعت مستقلاً، ومنضّمة إلى عدّة رسائل للعلماء، وغير بعيد أنّها أحد كلماته في أماليه، أو هي غيرها تقرب منها، وذكرها في «البحار» عن «الأمالي»، قال رحمه الله، بعد أن ذكر السؤال للمعترض على العصمة ما نصّه:

«والجواب، والله ولي التوفيق، أعلم أنّ العصمة هي اللطف الذي يفعله الله اختياراً، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح.

فيقال على هذا: إنّ الله قد عصمه، بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن فعل القبيح.

ويقال: إنّ العبد معتصم؛ لأنّه اختار عند هذا الداعي الذي فعل الامتناع عن القبيح.

وأصل العصمة في وضع اللغة المنع، يقال: عصمت فلاناً من السوء، إذا منعته من فعله له.

غير أنّ المتكلّمين أجروا هذه اللفظة على مَن امتنع باختياره عند اللطف، الذي يفعله الله تعالى به؛ لأنّه إذا فعل به ما يمتنع عنده من فعل القبيح، فقد منعه منه، فأجروا عليه لفظة المانع قسراً أو قهراً.

وأهل اللغة يتصارفون ذلك ويستعملونه؛ لأنّهم يقولون في من أشار على غيره برأيٍ، فقبله مختاراً، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه هو أو ماله: إنّ حماه من ذلك الضرر ومنعه عصمة، وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون في من لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل قبيح واحد: إنّه معصوم؟

قلنا: نقول ذلك مضافاً، ولا نطلقه، فنقول: إنّه معصوم من كذا، ولا نطلق، فيوهم أنّه معصوم من جميع القبائح، ونطلق في الأنبياء والأئمّة بلا تقييد؛ لأنّهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح.

فإن قيل: إذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم، فهلّا عصم الله جميع المكلّفين، وفعل بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح؟

قلنا: كلّ من علم الله أنّ له لطفاً يختار عنده الامتناع من القبائح، فإنّه لابدّ أن يفعل به وإن لم يكن نبيّاً ولا إماماً؛ لأنّ التكليف يقتضي فعل اللطف، على ما دلّ عليه في مواضع كثيرة.

غير أنّه يكون في المكلّفين مَن ليس في المعلوم أنّ شيئاً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبيح، فيكون هذا المكلّف لا عصمة له في المعلوم، ولا لطف ولا تكليف، حتّى لا لطف له بحسن ولا قبح، وإنّما القبيح منع اللطف في من له لطف مع ثبوت التكليف» انتهى.

وأقوال العلماء لا يمكن الإحاطة بها.

ومع ملاحظة هذه المقامات، فالشكّ أو التشكيك، يكشف عن غرض شخصيّ، أو نيّة اُخرى مستكنة في الضمير.

ولعلّ مَن تتّبع موارد الاستعمال، ونظر في الأدعية المأثورة عن أهل بيت العصمة، وتدبّر في الأخبار، كما سيمر عليك بعضها، ولاحظ كلمات اللغويّين مضافاً إلى كلمات العلماء، يحصل له القطع ببلوغ العباس عليه السلام درجة العصمة، وإن كانت درجاتها متفاوتة كسائر الكيفيات النفسانيّة، التي تقبل الشدّة والضعف، كالعلم والإدراك والعدالة، وأمثال ذلك، لا مثل الحريّة والرقيّة.

وعليك بإمعان النظر، وإعطاء التدبّر حقّه، فإنّ العادل مثلاً يطلق على الباري تعالى والنبيّ والإمام، ومَن دونهما فيقال: عالم عادل، أو سلطان عادل،

وليس إطلاقه على نهج واحد، بل هو على أنحاء شتّى، ومراتبه مختلفة، ودرجاته متفاوته، بحسب حال الموصوفين بها، أو بمقدار قوّة ملكته، ولا خفاء فيه.

ومن البديهيّ، أنّ عدالة الخالق لا تحتاج إلى كسب، وعدالة المخلوق تحتاج إلى كسب.

قال في «مجمع البحرين» في مادة «عصم» قوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ**﴾ أي يمنعك منهم، فلا يقدرون عليك. وعصمة الله للعبد: منعه من المعصية، وعصمه الله من المكروه: حفظه ووقاه.

ولعلّك لا يخفى عليك أنّ المنع يتحقّق بالإرشاد وكشف الستر عن منقصة المذموم،وإظهار فضيلة الممدوح، لا القهر والاضطرار»، إلى أن قال في «مجمع البحرين»:

«والمعصوم الممتنع عن جميع محارم الله، كما جاءت به الرواية عن علي بن الحسين عليه السلام: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً» وليست العصمة في ظاهر الخلقة، فتعرف.

قيل: فما معنى المعصوم؟

قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن» إلى آخره.

ولا أخال يخفى على مَن نظر بحذق ومهارة، في سبب عدوله عليه السلام عن قوله: المعصوم منّا لا يكون إلّا إماماً، إلى قوله: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً» ولم يعاند الحقّ ولم يجادل بالباطل، إنّ العصمة أعمّ مطلقاً».

ثمّ قال فيه: «وفي الدعاء: إنّ عصمة أمري كذا، أي وقايتي وحافظي من الشقاء المخلّد.

وفي حديث رسول الله ﷺ: «أربع مَن كنّ فيه، كان في نور الله الأعظم» وعدّ منها: مَن كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، أي ما يعصم من المهالك، والمعنى: مَن كانت الشهادتان ـ ويعني بهما الإيمان ـ عصمة ووقاية»[(١)].

وفي «المصباح»: «عصمه الله من المكروه، يعصمه، من باب ضرب: حفظه، واعتصمت بالله: امتنعت به، والاسم العصمة»[(٢)].

وفي «مختار الصحاح»: «العصمة: المنع، يقال: عصمه الطعام: أي منعه من الجوع. والعصمة أيضاً: الحفظ، وقد عصمه يعصمه بالكسر، فانعصم، واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية»[(٣)].

وفي «القاموس»: «وعصمه الطعام من الجوع ـ إلى أن قال ـ والعصمة بالكسر: المنع».

ثمّ قال: «واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية»[(٤)].

وفي إيراد هذا المقدار كفاية.

وأنت إذا نظرت نظرة الباحث البصير، والفاحص الخبير، وتأمّلت تأمل تحقيق واعتبار، لا تأمّل عناد واستكبار، ولم تكن ناكباً عن جادة الحقيقة، أو ناهجاً طريقة المجادلة والمناضلة، لأن تشهر ذاتك بالعرفان ولو بخطأ الدليل والبرهان ﴿**أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ**﴾[(٥)].

---

(١) مجمع البحرين ٣: ٣٩٣ «عصم».

(٢) المصباح المنير: ٤٠٠ «عصم».

(٣) الصحاح ٥٨: ١٩٨٦ «عصم».

(٤) القاموس المحيط ٤: ١١٣ ـ ١١٤ «عصم».

(٥) الزمر (٣٩): ١٥.

فإن لم تستنكف عن قبول الحقّ، ولم تتكبّر عن الرجوع إلى الصواب، ولم تختلج في صدرك كلمة ابن عمارة: الإصرار على الخطأ خير من الرجوع إلى الصواب، ونبذت المعاندة نبذ حصاة المحرم.

تجلّى لك بالعيان، أنّ العباس عليه السلام من المحفوظين بفضل الله عن انتهاك حرماته، وليس من المستبحيين لمحارم دينه، فهو معصوم، بمعنى محفوظ بفضل الله من ارتكاب المحرّم، وإن لم يكن نبيّاً ولا وصيّاً مفترض الطاعة من قبل الله، ولا منصوباً علماً للعباد.

يشهد لهذا المعنى ـ مضافاً لما سبق ـ ما رواه في الوسائل، عن بلال، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: سمعته يقول: «من أذّن في سبيل الله صلاة واحدة، إيماناً واحتساباً وتقرّباً إلى الله تعالى، غفر الله له ما سلف، ومنَّ عليه بالعصمة فيما بقي من عمره، وجعل بينه وبين الشهداء في الجنّة»[1].

ولو أردنا إيراد المناسبات وأقوال العلماء، لملأنا الطوامير.

وللفاضل الدربندي في «أسراره» كلام طويل، استدلّ به على بلوغ العباس عليه السلام درجة العصمة، أورد فيه المناسبات والأخبار[2].

وربّما تجلّى لك من كلماته، تفضيله عى حمزة وجعفر وسلمان، فعليك بمطالعة كلامه، فإنّه نقل فيه روايات واستظهر منها هذا المعنى، وعلى الناظر في كلامه أن يحكم بحسب اجتهاده.

---

(١) وسائل الشيعة ٥: ٣٧٥ حديث ٦٨٣٣، عن من لا يحضره الفقيه ١: ١٩١ حديث ٩٠٥، وأمالي الصدوق: ١٧٦.

(٢) أسرار الشهادة: ٢١٨.

ونحن بما أسلفنا لك، ظهرت جهة النسبة بين العصمة والنبوّة والإمامة، وأنّها العموم والخصوص المطلق، والعصمة أعمّ مطلقاً، إذ كلّ إمام معصوم، من دون عكس.

إلّا أن تأخذ العصمة بمعنى ما ذهب إليه بعضه، من أنّها التي لا يتمكّن معها صاحبها من فعل القبيح، كما نقله العلّامة في «كشف المراد» و«كشف الفوائد».

على أنّا لا نقول به، لكونه يلزم منه عدم استحقاق المدح؛ لأنّه مسلوب الاختيار، ومجبور صرف على هذا النقل.

وإليك ما ظهر لنا، بما أرشدنا إليه لطف الباري تعالى، من التفرقة بين المعصوم المطلق، ومطلق المعصوم.

ونقدّمها أمام نظرة القارئ الكريم، والمطالع العزيز علينا، نأمل أن تكون صواباً.

١ ـ إنّ المعصوم المطلق واجب العصمة؛ لأنّه منصوب للتبليغ من الله والحفظ للشرع ومطلق المعصوم جائز العصمة؛ لأنّه لم ينصب للتبليغ.

٢ ـ إنّ المعصوم المطلق مفترض الطاعة وواجب الاتباع؛ لأنّه منصوب من قبل الله علماً للعباد ومناراً للرشاد.

٣ ـ إنّ المعصوم المطلق لا يجوز صدور الخطأ منه، ومطلق المعصوم يصدر منه الخطأ وإن جاز.

٤ ـ إنّ المعصوم المطلق، قوله وفعله وتقريره حجّة؛ للعلم باستناده إلى الوحي السماوي أو الإلهام. ومطلق المعصموم حجيّة أقواله وأفعاله بواسطة المعصوم المطلق؛ لحسن الظنّ به أن لا يخالف المعصوم.

فإذا عرفت هذا تيقّنت أنّ صولة الصائل على فضيلة أبي الفضل وكرامة قمر العشيرة، صولة حمقاء، وتهجّمه على حامل لواء الحسين عليه السلام تهجّم شنيع.

ولو جارينا تلك الحماقة، قائلين: إنّ العصمة صفة خاصة، ولازم من لوازم الولاية المخصوصة، مساوٍ لها، أفمن الإنصاف والديانة نفي العدالة عن أبي الفضل، والورع الذي يحجره عن إرتكاب المحرّمات؟!

أفهل يكون من المستبعد المستغرب وثاقته وعدالته وورعه، عن إرتكاب القبيح، واستحلال ما حرّم الله عليه؟!

أم من المحال نسبة العلم إليه؟!

أفحسبت أيّها المجازف، المتجاوز طور الأدب الدينيّ، أنّك أعرف بحقائق الإيمان، وأعلم بأحكام الشرع، ممّن ذهبت حياته في خدمة الأئمّة الهداة، كأبيه وأخويه الحسنين عليهما السلام، حتّى ـ عاد بزعم زعيم الجهل ـ يجهل مسألة عنده من الأوّليات المشهورة واليقينات الواضحة؟!

كيف تجاسرت، حتّى تقحّمتَ ونسبتَ إلى خريج كليّات الحقائق، وتلميذ أساتذة الحقّ، وجهابذة الملّة، ومَن تخرّج على تلك المدارس المقدّسة الروحانيّة العرفانيّة، حتّى فاز بالنجاح، وحاز الامتياز، على من عدى أساتذة الديانة الأئمّة، تتجرأ عليه بمثل هذه الجرأة، والنقد الفضيح، حتّى أقمته مقام الإزراء والانتقاص، حتّى قلت ما قلت؟!

انظر إلى من رزقه الله الإيمان، ونوّر قلبه بنور العلم، هذا شيخنا المقدّس، الشيخ محمّد طه نجف أعلى الله مقامه؛ لوفور علمه وتقواه، وورعه واجتهاده، ونفوذ بصيرته، حين وصل إلى ذكر العباس عليه السلام، في باب الثقات

والعدول في أصحاب الأئمّة، قال في ذلك الباب من كتابه «الاتقان» المطبوع في النجف ص٧٥:

«العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أبو الفضل، هو أجلّ من أن يذكر في المقام، بل المناسب أن يُذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام» انتهى.

ولو كنت غوّاصاً على دقائق الحكم، ومحيطاً بحقائق الكلم، لم تشكّ أنّ العلّامة المذكور قائل بعصمة العباس.

وإنّي لعمرك أيها الأخ الدينيّ، والشريك المعنويّ في الاسلاميّة، كلّما تطلّبت وجهاً صحيحاً، أُوجّه به العبارة الصارمة، ظهرت عليها دلائل القبح والهجنة.

أتراك أيّها الواسم نفسه بوسم الإصلاح، وسمة التبشير، لا تقدر أن تصف هذا الورع الغيور، والشهم النافذ البصيرة، بوسم العفاف والورع، والكفّ عن محارم الله وحاشاه؟!

هلّا حفظت على نفسك الحجّة،برضى الإمام الحسين عليه السلام، وإلّا فقد قرّره الإمام المعصوم، فهل تحسبه تقريراً للقبح؟! كلّا.

ولعلّ من رام المجادلة عن نظريته، يعود ثانياً بالقول: إنّ الحسين عليه السلام لم يشعر بتلك الحال.

وهو على هذا القبح المستفظع، المتكرّر منه مراراً، نطلع القارئ الكريم على فعل أبي ذر، المبشّر بالجنّة، وهو في الدرجة التاسعة من الإيمان، وتقرير النبي صلى الله عليه وآله له ومدحه على فعله، دون التقريع والتوبيخ.

روى الثقة الجليل علي بن إبراهيم، في تفسيره الشهير في سورة التوبة، واقعة تبوك، قال: «كان أبوذر ممّن تخلّف عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثلاثة أيام، وذلك أنّ جمله أعجف، فلحق بعد ثلاثة أيام به، ووقف عليه جمله في الطريق، فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلما ارتفع النهار، نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «كن أباذر».

فقالوا: هو أبوذر.

فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أدركوه بالماء».

ووافى أبوذر رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ومعه أدواة فيها ماء، فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «يا أباذر معك ماء وعطشت»؟!

فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي، انتهيت إلى صخرة فيها ماء السماء، فذقته، فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

فقال رسول الله: «يا أباذر رحمك الله، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك» إلى آخر الحديث[1].

أما ترى كيف عدل صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ عن التوبيخ، بأنّك فعلتَ محرّماً، وارتكبت شاقاً ومضرّاً، وألقيت نفسك إلى التهلكة، إلى القول الرقيق اللّين، ذو الرقة والحنان، والعطف والحنوّ على أبي ذر، والتبشير له بالجنّة، بدل فعله.

ما أدري، أين عزب عن ذهن هذا الطاعن على العباس بن علي عَلَيْهِالسَّلَامُ، فعل الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ نفسه، حين رمى الماء من يده، وقصد خيمة النساء، مع

---

(١) تفسير القميّ ١: ٢٩٥.

ما هو فيه من الظمأ؟! وقد رواه في ١٠ «البحار» ص٢٢٦ عن ابن شهر آشوب وأبي مخنف[١].

كلّ هذه الأُمور ليس له إلمام بها، وسيّدنا وابن سيّدنا أبوالفضل عليه السلام يعلم بحسن الإيثار ورجحانه الشرعيّ.

لا تحسب أنّي أُسجّل عليك وقائع الجاهليّة، كقصّة كعب بن اُمامة وأضرابه، كانتقادك على المعاصر.

لا، بل نقول: رجحانه في الشريعة المحمّديّة، كما في واقعة أبي ذر، وفعل الحسين عليه السلام، بل لا يخفى على مَن هو دون أبي الفضل درجة وأقلّ معرفة.

لا، بل لم يخفى على أصاغرالطلبة، بل العوام، وكيف يخفى قوله تعالى ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٢].

كيف يخفى مديح آل محمّد على إيثارهم بالقوت، حتّى خصّوا بسورة ﴿**هَلْ أَتَى**﴾[٣] الكتاب المقدس الذي يتلى على الأقلّ في الشهر مرّة.

لسنا نريد تسجيل أمثال هذه الوقائع الشهيرة، بل قصدنا التنبيه على هذه التسرّعات الواهية، الناشئة من ضعف اليقين، أو من قلّة التدبّر، وقصر الباع في الاطلاع.

وكيف كان، ففعل العباس عليه السلام حجّة؛ إمّا لتقرير الحسين عليه السلام، وإمّا لثبوت رجحانه في الشرع، كما هو نصّ الآيات الروايات.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥١، عن المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٥٨.

(٢) الحشر (٥٩): ٩.

(٣) الإنسان (٧٦): ١.

ولو أغضينا عن الحقّ ـ لا قدّر الله ذلك ـ وقسنا معارضة مدّعي «التنزيه» لفعل العباس، لا شكّ إنّا نضرب تلك المعارضة على الجدار.

يقولُ لي العاذل في حُبِّهِ ... وقولُهُ زورٌ وبهتانُ

ما وجه مَنْ أحببته قبلة ... قلتُ: ولا قولكَ قرآنُ

هؤلاء الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم، قد مدحوا العباس بتلك المواساة، وذلك الإيثار، كقول الإمام زين العابدين: «رحم الله عمّي العباس، فقد واسا أخاه الحسين عليه السلام»[(١)]

وقول أحدهم عليهم السلام: «أيّها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله ـ إلى قوله ـ الأخ المواسي لأخيه»[(٢)].

وليس المراد إلّا تلك المواساة، ولو كان القتل لمّا اختصّ به دون علي الأكبر، وباقي الشهداء.

وفي «أمالي الصدوق» ص٢٧٧ بسنده إلى ثابت أبي صفية[(٣)]، قال: نظر علي بن الحسين سيّد العابدين إلى عبيد الله بن العباس عليه السلام فاستعبر، ثمّ قال: «ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم قُتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤته قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه فيه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلّ يتقرّب إلى الله بدمه، وهو يذكّرهم بالله، فلا يتّعظون، حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً».

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٨.

(٢) كامل الزيارات: ٣٥٨.

(٣) في هامش النسخة الخطيّة، التي بخطّ المصنّف: «هو أبو حمزة الثمالي».

ثمّ قال: «رحم الله عمّي العبّاس، فلقد آثر وأبلى وفدّى أخاه بنفسه، حتّى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة والحمد لله رب»[١].

وأمثال هذا كثير، وأبو الفضل أجلّ من أن يرتكب القبيح أو يفعل المحرّم.

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٨ حديث ٤، عن أمالي الصدوق، مجلس ٧٠ حديث ١٠.

[تقريح الإمام الرضا عليه السلام عينيه من البكاء]

وما بعد تلك الحماقات، إلّا أن يعود قائلا: «أمّا استشهاده بتقريح الرضا عليه السلام جفون عينيه من البكاء، فإن صحّ فلابدّ أن يكون ذلك قهراً واضطراراً،لا قصداً واختياراً، وإلّا لحرم، ومن يعلم أو يظنّ أنّ البكاء يقرح جفون عينيه، فلا يجوز له البكاء إن قدر على تركه؛ لوجوب دفع الضرر بالإجماع والعقل»[1].

هكذا فليكن التبشير الدينيّ، والإصلاح المذهبي.

ما أدري من أيّ هذه الفقرة أعجب؟!

إفتاؤه للرضا عليه السلام بما يجوز وما لا يجوز؟!

أم احتجاجه عليه بالإجماع المختلق؟!

أم إثباته للرضا عليه السلام سلب الشعور مرّة، وفعل الحرام اُخرى؟!

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨١.

أيّها القارئ الكريم، لا تجفل إجفال المعزى أمام هذه السمادير[1] ولا ترتعد إرتعاد السعفة، فتهتزّ بعواصف هذه الأساطير، مع عرفانك بضعف ذاك العقل الضعيف، والرأي السخيف، واختلاق الإجماع المنوّه به في هذه الأصقاع.

تالله، لقد طفحت الأسفار ، وامتلأت الطوامير، بصنيع الأنبياء والأوصياء من البكاء والحزن، وما أصابهم من الجهد والمتاعب، وتحمّل المشاقّ والمصاعب.

وما ورد من مدحهم بذاك العمل الفاضل، بما زبّرته المزابر، ما ملأ المقاول، وسطّرته الأقلام، وشرقت فيه اليراعات، راعفة بدماء المحابر.

وحديث تقريح الرضا عليه السلام جفون عينيه رواه في ١٠ «البحار» ص١٦٤ عن «الأمالي»[2] في حديث إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «إنّ شهر المحرّم، كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت حرمتنا، وسُبيت ذرارينا ونساؤنا، واُضرمت النيران في مضاربنا، واُنتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا.

إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كربلاء، أرض كرب وبلا، وأورثنا الكرب والبلا إلى يوم الانقضاء.

فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام».

---

(١) السَمَادِيرُ: ضَعفُ البصر عند السُكر وغَشي النعاس والدُوار. الصحاح ٢: ٦٨١ «سمدر».

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣ حديث ١٧، عن أمالي الصدوق، مجلس ٢٧ حديث ٢ .

ثمّ قال عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم»، الفقرات التي مرّت عليك آنفاً برواية «الوسائل»[١].

أما بكاء الأنبياء والأولياء، وما أصابهم من جهد العبادة، فسنتلوه عليك:

ففي «خصال الصدوق» ص١٣١ في حديث محمّد بن سهل البحراني، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «البكاؤن خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة، وعلي بن الحسين عليهم السلام.

فأمّا آدم، فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب، فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره، وحتّى قيل ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ**﴾[٢].

وأمّا يوسف، فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن، وقالوا: إمّا أن تبكي ليلاً وتسكت نهاراً»[٣] الحديث.

وبكاء آدم على ولده المقتول ظلماً وعدواناً ففي ٥ «البحار» ص٦١ في رواية زرارة الطويلة، إلى قوله عليه السلام: «فلمّا قتل قابيل هابيل، جزع آدم على هابيل، جزعاً قطعه عن إتيان النساء خمسمائة عام»[٤].

وروايته تسالم على نقلها الفريقان، واستفاض نقل الشعر الذي يقال: إنّه له، ولو كان بالمعنى لا الألفاظ؛ لأنّ لغته سريانيّة.

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ حديث ١٩٦٩٧، عن أمالي الصدوق: ١١١ حديث ٢.

(٢) يوسف (١٢): ٨٥.

(٣) وسائل الشيعة ٣: ٢٨٠ حديث ٣٦٥٥، عن أمالي الصدوق: ١٢١ حديث ٥.

(٤) بحار الأنوار ١١: ٢٢٣ حديث ٢، عن علل الشرائع: ١٨.

ونوح ـ الذي كان اسمه عبد الأعلى أو عبد الغفّار، كما جاءت به الرواية، وإنّما سمّي نوحاً لنوحه ـ فإنّه ناح خمسمائة عام، على ما في «مجمع البحرين»(١) وخامس «البحار»(٢).

وناهيك ببكاء يعقوب على ولده يوسف، على ما نطقت به الرواية، والقرآن المجيد في قوله ﴿**ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾(٣).

وفي قوله ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا**﴾(٤).

وفي قوله ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا**﴾(٥).

وقد استشهد به الإمام زين العابدين في قوله لأبي حمزة أو لبعض خدمه: «إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيّ وابن نبيّ،غيّب الله عن بصره ولداً واحداً، وهو يعلم أنّه حيّ في دار الدنيا، شاب رأسه، واحدودب ظهره. وأنا فقدت أبي، وسبعة عشر من أهل بيته، مالهم على وجه الأرض من شبيه»(٦).

وداود النبيّ، كان إذا بكى وناح، اجتمعت عليه الطيور والوحوش، كما ذكره المفسّرون(٧).

---

(١) مجمع البحرين ٢:١١٤ «ناح».

(٢) بحار الأنوار ١١: ٢٨٧ حديث ٦.

(٣) يوسف (١٢): ٨٤.

(٤) يوسف (١٢): ٩٣.

(٥) يوسف (١٢): ٨٥.

(٦) الخصال: ٥١٨.

(٧) بحار الأنوار ١٤: ١٧.

ويحيى بن زكريا، بكى حتّى خدّد الدمع خدّيه، وبدت للناظرين أضراسه، فوضعت له اُمّه لبوداً يواري بها أضراسه، فبكى حتّى بلّها بدموع عينيه، ثمّ عصرها فجري الدمع بين أصابعه»[1].

وسيّد الموحّدين، ويعسوب الدين، مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فيما رواه الصدوق في «الأمالي» ص٤٨ بإسناده إلى عروة بن الزبير، قال: كنّا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟

قالوا: من؟

قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلّا معرض عنه بوجهه، ثمّ انتدب له رجل من الأنصار يقال له: عويمر، فقال: تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم إنّي قائل ما رأيت، وليقل كلّ قوم منكم ما أراد، شهدت علياً عليه السلام بشويحطات النجّار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى عمّن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد عليّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجيّ، وهو يقول: إلهي، إلى أن قال:

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب بعينه، فاستترت وأجملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثمّ فرغ إلى

(١) بحار الأنوار ١٤: ١٦٧ حديث ٥.

الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان ممّا ناجى به، إلى أن قال، ثمّ ساق الحديث إلى قوله:

ثم انغمر في البكاء، فلم أسمع له حسّاً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أُوقضه الصلاة الفجر.

قال أبو الدرداء: فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزوي، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله عليّ بن أبي طالب.

قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصّته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله.

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: ممّا بكاؤك يا أبا الدرداء؟!

فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك»[1] إلى آخر الحديث.

وسيّدة النساء فاطمة الزهراء، بكت أباها حتّى تأذّى أهل المدينة، فشكوا إلى عليّ عليه السلام وقالوا له: قل لفاطمة إمّا أن تبكي أباها ليلاً وتسكت نهاراً، وإمّا تسكت ليلاً وتبكي نهاراً.

وأنّ علياً عليه السلام أخبرها بذلك فقالت ـ بعد كلام ـ: لا والله يا أبا الحسن، لا أسكن ليلاً ولا نهاراً حتى ألحق بأبي، وكانت تخرج إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٧ حديث ٩، مجلس ٢٨.

وتضع الحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وتقول: هاهنا كان يجلس جدكما، هنا كان يضعكما على فخذيه، وتعدّد ذلك وتبكي حتّى يغشى عليها»[(١)].

وفي رواية فضّة المتقدّمة، إلى أن قالت: فأُغمي عليها، فتبادر النسوان فنضحن الماء عليها، وعلى صدرها وجبينها، حتّى أفاقت»[(٢)].

وفي المستفيض: أنّها اشتاقت إلى سماع صوت بلال، تذكرة لأبيها، فطلبت منه أن يؤذّن، فلمّا أذّن وانتهى إلى قوله: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، شهقت وأُغمي عليها، فقطع بلال الأذان»[(٣)].

وابنتها زينب عليها السلام أشبهتها في جميع حالاتها في البكاء على أخيها الحسين، حتّى أنّها كان يُغمى عليها من البكاء في حياة الحسين، كما هو المشهور المستفيض، ونقله الثقات، كأبي الفرج الأصبهاني، وأنا أنقله واللفظ له ص٤٥ «مقاتل الطالبين»، روايته عن الحرث بن كعب، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إنّي والله لجالس مع أبي تلك العشية، وأنا عليل، وهو يعالج سهاماً له، وبين يديه جون مولى أبي ذر الغفّاري، إذ ارتجز عليه الصلاة والسلام:

يـا دهـر أُفٍّ لـك مـن خليـلِ ... كـم لَـكَ بالإشـراقِ والأصـيلِ
مـن صـاحبٍ وماجـد قتيـل ... والـدهر لا يقنـع بالبـديلِ
وكـلّ حـيّ سـالك سـبيلي ... والأمـر فـي ذاك إلـى الجليـل

---

(١) الخصال ١: ٢٧٢.

(٢) الخصال: ٢٧٦.

(٣) الخصال: ٢٧٩.

قال عليه السلام: أمّا أنا فسمعته ورددت عبرتي، وأمّا زينب عمّتي سمعته دون النساء، فلزمها الرقّة والجزع، فشقّت ثوبها، ولطمت وجهها، وخرجت حاسره وصاحت: واثكلاه، واحزناه، ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسيناه، يا بقية أهل بيتاه، استقللت ويئست من الحياة، اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّي فاطمة الزهراء وأبي علي وأخي الحسن، يا بقية الماضين وثمال الباقين.

فقال لها الحسين عليه السلام: يا اختي لو تُرك القطا لنام.

قالت: فإنّما تغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أطول لحزني، وأشجى لقلبي، فخرّت مغشياً عليها، فلم يزل يناشدها واحتملها حتى ادخلها الخيام[1].

والإمام زين العابدين عليه السلام، حاله أشهر من أن يذكر، حتى قال له أبو حمزة: ما هذا الذي تنزله بنفسك[2]؟!

وأبوذر رضوان الله عليه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، المبشّر بالجنّة، وهو في تاسع درجات الإيمان العشرة، فقد روى الكشيّ ص١٩ بسنده عن أبي الحسن عليه السلام، في حديث أقتضب منه موضع الحاجة، قال عليه السلام: «إنّ أباذر بكى من خشية الله حتّى اشتكى عينيه، فخافوا عليهما، فقالوا: يا أباذر لو دعوت الله في عينيك؟

فقال: إنّي عنهما لمشغول، وما عناني أكثر.

فقالوا: وما شغلك؟

قال: العظيمتان: الجنّة، والنار»[3].

(١) مقاتل الطالبين: ١١٤ . الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٠ .

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٧٩ حديث ٧٥، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٨٩ .

(٣) رجال الكشيّ: ٢٨ رقم ٥٤ .

وأمّا عبادة أولياء الله، الذي نهكتهم العبادة، فقد أصبحت صفة مدح.

الإمام الحسين عليه السلام، كتب إلى معاوية حين قتل عمرو بن الحمق الخزاعي ـ كما في الكشيّ ص٢٣ ـ : «أولستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه واصفّر لونه»[١].

وخطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتّقين، التي أقلّ ما اشتملت عليه من صفتهم قوله عليه السلام: «براهم الخوف بري القداح، يحسبهم الناظر مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا أو خالطهم أمر عظيم»[٢].

وفي مجالس ابن الشيخ ص١٨ عن نوف البكالي، قال: قال لي عليّ: «يا نوف، خلقنا من طينة طيّبة، وخلق شيعتنا من طينتنا، فإذا كان يوم القيامة اُلحقوا بنا».

قال نوف: فقلت: صفّ لي شيعتك يا أمير المؤمنين عليه السلام.

فبكى لذكر شيعته، ثمّ قال: «يا نوف، شيعتي والله الحلماء، العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره، المهتدون بحبّه، انضاء عبادة، أحلاس زهادة، صفر الوجوه من التهجّد، عمش العيون من البكاء، ذبل الشفاه من الذكر، خمص البطون من الطوى.

تُعرف الربانيّة في وجوههم، والرهبانيّة في سمتهم. مصابيح كلّ ظلمة، وريحان كلّ قبيل. لا يشنئون من المسلمين سلفاً، ولا يقفون لهم خلفاً. شرورهم مكنونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة.

---

(١) رجال الكشيّ: ٤٩ رقم ٩٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٢٢.

أنفسهم منهم في عناء، والناس منهم في راحة. فهم الكاسة الألباء، وهم الروّاغون فراراً بدينهم. إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفقدوا. أولئك شيعتي الأطيبون، وإخواني الأكرمون، آلاه شوقاً إليهم»(١).

وفي «الخصال» للصدوق ص٥٨ عن أبي المقدام، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا المقدام، إنّما شيعة عليّ عليه السلام الشاحبون، الناحلون، الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفّرة وجوههم. إذا جنّهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بركبهم. كثير سجودهم، كثير دعاؤهم، كثيرة دموعهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم يحزنون»(٢).

وفي «أمالي الشيخ الطوسي» ص٦٢ ، بسندٍ رجاله في أعلى درجات الوثاقة، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام الصبح بالعراق، فلّما انصرف وعظهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى، ثمّ قال:

«أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد رسول الله، وأنّهم يصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربهم سجداً وقياماً.يروحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم، ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع ذلك وهم جميع مشفقون خائفون»(٣).

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢: ٢١٨ .

(٢) الخصال: ٣١٨ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٢٩ .

وفيه ص١٣٥ : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد، وكانت ليلة قمراء، فأمّ الجبانة، ولحقه جماعة يقفون إثره، فوقف عليهم وقال: «من أنتم»؟

قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين.

فتفرّس في وجوههم ثمّ قال: «مالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة»؟

قالوا: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين»[(١)].

أمّا العبادة وما فعلت بأهلها، كما المعروف من خبر يحيى بن زكريا والإمام زين العابدين عليه السلام وكثير من الأنبياء والأوصياء، ما هو مشهور.

وتحمّل الإمام زين العابدين كلفة العبادة، التي امتاز بها على ما عدى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ما نذكر لك شذرة منه، تيمّناً وبركة.

كان سلام الله عليه يسمّى ذو الثفنات؛ لما على أعضاء العبادة ما يشبه ثفنات البعير، وكان يأخذ اللحم الزائد من جبهته وعرنين أنفه بالمقراض. وقد قال له ولده الباقر عليه السلام في معنى ذلك، فأجابه: أين أنا من عبادة جدّك أمير المؤمنين، وأنّى يستطيع أحد عبادة جدّك.

ففي «الخصال» ص٨٥ عن إسماعيل بن موسى الكاظم، عن أبيه الكاظم، عن آبائه، عن الباقر عليه السلام، قال: «كان لأبي عليه السلام آثار ناتئة، وكان

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١: ٢٩٠.

يقطعها في السنة مرّتين، في كلّ مرّة خمس ثفنات فسمّي ذو الثفنات بذلك»[١].

وفيه عن أبي حازم يقول: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام، وكان يصلّي اليوم والليلة ألف ركعة، حتّى خرجت بجبهته وآثار سجوده مثل كركرة البعير[٢].

وفيه بسنده إلى إسماعيل بن منصور، عن بعض أصحابنا، قال: لمّا وضع علي بن الحسين عليه السلام على السرير، ليغسّل، نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب البعير، ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين[٣].

وفي ١١ من البحار ص١٨ عن الزهري، قال: دخلت مع عليّ بن الحسين على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم ما رأى عبد الملك من أثر السجود بين عينيّ علي بن الحسين، فقال:

يا أبا محمّد، لقد بيّن عليك الإجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله، قريب النسب، وكيد السبب، وإنّك لذو فضل عظيم على أهل دينك، وذوي عصرك، ولقد أُتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك، إلّا من مضى من أسلافك.

فساق الحديث إلى قول الإمام عليه السلام: «لولا أنّ لأهلي حقّاً، ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً، لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة

---

(١) الخصال: ١٧٥ .

(٢) الخصال: ١٧٨ .

(٣) الخصال: ١٨٠ .

حتّى أُوديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله ، ثمّ لم أردهما حتّى يقضي الله على نفسي»[١] إلى آخر الحديث.

وفيه ص٢٠ حديث طويل عن العيّاشي، إلى أن قال: لقد كان تسقط منه كلّ سنة سبع ثفنات، من مواضع سجوده، لكثرة صلاته، وكان يجمعها، فلمّا دُفن دفنت معه[٢].

وفي «أمالي الشيخ» ص٤٠٧ بسنده إلى عمرو بن عبد الله بن هند الجملي، عن أبي جعفر محمّد بن علي: «إنّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، لمّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين عليهما السلام بنفسه، من الدأب في العبادة، أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري، فقالت: يا صاحب رسول الله، إنّ لنا عليكم حقوقاً، ومن حقّنا عليكم، أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً، أن تذكّروه الله، وتدعوه إلى البقيا على نفسه.

هذا علي بن الحسين، بقيّة أبيه الحسين عليه السلام، قد انحزم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه، أدأب منه لنفسه في العبادة.

فأتى جابر بن عبد الله إلى باب علي بن الحسين عليهما السلام، ثمّ ساق حديثه مع الباقر عليه السلام إلى أن قال: فأذن لجابر فدخل عليه، فوجده في محرابه قد أنضته العبادة، فنهض علي بن الحسين عليهما السلام، فسأله عن حاله سؤالاً حفياً ثمّ أجلسه بجنبه.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٥٦ حديث ١٠، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٧٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٦.

فأقبل جابر عليه يقول: يابن رسول الله، أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد بأبي واُمّي، حتى انتفخ الساق، وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

فلمّا نظر جابر إلى علي بن الحسين عليه السلام وليس يغني فيه قول من يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يابن رسول الله البقيا على نفسك، فإنّك لمن اُسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللاواء، وبهم تستمطر السماء.

فقال عليه السلام: يا جابر، لا أزال على منهاج أبويّ مؤتسياً بهما صلوات الله عليهما حتّى ألقاهما.

فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين، إلّا يوسف بن يعقوب، والله لذريّة علي بن الحسين عليه السلام أفضل من ذريّة يوسف بن يعقوب، إنّ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[1].

وبالجملة، كون علي بن الحسين ذو الثفنات من العبادة متواتر، وعبادة الأئمّة ممّا هو مستفيض.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٦٠ حديث ١٨، عن أمالي الشيخ الطوسي: ٤٠٧.

أترى أنّهم جهلوا الضرر المحرّم، الذي أدركه هذا من اللجوج المتسرّع، بما ينقص الدين، ويوجب خدش عواطف الملّة، ويمسّ كرامة الإسلام؟!

وطريف ما أبداه من العذر عن إمامنا الرضا عليه السلام بقوله: «واعتقادنا بعصمة الإمام الرضا يمنع من احتمال وقوع ذلك منه اختياراً».

متبجّحاً بموفقيّته لهذا الاعتذار، وتسليطه على إبراز ذلك العذر، حيث يحسب أنّ عصمة الرضا عليه السلام تدور مدار اعتقاده، فذلك يحرّم الفعل عليه تارة، ويبيحه له أُخرى، حيث لم يقرّح جفون عينيه.

ربّما ظنّ أنّ الرضا عليه السلام يأنس بمثل هذه المنقبة، ويمتاز بهذه المكرمة والفضيلة، أعني عدم الاختيار.

شكرت مساعيه، ودام شعوره واحساسه، وحمدت فكرته، في إبداء هذا العذر النبيل، وحقيقة هذا الإدراك السعيد، لذلك المدرك النبيه، استشعرته العقول الدراكة والأفكار الواصلة، فأصبحت الأُمّة المسلمة وهي ساخطة بأسرها تلك القريحة، التي الصقت بالنبيّ وآله الذوات المقدّسة، ما هي منزّهة عنهن، فتتعجّب طوراً قائلة. أكان لا يرى لهم العصمة؟! فتستبعد.

وأُخرى تستغرب سلامة ذات الباري تقدّس وتعالى عن الخدشة، فتودّ معرّفة السبب، ولعلّها تجد الأمر جلياً في أنّها لم تقع في طريق الاستدلال.

ولا يخفى قوله: «إنّ بكاء السماء فكلام شعري»[١] إلى آخره، مصادرة قحّه.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٢.

ماذا يريد من الدليل؟ فإنّ بكاء السماء لشرف المصاب وعظم المصيبة، أم لغير ذلك؟

فإن كان لشرف المصاب وعظم المصيبة، فأيّ برهان أوضح، وإلّا فعلام تبكى السماء؟

بلى والله، إنّه ليعلم أنّها من الأدلّة الواضحة، والبراهين الساطعة.

والأخبار الناطقة التي تلونا عليك قسماً منها تشهد لك بالحقّ، الذي لا يقابل بالمغالطة العناديّة ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾[١].

---

(١) التوبة (٩): ٣٢.

[كلمة الحقّ والعدل]

أنا وكلّ حسينيّ في شرق الأرض وغربها، نردّد كلمة، تنطق بها أحد المواكب العزائيّة في البصرة، موكب البوشهريّة،هي «أنا والله لا أنسى حسيناً».

ينطق بها محبّو الحسين حتّى الحشر، أكثر اللائم أم أقلّ.

وعليك أيّها الأخ الصادق النظرة، الثاقب الفكرة، بإمعان النظر فيها، وفي غيرها، التي ترجمها عن لسان الوسواس قلمه، فكانت إحدى النزعات التي يتوصّل بها إبليس وأعوانه، بسبب الأمر الذي يروّج، حسبما نطق الحقّ عن لسانه.

فإنّ هذه التهويلات لتروّج عند البسطاء، ومن أثقل كاهله، وأوهن عاتقه، حمل الديانة، وأراد التخلّص والتملّص من جميع التقيّدات الدينيّة والالتزامات الشرعيّة.

آخر كلمة نقولها في هذا الموضوع، حديث «الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً»[(١)].

فلسفته: إنّ الأحكام الدينيّة، تنفّرت منها طباع أهل الجاهليّة، والمطبوعين على حرّية الاستبداد، بالأفعال السبعيّة والشيطانيّة والبهيميّة.

فترى الإسلام المشرّع غريباً عن أوضاعها وعاداتها، غير ملائم تلك الطباع؛ لأنّه قانون يخضعهم على الإلتزام بمواده التشريعيّة، كرفض الزنا والمشروبات، وشنّ الغارات، والتكالب، وإراقة الدماء في السهل والجبل، وهتك الستر، والتظاهر بالمظاهر الشنيعة.

وأمثال هذه العوائد الشريرة، التي نزّه الشرع عنها معتنقيه، وأخضع النافرين عنه للإلتزام بموادّه كرهاً.

وأخيراً يعود غريباً، بمعنى أنّ تلك النفوس ـ التي هي ذوق الجاهليّة ـ لتتملّص من تلك الأحكام، وتتخلّص من الإلتزام بذاك القانون الدينيّ والدستور الشرعيّة رافضة تلك الأحكام، بعلّة أنّها تقليديّة همجيّة، ينبغي أن ينزّه عنها الشرع المقدّس.

هذه الفكرة السطحيّة باستغراب عقائد الدين، لا تقتضي نبذ اعتقادات المسلمين، التي بسبب التمسّك بها، نشر الإسلام أجنحة جلاله على الخافقين، ومدّ ظله على أرجاء المعمورة.

ومن حين تركت تلك العقائد، الخطّ متقهقراً، حتّى عاد تضطرب أمعاؤه رعباً، من سيطرة الغرب، الذي امتدّت بالضغط عليه سلطتها، وتمّ

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢: ١٧٥ باب «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً».

نفوذها مادياً وأدبياً، بعد أن كانت خاضعة زمناً طويلاً لتلك الألوية الحمر، التي عقدتها رئاسة الإسلام وزعامة الدين الحنيف قروناً عديدة، وداست تلك الخيول الدهم دست الممالك المتمنعة بالجنود المدرّبة، والمتحصّنة بحصون الحديد والقلاع والمعاقل، حتّى استلبت تاج كسرى وقيصر، وعاد الغرب إيالة إسلامية، يؤدّي الأتاوة للإسلام، ويعقد له الإسلام الذمّة، وله منه الذمام والخفارة، على حين كنّا نأمل أن يكون العالم كلّه اُمّة واحدة، تربطها الرابطة الدينيّة، وتجمعها وحدة الكلمة.

مزّقت الآراء والأفكار، تلك الجمعية الوحيدة في عالم السياسة الإنسانيّة، وبدّدت الأهواء والأغراض شمل تلك الجامعة الكماليّة، فأصبحنا بسلامة مفكرينا الأغيار على الحقيقة، وبشهامة المصلحين والمبشّرين، الذين دأبهم الفتق لا الرتق، والنثر سليقتهم لا النظم، متشتّتين تشتت خرزات العقد المرفضة من النظام، ومنبثين انبثات الهباء في الهواء.

ولئن راجت فكرة الواسمين أنفسهم بالمصلحين والمبشّرين، ليذهب الإسلام اسمه ورسمه، وإن كان هو اليوم اسم فقط.

هاك كلمة إصلاحيّة قالها محمّد سعيد عبد الغفار، أحد علماء الأزهر، الذي مدحه فلاسفة الغرب، وأنّه ينبغي للمسلمين ترويجه، وتلك الكلمة في كتابه «العقيدة السعيديّة» ص٧:

«وبهذا نعلم أنّ تربية الأُمّة على قواعد الدين الصحيح، تحفظها عن سقوطها، بل تجعلها عزيزة الجانب بين الأقارب والأجانب، بل بين محبيها ومبغضيها، مادامت متمسّكة بدينها الصحيح.

لو تأملنا القائمين بالفجور والفسق، الرافعين راية الفوضى، المنتحرين بأيديهم الأثيمه، الكذبة الخونه لأُمّتهم وبلادهم وأعراضهم، لرأيناهم منسلّين من الدين إنسلال السلت من غمده، ومارقين منه مروق السهم من الرمية، فاسدي المعتقد.

وما ضرّنا نحن معاشر المسلمين، إلّا تقليدنا الأعمى للتربية الأجنبية، تاركين ما نحن عليه من فضائل ديننا الحنيف.

لكن لست اُعيب جميع ما عليه الأجانب، بل اُعيب ما خالفت الدين، فما كان سبباً في انحطاطنا،ممّا شوّه وجه الدين والإنسانية من الأشياء، التي تهافتنا عليها تهافت الجياع على القصاع، حتّى أصبحنا ننظر إلى الدين نظر المقت والبغض، متّبعين المذهب الأجنبي، أياً كان.

فعلينا أن نرضع أولادنا ثدي الدين الصحيح، مبتعدين من العادات والخرافات، التي غيّرت وجهه الحسن، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولنعلم أنّ ديننا الحنيف، ليس فيه أثر من التعصّب الذميم، الذي يوجده الجهل.

قال الله تعالى ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ**﴾[(١)].

وقد أمرنا بالمعاملة الحسنة، والمجاملة المستحسنة، قال تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ «انفع بالّتى هي أحسن» انتهى.

---

(١) البقرة (٢): ٢٥٦ .

[كلمات صاحب رسالة التنزيه]

شطّ بنا القلم، نافثاً تلك الحسرة سمّاً وذعافاً ممقراً، ساكباً عبرة الحزن على انصداع ركن الدين، وتزعزع طود الإسلام الشامخ، ثمّ كفكف تلك العبرة لينظر في باقي أقواله.

بيد أنّي ألفت نظر الحرّ النافذ الفكرة، للتعمّق في كلماته لتعرف مقام مقاله ص٢١ سلسلة العبارة النشيطة في الركّة والسماجة، والطنطنة الذبابيّة من قوله: «مضرّ، موذي، الأصل الحرمة، واجب عقلاً ونقلاً».

ومن هذا القبيل من السبك واللبك، التي هي أشبه بدمدمة التمتام، وأضعف من حركة المضروب بالبرسام[1]، وأمثاله ممّا لا وجه له بما عرفت آنفاً، فلاحظ إذا شئت.

وتكرار هذا المطلب قد سئمناه، ومجّته المحابر والأقلام، وكأنّه لم يظهر له من سماء العلوم الحاليّة بالكواكب إلّا هذا المذنب، ولم يعرف من أزهار المعارف الزاهية إلّا الطحلب.

---

(١) البِرْسامُ: علّة معروفة، وقد بُرسِمَ الرجلُ، فهو مُبَرْسَمٌ. الصحاح ٥: ١٨٧١ «برسم».

[كيفيّة ممارسة العلماء للشعائر الحسينيّة]

لكن بعد هذه الفقرة، استطرد المقال إلى انتقاص المواكب بمثل هذا الهذيان الفاضح: إنّها لو كانت مندوبة لباشرها العلماء[1].

وما أشبه هذه النظريّة الوقّادة، بنظريّة المذهب الشهير لأبي حنيفة، في نقده على مؤمن الطاق في قوله، أتقول في المتعة: إنّها محلّلة؟

فقال: نعم، وأعتقده.

فقال له: لمَ لا تأمر نساءك يكتسبن لك؟

فقال له مؤمن الطاق: يا جاهل، ما كلّ عمل يرغب فيه.

هذه النظريّة جرّته إلى قوله: «لو كانت مندوبة لباشرها العلماء، كلبس الأكفان».

وهذه غفلة اُخرى وخطأ ثان، قل له أيّها القارئ الكريم: لمَ لا تؤذّن على منارة جامع دمشق؟

لمَ لا تكنس جوامع الشام؟

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٤.

لمَ لا تأخذ المعول تحفر قبور المسلمين؟ لمَ لمَ؟

وما أبداه ص٢٢ من هذا القبيل إلى قوله: «إنّما كان علماء النجف الأشرف يخرجون يوم عاشورا باللطم الخفيف إلى الحضرة الشريفة الحيدريّة، وعلماء كربلاء، شاهدناهم مراراً كثيرة يخرجون باللطم الخفيف جداً. ومن ذلك يظهر أنّه لم يعلم أنّ أحداً من علمائنا السالفين كان يجوّز أزيد من ذلك»[١].

ما أقوى هذه الحجّة وأمتنها، لا أستبعد أنّه كان يفكّر فيها منذ عامين.

قل لي بربّك أيّها المنصف: إن شاهدنا العلماء إذا أذّنوا لأنفسهم أذّنوا خفيفاً، أنّهم يجوّزون أزيد من ذلك، أم لا؟

وصلاتهم المخفّفة في الجماعات، كما هو مضمون الرواية «صلّوا بهم بصلاة أضعفهم»[٢]، أتراهم يجوّزون أزيد من ذلك، أم لا؟

وزيارتهم الخفيفة في الحضرات المقدّسة، واقتصارهم على «أمين الله»، أتراهم يجوّزون أزيد من ذلك، أم لا؟

ثمّ نقل كلام المعاصر في آخر الصفحة المذكورة، وهو قوله: «أولم يقم دليل عندهم على حرمتها، وإلّا لما أمسكوا النكير، وهو النهي عن المنكر الواجب، على كلّ مقتدرٍ عليه يؤثّر فيه، وكثير من أُولئك الأعلام مقلّد عام تنقاد لفتواه العوام»[٣].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢١٤، رقم ٥٢ «من كتاب له إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة».

(٣) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٥.

فأجاب رادّاً عليه، معارضاً ومناقضاً، بقوله: «ونقول: هناك احتمال ثالث لم يذكره، وهو الصواب، وهو أنّهم يعلمون بعدم التأثير، وكون كلّ منهم مقلّد عام لا ينفع أُولئك العوام»[1].

انظر كيف يكون التهوّر؟!

هب أنّه صادق في دعواه، ولكن سله: أثنيت له ولشريكه الوسادة، وتمّ النفوذ والسيطرة، حتى أفتيا؟

أم أرادا إسعار نار الفتنة والأراجيف، وإثارة كوامن المحن والأضغان؟ والمرأ عما قال مسؤول.

---

(١) المصدر السابق.

[فتوى السيّد أبو الحسن الأصفهاني]

خلاصة المطلب قوله: «فهذا حجة الإسلام السيّد أبو الحسن الأصبهاني، قد أذاع المناشير»[1] إلى آخره.

إنّه قد أودع هذه العبارة مناكيراً شتّى:

١ ـ نقض غرضه، بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُسمع.

٢ ـ نسبة الخطأ والغلط إلى سيّدنا الأُستاذ، بأنّه يعلم بعدم سماع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع هذا أذاع المناشير.

٣ ـ نسبة الجهل إليه بمورد الإجماع الذي عرفه، فإنّ الإجماع ـ كما زعم باحتماله الصائب عنده ـ قائم على عدم وجوب الأمر بالمعروف، وسيّدنا الأُستاذ ـ وحاشاه ـ ليس له إلمام بالإجماع المعروف.

٤ ـ إنّ الأُستاذ لا يبالي ـ وحاشى فضله ـ بمخالفة الإجماع، وأنّه يقدم على خرق الإجماع، وجميع الاحتمالات ينبغي أنّ يصان عنها الأُستاذ.

---

(١) المصدر السابق.

٥ ـ إنّ السيّد العلّامة لا يعتنى به حتّى عند مقلّديه، ودليل ذلك إذاعة المناشير التي جرا العمل على ضدّها.

وهذه أقبح من سوابقها، فإنّه مقطوع ببراءة ساحته ممّا يلصق به مَن دأبه ترويج مقاصده، وهو أجلّ من أن لا يسمع، بل لو أفتى لكان لفتواه الصوت المسموع، والصدى المصغى إليه.

لكنّي لا ألومه لو تقحّم على حجّة الإسلام الأصفهاني، فقد تقحّم على أجداده، ونسب إليهم ما نسب.

٦ ـ جعل التهجّس الخاطر في الواهمة مناطاً للحرمة، فإنّ سكوتهم لإحتمال عدم التأثير، إحدى الخيالات التي تمرّ في الفاكرة، ولا حقيقة لها، كما يتصور الإنسان بحراً من دم، أو أرضاً من ذهب، فأيّ عاقل يقبله؟! وأي سليقة ترضاه؟ فتجعله مدركاً للتكليف ومناطاً للحرمة.

بل المعلوم المقطوع به، أنّ علماء الشيعة إذا علموا بالمنكر صدعوا به، ويسمع منهم، بل يكون له الأثر الأعظم.

لا يفوتك نبأ فتوى الميرزا الشيرازي في حرمة شرب الدخان، وما الذي أثّرته في العالم الإسلامي.

ولا نبأ الفتوى بتحريم سلوك البادية إلى زيارة البيت المعظّم، وامتناع الناس من سلوك طريق البرّ، وتوجّههم إلى الحجّ على طريق البحر، وفق ما أفتى به أحد أعاظم عمائنا المتأخّرين.

أمّا المناشير، فليته أوقفنا على واحد منها، لكان أدلى لحجّته، وأوكد لبرهانه، فإنّ الناس تنقاد لفتواه، رغماً من زعمه البارد. ورسالة «التنزيه» لا تعدّ

رسالة للأُستاذ الأصفهاني، ولا فتوى له، ولا تحسب رأياً من آرائه، بل هي على العكس، مع اتهامها بحديث «من أغضب»[1]، والتسرّع إلى خلاف العلماء، ومخالفة القواعد، قعد بها عن الوثوق.

(١) إشارة لقول السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه»، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٥٤ «ولكن من أُغضب فلم يغضب فهو حمار».

[فتوى الميرزا الشيرازي]

وليست هذه بأغرب من دعواه الفتوى السريّة ص٢٣ عن حجّة الإسلام الشيرازي[1]، التي لم يطّلع عليها إلّا هو والصحّاف العاملي، حتّى أنّ ولده المقدّس حجة الإسلام الأغا ميرزا علي أغا دامت بركاته، لم يطلع عليها، ولم يعلم بتلك الفتوى. وكيف يطلع عليها؟! وهي سريّة، ولا يطلع على الأسرار ومستودعات الضمائر، إلّا من يطّلع على الأفئدة.

وإقامة الصحاف في حجرة صاحب «مفتاح الكرامة» برهان إنّي على صدور تلك الفتوى الخفيّة، والمسألة السريّة.

أيّها القارئ الكريم، قل لي بربك: أيمكن إخفاء فتوى حجّة الإسلام الشيرازي الشهير، مع شدّة الإبتلاء والاحتياج إلى مثل فتوى الميرزا حسن الشيرازي.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٦.

ولا ينبئك مثل خبير، الحجّة الشيرازي أكبر مجاهد في تقوية أعمال الشبيه وحفظ الشعار؛ لما يراها ـ وكلّ شيعي كذلك ـ أنّها أحد مصاديق ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1] وهي أحد أسباب ترقية الشريعة، وترويج المذهب؛ لحديث «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»[2]، وكثير مثله.

لا إفراط ولا مغالاة لو قلت: الأكثر شاهدوا تلك المواكب تقصد دار العلّامة المزبور، حاملة المشاعل، رافعة الأعلام.

وهلّا جعل من الموازنة بين حسن ظنّه أو ظنّ العامليّين معه، بوثاقة الصحاف، التي تمنعه من نسبة الفتوى لحجّة الإسلام الشيرازي، وبين ظنّ النجفيّين وفيهم العلماء، بورع الشيخ المقدّس وعدالته الثقة الثبت الشيخ حسن قفطان، يمنعه من اختلاق حديث حسّان؟!

لا أظنّ السليقة تجعل فارقاً، وإن حكمت، حكمت للشيخ القفطاني، وإعتماد النجفيّين يقوّي وثاقته.

---

(١) الحج (٢٢): ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ١٩٦٩١، عن ثواب الأعمال: ١٠٨ حديث ١.

[التغنّي بالشعر في إقامة العزاء]

ولم يزل يطفو تارة، ويرسب أُخرى، ويلجج مرّة، ويسوحل أُخرى، فيقذفه التيار إلى للج الغمر، وتصدره الأمواج طوراً إلى مسناة ساحل ذلك التيار.

ومذ قارب تسلّق المرقاة قال بكلّ نشاط، غير مبال، فأبدا ـ بزعمه ـ إنكار العلماء لتلك الأعمال.

أُنبّهك أيها القارئ الكريم، الحرّ الفكرة، على اضطرابه في صفحة واحدة صراحة: قوله الأول بعدم إنكار العلماء؛ لعدم التأثير، نصّ قوله الثاني بصدور النكير قائلاً: «كم رأيناهم أنكروا الغناء بالشعر في إقامة العزاء، ولا يقدرون على منعه»[1].

هذه الكلمة الطلسميّة، والرقية العقربيّة،أ زمزمة الغيلان، أو إيحاء بنات الجان.

نسأل منه أولاً: أهل يقيمون عزاء الحسين في دورهم، أم لا؟

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٦.

فإن كانوا يقيمون العزاء، ولا طريق له إلّا ما ذكر، فكيف ساغ لهم إدخال المنكر إلى بيوتهم؟!

وإن كانوا لا يقيمون، فكيف يأمرون بإقامة العزاء للمستفتين؟

وإنكار ذلك تهافت وبهت.

دع عنك ذا، الغناء بالشعر ينكرونه؟ أم ينكرون إقامة العزاء؟

فلو قال قائل: أنكر الغناء بالشعر، فهل يُفهم أنّ الغناء منكر؟ أم الدعاء؟

أم يُفهم منه أنّ هذه القضية تنحل إلى غناء بالشعر في إقامة العزاء فهو منكر، وإلى غناء بغير الشعر في غير العزاء، فهو ليس بمنكر، محال.

وهو لازم قولك: لو كنت عربياً، فإنّه إحدى نتائج التقييد، كما هو الشأن في المطلق والمقيّد، فإنّه ينحلّ إلى ما اشتمل عليه القيد، وإلى ما خلا عنه التقييد.

هب أنّك لستَ من أهل اللسان، وسلّمنا لك صحة الدعوى، نقول لقرّاء رسالتنا الكرام: إنّ هذه الجلبة الشائنة، إلّا إحدى عجائبه وغرائبه، أيّ عاقل يستجيز أم يستحل سماع دعوى الإفتراء والمباهتة؟! مَن سمع أنّ القرّاء يغنّون؟! أو أنّ مجالس العزاء محافل الغناء؟!

أيّها الناظر المنصف، أوعيتَ ـ لا وعى سواك ـ وسمعتَ ـ لا صمت اُذناك ـ قائلاً يقول لآخر: اذهب بنا إلى الغناء، بدل التعزية؟

وهل سمعتَ متفوّهاً نبس بنت شفة أو فاه بقول: إنّي ماضي لاستمع الغناء، يريد التعزية؟

أو يقول القائل لصديقه: مَن يغنّي لكم؟ بدل من يقرأ؟ أو فلان مغنّي آل فلان، يراد قارئهم.

العلماء أجلّ من أن تخفى عليهم هذه الواضحات، هكذا هكذا، وإلّا فلا لا.

ثمّ تسرّب مفيضاً بنقل الإجماع التأفيفي، بعد ما جحد الإجماع السكوتي قائلاً: «وكان الشيخ ميرزا حسين خليل ـ وهو من أجلّاء العلماء المقلّدين ـ يقوم من مجالس العزاء»[١] إلى آخره.

وأول شكر يجب له علينا منّته باشهار الميزرا حسين، بأن وضع له معرّفاً، ولولا ذلك التعريف لبقي نكره.

ولا تفوتك أيّها القارئ الكريم النكتة الدقيقة في هذا الفصل، وهو إيراده لقيام المرحوم الحاج ميرزا حسين آل ميرزا خليل، مورد الإحتجاج، ولم يعلم قيامه على أيّ وجه، مع إنكاره لحجيّة فعل العباس، ووضوح الوجه فيه ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا**﴾[٢].

فشيخنا العلّامة المقدّس المرحوم الحاج ميرزا حسين، نحن شاهدناه، وشاهدنا حضوره مجلس العزاء، الذي يقام في مدرسته الشهيرة.

دع عنك ما سمعنا، ولو كان النقل متواتراً، واشتهر في محلّ الواقعة، لا في المدن الشاسعة، فإنّ قيام مثل حجّة الإسلام الميرزا حسين ليس بسهل ولا هيّن. أتظنّ أنّه قيام قرويّ أو بدويّ لا يُعتنى به؟! بل لو قام لكان لقيامه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الزخرف (٤٣): ٥.

صدىً يرن، ولقرع كلّ سمع، ولأوجبَ إنقلاباً عظيماً، فإنّ له الصوت الأول في عصره بالتقليد.

قال: «وكان شيخنا أغا رضا الهمداني ـ إلى قوله ـ يتأفّف كثيراً»[1].

ما كلّ ما يخطر بالبال يقال، فالتأفيف لو صحّ، فلعلّه اعتاده، كما يقع كثيراً من يعتاد النفخ وأمثاله.

ولو صحّحنا وقوعه على جهة الامتعاض والانكماش من سماع القراءة، فليس بحجّة؛ لأنّ التأفيف ليس بفتوى، فلا يثبت التكليف به.

فلو أنّ سائلاً سأل فقيهاً عن حكم، فتأفف الفقيه، يقوم الرجل ويقول: قد أفتاني. وإذا سُئل: بما أفتاك؟ يقول: أفتاني بالحرمة، وهي اُفّ اُفّ.

سلام الله على اُفّ، ما أكرم اُفّ على الله، فإنّها تثبت التكاليف، وتشرّع الأحكام التي لم تثبتها أفعال النبيّ والأئمة عليهم السلام.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٦.

[إجماع علماء جبل عامل على حرمة بعض الشعائر]

أمّا ما أفاض فيه ص٢٤ من نقل إجماع علماء الجبل[1]، فممنوع لأُمور.

١ ـ عدم الوثوق والاطمئنان بقوله؛ لأنّه غير متثبّت في نقله، كما عرفت وتعرف.

٢ ـ معارضته بنقل آخر أقوى منه.

٣ ـ بُعده؛ لأنّ ذوق الفقاهة يمنعهم عن القول بلا مستند.

٤ ـ إستظهار الفتوى بالسكوت لا يكفي في الحرمة، وإن اكتفينا في الإباحة؛ لموافقة الأصل.

٥ ـ دلالة السكوت على الرضى بالفعل أولى من عدمه، ولو وجد لواحدٍ منهم قولاً ولو ظاهراً، لجعله آية الزبور، وحلّاه بألحان داود.

٦ ـ ظهور المخالف منهم صريحاً.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٧.

٧ ـ لو صحّ، لم يقدح في الإجماع مخالفة أشخاص يعرف نسبهم ويعلمون بأعيانهم، سيما مع المخالفة للقواعد المقرّرة بين الأصحاب، المتلقاة من أئمة الهدى، كأصل الإباحة، وأصالة الصحة في فعل المسلم.

وأيّ شيء يكون أولى بالحمل على الصحة من أعمال المسلمين؟! وخصوصاً أعمال الشبيه،التي دان بها الشيعة في عصر يقرب من الألف سنة، في عصر الشيخ المفيد والشريفين الرضي والمرتضى ـ كما سنذكره لك ـ إلى عصرنا، وفي عموم مدن الشيعة كالهند وإيران والعراق والشام والاستانة وبلاد الترك الروسية.

وأصالة الفساد من متفرّدات الطاعنين على أعمال الشبيه، فلا يهمّنا التعرّض لفسادها، وضعف إفادتها الحرمة، التي هي أعظم ما يكون من العسر والحرج المنيفين خصوصاً في المباحات، التي خفّف الشارع عن كاهل الأُمّة ثقل التكليف بها، حسبما تقتضيه فضيلة الشريعة السهلة السمحة.

وفي الحقيقة، فأصالة الفساد لو تمّت لا تقتضي الحرمة، كما يعرفه ذو الخبرة في الفن الصناعي.

[عدم وجود بعض الشعائر قديماً]

ثمّ أخذ يسرد المتناقضات قصداً للتشنيع، فوقع قهراً في المحال الشنيع، انظر ص٢٥ تجد قوله منها: «بل لم ينقل أنّ أحداً فعلها من عوامّ الشيعة، ولا أحداً أجازها من علمائهم في الأعصار، التي كانت ملوك البلاد الإسلاميّة فيها كلّها شيعة، وذلك في العصر البويهي»، إلى قوله:

«مع ما كان عليه آل بويه من التشدّد في نشر إقامة العزاء، وحتّى كان في زمانهم تُعطّل الأسواق في بغداد، وتقام مراسم العزاء فيها وفي الطرقات، ولم ينقل أحد أنّه وقع شيء في زمانهم من جرح الرؤوس بالسيوف والمدى، مع ما فيه من التدافع والتناقض والتهافت، الذي لا يخفى على كلّ أحد»[1].

قد سلّم ما أسلفناه لك في صدر رسالتنا، أنّ هذه الأعمال اشتهرت في عصر الملوك البويهيّة، ويقتضي أن يكون نبوغها وظهورها قبل بدوّها، ضرورة اشتهار الشيء يقتضي سبق زمان الخفاء.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٨.

ثمّ يكفينا بروز هذه المواكب، مع عدم نهي هؤلاء الفطاحل من العلماء الذين ذكرهم، كالمفيد والشريفين. وعدم تعرّضهم له يكشف عن رجحانه كشفاً إنيّاً، سيما مع معروفيّة طاعة البويهيين ـ كعضد الدولة، وركن الدولة، أو جلال الدولة، وبهاء الدولة ـ للشيخ المفيد والشريفين.

فلو كان غير راجح ـ فضلاً عن كونه محرّماً ـ لنهى عنه هؤلاء الحجج، ولو نهوا لامتثل أمرهم البويهيّون. ومن لاحظ تأريخ آل بويه، أو ترجمة المفيد والشريفين من طاعتهم لهم، وعدم تعرّضهم له، يكشف بطريق الإنّ عن رجحانه.

هذا، وقد لاح لك التصريح منه، أو ما هو قريب منه، بأنّ المواكب في ذلك العصر تقام على هذه الكيفيّة التي هي عليها اليوم، غاية ما أمكنه إنكاره هو جرح الرؤوس، وذلك ليس بضائرة؛ لأنّ عدم وجوها في ذلك العصر لا يدلّ على حرمتها.

ويكفينا وجودها في عصر آخر فيه علماء كبار وفقهاء أحرار، شعارهم التقوى لله، والتقرّب إليه بما يرضيه، لا بما يسخطه، وسجيّتهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فالتهجّم عليهم بأنّهم مالئوا العوام على المعصية، ممّا يوجب سخط الله.

[أقوال بعض الأعلام في الشعائر الحسينيّة]

وإليك الفصل الذي نقل فيه عبارة المعاصر، وما ردّ عليه.

احتجّ المعاصر بكلام كاشف الغطاء وغيره، وها تفصيله كما نقله ص٢٥ قال:

«على أنّ جلّ أساطين علمائنا المتأخّرين، كشيخ الطائفة الشيخ جعفر في «كشف الغطاء»[١]، والميرزا المحقّق القمي في «جامع الشتات»[٢]، والحجّة الشيخ مرتضى الأنصاري في رسالته «سرور العباد»[٣]، والفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري في «ذخيرة المعاد»[٤]، والعالم الناسك الشيخ خضر شلال في كتابه «أبواب الجنان»[٥]، وحجة الإسلام الميزا حسين النائيني في أجوبته لأهل البصرة، وجميع علمائنا المعاصرين، خلا بصريّاً وعامليّاً خالفا

---

(١) كشف الغطاء ١: ٢٧٠.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

(٣) سرور العباد: ٣٤.

(٤) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٥) أبواب الجنان: الفصل الرابع من القسم السادس.

الأئمّة وعلماء الأُمّة»[١] إلى آخره.

هذه هي الفقرة التي أسخطته، وجرت علينا حديث «من أغضب»[٢]، فحرّرت الحميّة الغضبيّة رسالة «التنزيه»، فنفث لسان قلمه سمّ القول الذي لم يكن بنزيه.

وحيث رام على الخصم الانتصار والتشفّي منه، والانتصاف من كلمته الموجعة لقلبه. لكن بماذا تشفّى؟! وبماذا انتصر؟!

بالشتم والتشنيع على الإماميّة المنزّهة أقوالاً وأفعالاً، ببركة أئمتها، وجدّ علمائها، وحزم فقهائها.

وبماذا ثانياً؟ بما لا يسوغ من نسبة الجهل والخطأ وإرتكاب المحرّم، لمن أذهب الله عنهم الرجس طهّرهم تطهيراً، على نفسها تجني براقش.

ليت من جعل لنفسه الحماية، والاحتماء عن نسبة المخالفة بآية المودة، فلمَ لا تحمى من لسانه أهلها، الذين هم أحقّ بها، وببركتها يناله وينال غيره من الفضيلة، ولمَ لم يقترف حسنة الكفّ عن أذيّتهم. ينسبة النقص في الفعل إليهم ... جرت رحم بيني وبين منازل[٣].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٩ ، سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤: ٥٦٦ .

(٢)إشارة لقول السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه»، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٥٤ «ولكن من أُغضب فلم يغضب فهو حمار».

(٣) شطر بيت قاله «لاحق الشيباني» في قضيّة وقعت بينه وبين ولده «منازل»، الذي كان يضربه، ممّا جعل والده يجعله عاقاً، وتمام البيت:

جرَت رحِمٌ بينـى وبـينَ منـازل   سَواء كَما يَسْتنزل القَطْـر طالبـه



كَانتْ مـودّةُ سـلمانِ لـهُ رَحِمـاً   وَلَمْ يكُنْ بينَ نُوح وابنه رحـمُ[(١)]

سبحان الله، ولو أنصف نفسه، وراجع وجدانه، وقلّد شعوره وحسّه، لأرضته كلمة ذاك القارئ، وما أغضبته، ولعلم أنّها للمدح أقرب منها للقدح على سماجتها، وذلك حيث لا يعدّ قول القائل خلافاً والقائل مخالفاً، إلّا إذا كان ممّن يعتدّ به ونظر إليه.

أتراه لا يرى لنفسه الأهليّة؟! فحقّ أن يغضب، وليته على معاصره فقط دون دينه، وأنّه ليحسّ أنّ مخالفة الأئمّة أمر عظيم، فليته شعر حين خطّ «التنزيه»، وزبر ما زبر فيها من الأساطير الهمجيّة، والسمادير الوحشيّة، تلك اللذعات العقربيّة، واللسعات واللسبات الأفعوانيّة، قلمه وكلمه لأهل العصمة وهداة الأُمّة، يسطرها مبتهجاً، ويزبرها مبهرجاً، ومتبجحاً بالانتصار على خصمه، لم تكن له مغضبة ولا مسخطة على نفسه الأمّارة، وتسخطه نسبة المخالفة.

بلى، كذلك عديم الإدراك، مسلوب الشعور والإحساس، ومن لا سليقة له ولا ذوق، ولا أقول الأُخرى، أخشى أن يعود حديث الحمار ثانية.

انظر تفصيل القضيّة في دعاء المشلول في مهج الدعوات: ١٥١ ـ ١٥٧، ومصباح الكفعمي: ٢٦٠ ـ ٢٦٤.

(١) من قصيدة تسمّى «الشافية» لأبي فراس الحمداني (ت٣٧٥ هـ) قالها في مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام، وذم بني العباس، مطلعها:

الـدِّينُ مُخْتَـرمُ والحَـقُّ مُهتَضَـمُ   وفـيءُ آلِ رَسـول الله مُقتسـم

انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١: ١٧٧.

وليته اقتصر على الطعن في المواكب دون الكواكب، وعلى الأُمّة دون الأئمّة.

ثمّ أخذ يردّ قول معاصره بإنكار فتاوى العلماء، التي أشار إليها المعاصر، ناقلاً عبارة «كاشف الغطاء» و«جامع الشتات»، زاعماً أنّها أقوى للاستظهار على الخصم، وأدحض لحجّته.

لكن من الأسف، إجالة الآراء في أمثال هذه الأُمور الواضحة، سيما مع اتخاذ الشيعة لها ديدناً وشعاراً، قال ناقلاً للعبارتين ص٢٥ وص٢٦ إلى قول كاشف الغطاء: «لا بقصد الخصوصيّة ولا بقصد النصوصيّة»[١] إلى آخره.

والذي أوقعه في هذا الوهم ـ فزعم ما زعم ـ هذه الفقرة، فهذا الاجتهاد العجيب، والأُسلوب الغريب، الطرز ذو التحقيق الرائق، والتدقيق الفائق، والكاشف عن الملكة القويّة، والفطانة والمعرفة التامّة، في فهم كلام الفقهاء.

غرض الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله، أنّ المستحبّات قسمين: قسم ورد فيه نصّ خاصّ، وقسم مندرج تحت العمومات.

فالقسم الثاني يقصد إمتثاله بعنوانه العامّ، لا بعنوان خاصّ، يعني أنّه منصوص بخصوصه، كما في «أشهد أنّ محمّداً وآله خير البريّة» في فصول الأذان، كما نصّ عليه الشهيد في «الروضة»[٢].

وأيضاً قد تلحظ في المندوب خصوصيّة، وقد لا تلحظ، كأذان الإعلام، فإنّ الخصوصيّة ملحوظة فيه، وهو رفع الصوت، فكاشف الغطاء

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٠.

(٢) الروضة: ٨٣

رحمه الله صرّح في أنّ لفظة «أشهد أنّ عليّاً ولي الله» في الأذان، وأعمال الشبيه، لم يرد فيها نصّ بالخصوص.

يعني في الأذان وفي لبس الكفن مثلاً، وإلّا فمطلقات استحباب الشهادة لعليّ شاملة له، وكذا مطلقات تعظيم الشعائر.

وأيضاً لم تلحظ فيه خصوصيّة يقصد امتثالها، فإذا قصد الشخص خصوصيّة أو نصوصيّة، فقد جاءه التشريع، فإذا امتثل لا بهذا القصد، بل بقصد العنوان العامّ، وهو عموم استحباب الشهادة لعليّ، وعمومات استحباب مواساة الأئمّة كحديث «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»[١].

وحديث مسمع المتقدّم[٢].

وحديث: «أحيوا أمرنا»[٣].

وحديث «يقيمون العزاء جيلاً بعد جيل»[٤].

وحديث «الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا»[٥] الأحاديث السالفة، وعموم آية ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ**﴾[٦].

وإذا لم تكن جدلاً خصماً ناطقاً بغير حقّ، ظهرت لك حقيقة ما أراده كاشف الغطاء، فإنّ لحاظ الخصوصيّة والنصوصيّة خارج عن عمل الشبيه؛ لأنّ

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٩٧٠٥، عن كامل الزيارات: ١٠١.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٩٧٠٥، عن كامل الزيارات: ١٠١.

(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ١٩٦٩١، عن قرب الإسناد: ١٨، وتفسير القميّ ٢: ٢٩٢.

(٤) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٣ حديث ٣٧.

(٥) وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٩ حديث ١٩٨٩٧، عن كامل الزيارات: ٣٢٤.

(٦) الحج (٢٢): ٣٢.

الضارب لرأسه بالقامة والسيف، واللاطم على صدره، لم يقصد خصوصيّة، ولا يدّعي نصوصيّة.

لكنّي لا ألوم مَن قصده التشنيع، بتنزيهه الشنيع في عدم وقوعه على مراد الفقهاء، فإنّ الفقيه من فسّر كلام الفقهاء.

ولذلك تراه قد ترقّى في الاسترسال إلى قوله: إنّ كاشف الغطاء قد صرّح بأشياء من أعمال الشبيه: من دقّ طبل، وضرب آلة نحاس، ولم يذكر جرح الرؤوس [1].

وظاهره أنّ عدم ذكره جرح الرؤوس، دليلاً لحرمتها عنده.

وهذا أيضاً من الغفلة والذهول، وإلّا فلو راجع وجد أنّه مصرّح ولو بنحو الإجمال بعد التفصيل.

ألا يرى لو أنّه أمر أحد تلامذة مكتبه قائلاً: أعطي فلاناً درهماً، وفلاناً درهماً، وأعطي مَن في المكتبة. فهل يرى أنّه قد حرّم إعطاء من ترك التنصيص عليهم؟ لا أحسب أن يرضى لهم بالحرمان، ويجعل حظّهم الخيبة من تلك العطيّة.

ومن هنا ساق القياس الخطابي، والبرهان الشعري، حيث يقول ص٢٥: «أمّا نسبة ذلك إلى شيخ الطائفة كاشف الغطاء، فنسبة باطلة، فإنّه لم يذكر جرح الرؤوس، وظاهره الاستشكال في غيره، بل في مطلق الشبيه»[2].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٩.

(٢) المصدر السابق.

ثمّ ساق كلام العلّامة الأكبر في «كشف الغطاء» ولكن بترك العبارة التي هي تمام غرض كاشف الغطاء، وأوقع الجزم بلا جازم، والحذف بلا إمارة على المحذوف. ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا**﴾[(١)].

وأنا أُوقفك عليها، لتعلم أنّ الحاقد يتنكب الجادة خبطاً في سبيل حقده، فكاشف الغطاء قال ـ بعد قوله الذي انتهى إليه ناقله، وجميع ما ذكر وما يشابهه ـ: إنّ قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة على جهة العموم فلا بأس»[(٢)].

بربك أيّها القارئ الكريم، والناظر المنصف، ما المراد من الذي يشابهه الأشياء التي ذكرها كاشف الغطاء؟! غير لبس الاكفان، وجرح الرؤوس، فإنّه لم يعدّدهما، وقد عرفت أنّ الذي يجرح رأسه لا يقصد به خصوصيّة للجرح، بل يقصد به الرجحان المطلق، وهو نصّ كاشف الغطاء بالجواز.

ونظرته في كلام «جامع الشتات» كنظرته في كلام كاشف الغطاء، حذو القذة بالقذة، فلا نطيل الرسالة بشرحه.

وباقي الفقهاء قد اعترف بعدم الوقوف على كلامهم، ومن حفظ حجّة على من لم يحفظ.

ثمّ انتقل إلى كلام الحجج الموجودين من العلماء فقال ص٢٧ مدّعياً إجماع علماء النجف والكاظميّة في العصر الحاضر[(٣)]، لكن لم يسمِّ من المجمعين بزعمه إلّا واحداً.

---

(١) البقرة (٢): ١٨٧ .

(٢) كشف الغطاء ١: ٥٤ .

(٣) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٣ .

لـــيسَ علـــى اللهِ بمســـتكثرٍ   أن يجمَـع العـالمَ فـي واحـدٍ[١]

قال: «أمّا نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين فنسبة باطلة، فإنّ حجّة الإسلام أبا الحسن الأصفهاني ـ الذي يقلّده الكثيرون ـ قائل بالمنع، صرّح في رسالته الفارسيّة، وأذاع منشوراً مطوّلاً يمنع فيه من ذلك»[٢].

لو أردنا أن نناقشه بالأغلاط التي ناقش المعاصر بمثلها، لوجدنا الكثير.

ما باله يجعل النصب لأبي الحسن، وحقّه الرفع، فإنّ زيدون العلم لا يتغيّر في الأحوال الثلاثة بمقتضيات العوامل، وحيث إنّ هذه المسائل من مسائل المبتدئين، لا من مطالب الباحثين، أضربنا عنها قائلين:

أمّا الرسالة الفارسيّة، فلم نقف عليها، لنتحقّق صدق الدعوى في تعميم الحرمة إلى جميع أعمال الشبيه، لكن الثقات نقلوا مضمونها، وأنّه يحتاط من الطبل والصنج وما شاكلهما، وهذا الاحتياط غير ضائر:

أمّا أوّلاً: فلأنّ نظر السيّد إلى ما يعمل في طهران وأصفهان، من آلات الطبل والصنج، المعبّر عنه بالمزيقة المحزنة الحزايني، وهذا أمر مسلّم، لا الذي يعمل في سائر بلاد الشيعة، الذي هو أشبه شيء بوقع مطارق الضارين، أو مرازب الحدادين.

---

(١) البيت لأبي نؤاس (ت ١٩٩ هـ)، قال مخاطباً هارون الرشيد، ومادحاً الفضل بن الربيع، وذلك بعد نكبة البرامكة:

أنتَ علـى مـا بـكَ مـن قُـدرةٍ   فَلَسـتَ مثـلَ الفَضـل بالواجـدِ
لـــيسَ علـــى الله بمُســـتكثر   أنْ يَجمـعَ العـالمَ فـى واحـدٍ

انظر ديوان أبي نؤاس: ٤٠٧.

(٢) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٢ ـ ٩٣.

وأمّا ثانياً: فلا يضرّ مع وضوح المدرك، فإنّ كثيراً من الفقهاء، من تركت أقواله للعلم بمدرك الحكم، بل كثير من الفقهاء مَن يحتاط من إحتياطه، كحجّة الإسلام الميرزا محمّد تقي الشيرازي، حتى أنّه رخّص لمقلّديه الرجوع في مسائل احتياطه لمن هو أدنى منه فضيلة، ولو كان الأمر كما تقول لا نتفى الإجتهاد في العالم.

وسيّدنا الأُستاذ لا يرضى ينقض ذلك الأساس المحكم، وإلّا لما سلم له، ولا لغيره الاجتهاد، ولكان كلّ مجتهد مقلّداً؛ لأنّ المسائل إمّا وفاقيّة، وإمّا خلافيّة.

فإن كانت وفاقيّة، لزمه اتباع الإجماع.

وإن كانت خلافيّة، لابدّ أن يقول بأحد الأقوال، فهو مقلّد لذاك القائل.

لا أظنّ أنّ سيّدنا الأُستاذ ـ وإن قال بحرمة اللهو والطرب كباقي العلماء ـ أن يقول بحرمة نفس الآلة، الذي هو خشبة وجلد، أو قطعة صفر أو نحاس لم يقصد بها اللهو، حاشى أن يقول: إذا حرم بناء بيوت النيران، أن يقول بحرمة الطابوق والجصّ الذي صار جزء للبناء المحرّم، فيحرم نظيره الذي صار جزء للمسجد.

لكن لا ألومك، حيث نسبتَ الجهل لأجداده، أن ننسبه له، والمفهوم الصريح كالمنطوق حجّة.

وأنا أجلّ سيّدنا الأُستاذ عن سدّ باب الاجتهاد، بل صاحب «التنزيه» نفسه قال: «المتبع الدليل، لا قال فلان وقال فلان»[1].

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٣.

وأمّا ثالثاً: منشور سيّدنا الأُستاذ، الذي أذاعه، لا يدلّ على مراده، بل هو على العكس أدلّ، وإن تأمّله المنصف رأى فضيلة سيّدنا الأُستاذ تسمّح لأهل المواكب في أعمال الشبيه، وإليك جملة منه، وعليك في التعمّق في المعنى، فإنّ صدأ المرايا يمنع انطباع الصور فيها، قال دامت بركاته:

«لا يخفى على إخواننا المؤمنين، إنّ إظهار الحزن والبكاء والعويل في هذا الرزء الجليل، من أحسن القربات، وأفضل الطاعات. كما أنّ الجزع والهلع والتظاهر بكلّ ما ينبئ عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب: من لبس السواد، ورفع الأعلام السود، والمشاعل، وسائر مظاهر الحزن كاللطم على الصدور، وغير ذلك من إظهار شعار الإماميّة، يبتغون بذلك صلة نبيّهم، وإحياء ذكر أئمّتهم، ويرجون بذلك شفاعتهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون»[١] إلى آخره.

ولا نعرف من غير ذلك هذه الإشارة إلّا الأُمور التي يعملها الشيعة، وأجلّ السيّد العلّامة من المواربة، والإيهام بما يقتضي الباطل، أن أراد إيهامهم الإباحة بما هو محرّم عنده.

وإنّي ليرجف قلمي، حتى لا أكاد أن أقدر أن أخطّ ما يذهب إليه وهم ذاك الواهم، فإنّه لو أراد أن يعود ثانياً أن يقول: قد أباح ما صرّح وأشار إلى غير ذلك المحرم، فهو ـ مع كونه بعيد ـ لا تساعد على فهمه القواعد، يلزم منه

(١) النصّ موجود أيضاً في رسالة «رنّة الأسى» للشيخ عبد الله السُبيتيّ العاملي (ت ١٣٩٧ هـ)، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٢١٨، ورسالة «كشف التموية عن رسالة التنزيه» للشيخ محمّد الگنجي (ت حدود ١٣٦٠ هـ)، المطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً ٦: ٣١٣.

إباحة الحرام، والسيّد حجّة الإسلام ارتكب الإبهام، فقد أباح المحرّم؛ لأنّ الظهور حجّة، ولا رافع له إلّا بما هو أظهر المفقود هنا، فلاحظ.

ثمّ قال مترقياً بالنسبة الخداعيّة، والدعوى الرابيّة: «وكذلك علماء النجف الأشرف والكاظميّة وغيرها، قائلون بالمنع».

إلى قوله ص٢٨: «ومَن جوّز الجرح من علماء النجف الأشرف، ممّن يعتدّ به، قيّده بعدم الخوف».

إلى قوله: «سوى رجل واحد، أرخى عنان القلم»[١].

أمّا المشار إليه بمن يعتدّ بقوله، هو حجة الإسلام آية الله في الأنام، الميرزا حسين النائيني دامت فضائله وفواضله.

ومَن وقف على منشور اُستاذنا الأعظم، حجّة الإسلام، خاتمة الفقهاء، العلّامة الممتاز بكلّ فضيلة، الميرزا النائيني، وما أدراك ما النائيني؟! هو منتهى الفقاهة، بل حدّث عن البحر ولا حرج، موضوع مسألتنا فإنّه أجلّ من التقريظ، منشوره عامّ لجواز جميع أعمال الشبيه.

أمّا مسألة التقييد بعدم الضرر المعلوم ـ الذي جعله الطاعن محور فلك انتقاداته، ومركز كرة ملاماته، التي منها يعلم أن لا برهان عنده ولا حجّة لديه ـ فهي عكازة الأعمى وصولجان الأقطع، وقد عرفت مافيها مكرراً.

ونحن أقلّ طلبة العلوم، فضلاً عن حجّة الإسلام، وملاذ الأنام النائيني ـ الذي هو اُستاذنا واُستاذ الكلّ في الصناعة العلميّة، والوحيد في الصفة العلميّة

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٣.

ـ لا نجوّز الضرر، بل نقول قولاً ناصّاً صريحاً، وننادي بأعلى الصوت وملئ الفم: كلّ مَن يتضّرر بأيّ عمل كان، شبيهاً وغيره في المواكب، أو في سائر الأعمال، لا يجوز لواجد الضرر إرتكاب ذلك العمل.

ولكن يا هذا، هؤلاء المتمّرنون، المعتادون لجرح رؤوسهم في كلّ عام مرّة أو مرّتين، لا يجدون ضرراً، بل يجدون نفعاً، رغماً ممّا يدّعيه المدعي وينعاه عليهم الناعي.

ومن يرى الثمرة على الشجرة، كيف يقبل زعقة الزاعق بالعدم؟! ومن وجد الفائدة على المائدة، كيف يسمع صرخة الصارخ: إنّ السمّ في الدسم؟!

ولو سألتهم لأجابوك، والوجدان من وكيد البرهان الناطق بالرجحان.

وحيث جعل «التنزيه لأعمال الشبيه» حرماً آمناً ، ويتخطّف الناس من حوله، وكلمة الصخرة التي في بيت المقدس، المدّعى عروج المسيح منها وهبوطه عليها.

لا أخالك ترضى إلّا بأن أعود ثانياً فأقول: هلمّ لنطوف في ذلك البيت المقدّس، والمقام الأعظم، مقام العاكف، ومطاف الطائف، الملتزم والمستجار الضرر، لمَ لا تجعل مجلبة النفع مناط الوجوب، كما جعلت ظنّ الخوف مناط الحرمة؟! والاختيار بلا دليل بارد.

لسنا نقف معك موقف المعارضة، ولا نقوم أمامك مقام المدافعة، لكن موقف السؤال والاستفسار، ومقام الاستعلام والاستخبار، نامل إبداء رأيك في سؤال نعرضه عليك:

لو وجد فرد من الناس يخاف على نفسه الهلاك من سلوك مفازة معطشة، فحرم على ذلك الشخص سلوكها.

وهناك أشخاص لا يخافون الضرر في سلوكها، بل يثقون بالسلامة، ويعتقدون بالفوز والنجاح، لما اعتادوه من سلوكها مراراً، وجرّبوه من طريقها كثيراً، فوجدوا ـ على رغم ذاك الزاعم ـ الراحة التامّة والأُنس الأكيد، مقرونين بالظفر والنجاح، والفوز بالوصول إلى حضرة المولى، والقرب من حضرته المقدّسة.

فهل تراهم يسوغ لهم ترك السلوك لها، وتضييع تلك المصالح الجمّة، والفوائد العديدة، لوهم واهم، وتخيّل متخيّل؟

ما أحسب أنّ الظنّ في الشخص يسري إلى النوع، لا، بل أعرني سمعك ودع القوارع، ولا تقل: وأيم الله: «لو لم يوجّه إلينا لسباته ولسعاته»[١]، فإنّا أقبلنا إليك إقبال المسترشد، وسألناك سؤال العاجز المقلّد.

ما يقول الفاضل ذو الفضيلة، والنبيل الممتاز بالفقاهة والنباهة، في سلوك نهر كالنيل مثلاً، وفي بعض السنين عطبت فيه سفينة وأصاب الركّاب ضرر، وكان الأُلوف من السفائن التي تعوم في ذلك النهر وتمحر سابحة في تيار ذلك الشطّ، في درجة قصوى من السلامة، وأهلها في غاية الأُنس، وركابها في تمام السرور والانبساط، وطربين بسير سفنهم البخاريّة والشراعيّة تشقّ عباب الماء، ناشرة أجنحتها الهوائيّة، فكأنّها أنسر الجوّ المحلّقة في

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٥٤ .

الآفاق، وسترسوا بهم قريباً على ساحل الرفاهيّة في رشيد الأفراح، وقاهرة المصاعب.

أجب المستفتي أيّها المفتي، ولو أجبت بما يجيب به كلّ صاحب وجدان وشعور، ولم توعز ثانياً بما اختلج في فكرك قائلاً: «سوى رجل واحد أرخى عنان القلم»[1].

مشيراً بهذه الإشارة الإصلاحيّة، إلى أحد زعماء الديانة الروحانيّة، صاحب الفضيلة، كاتب «الدعوة الإسلاميّة»، سليل كاشف الغطاء، حجّة الإسلام الشيخ محمّد حسين النجفي.

كأنّك تجحد فضله، أو تريد إخفاء فضيلته، ناكباً لما رأيت في رسالته «الآيات البيّنات» من الآيات البيّنات، والحجج والبراهين الواضحات، حيث إنّها كانت قامعة لكلّ شبهة وظلالة تقهقراً عن مقابلتها، إلى قولك: «أرخى عنان القلم».

وهل أرخاه إلّا بالحق؟!

مع أنّك لم تطّلع، أو اطّلعت وكابرت وجدانك، كما قيل في المثل العامي: «صدق سمعك وكذب بصرك».

علماء الكاظميين ومشاهيرهم، فيما أحسب الحجة السيّد حسن الصدر، قد وقّع بخطّه الشريف على رسالة ألّفها صاحب الفضيلة شيخ محمد رضا آل ياسين، وتصنيفها بالتماس أخيه الفاضل شيخ مرتضى، وأمر أبيه العلّامة الشيخ عبد الحسين.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٣.

وتلك الرسالة الفريدة «النظرة الدامعة»[١] مطبوعة ومنشورة، فاطلبها تجدها مشحونة بالفوائد العلميّة.

هؤلاء من يشار إليهم بالأكف من علماء الكاظميّة.

وأمّا علماء النجف، فمناشيرهم المطبوعة عند «صولة البصري»[٢] التي ملأت الأصقاع، مصرّحة بالجواز، بل الرجحان لجميع الأعمال، وقد طبعت ونشرت، ولعلّك إقتنيت منها نسخة، فتغامضت عن لفظها، وتصاممت عن وعظها، وهاك أسماءهم، ولا نطيل بذكر منشوراتهم، فإنّها طُبعت منضّمةإلى كلمة الفاضل الحچامي[٣] في هذا المشروع، وفتوى العراقي واليزدي منفصّلة عنها:

حجة الإسلام ميرزا حسين النائيني، الأغا ضياء العراقي، الشيخ جواد البلاغي، السيّد محمّد الفيروزآبادي، الحاج شيخ عبد الله المامقاني، الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، الشيخ مرتضى آل كاشف الغطاء، الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، الشيخ عبد الكريم اليزدي نزيل قم، وسائر علماء الآفاق إيرانيّين ونجفيّين، سوى الرسائل المؤلّفة في رحجان هذه الأعمال.

---

(١) طُبعت ضمن هذه المجموعة ٢: ٢٤٧.

(٢) رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨ هـ)، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ١٦٥.

(٣) رسالة «كلمة حول التذكار الحسينيّ» للشيخ محمّد جواد الحچامي (ت ١٣٧٦ هـ)، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ٢٨٥.

وإن وجد من يحتاط من أُمور شائنة، كالتسابّ والتشاتم والتضارب الخفيف، الذي يقع أحياناً بين أهل المواكب، عند الإزدحام في الطرقات، فهذه الأُمور ينبغي تنزيه الأعمال الحسينيّة منها، لكنّها لا توجب قدحاً في نفس الأعمال، كما لا يوجب صدور أمثال ذلك في مواقف الحجّ انتقاصاً في الحجّ، كذلك هذه.

ولكن ينبغي لمن كان قصده الإصلاح الدينيّ، ووسم نفسه بالمصلح، أن يتجرّد أولاً عن كلّ غرض شخصي، ويتعرّى عن كلّ علاقة حنقيّة، ويقدّم نفسه أمام تلك المشاعر، فيهذبها بالتهذيب الأخلاقي، ليتقدّم بعلمها، وتفوق بصفتها الأخلاقيّة تقدماً باهراً، فيجد بذلك المتصدّي، ويستحقّ إطلاق اسم المصلح عليه، ويستاهل أن يلقّب بالمبشّر المذهبي.

لا من يقول بملء فيه، وصميم قلبه، لا متحرّجاً ولا متوقّفاً: «أمّا ما يقال من إباحة جرح الرؤوس وضرب الطبول ودقّ الطاس».

إلى قوله: «بحجّة أنّ فيها إقامة الشعائر المحزنة الثابتة، ففيه: إنّ إقامة شعائر الحزن».

إلى قوله: «فهذه المذكورات كلّها أو جلّها ممّا ثبت تحريمها في نفسها» .

إلى قوله: «فهل يحلّ شرب الخمر والغناء والكذب والسرقة»[1].

وكأنّه لم يفرّق بين حرمة الشيء لذاته، وحرمته لوصفه. والفرق بينهما واضح، فإنّ الرحمة الذاتيّة لا تتبدّل؛ لأنّ ما بالذات لا يزول ولا يتغيّر، كحرمة

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٤.

أكل لحم الخنزير، فإنّها لا تباح بوجه من الوجوه. وحرمة المسكر لا الخمر، فإنّها تحرم بوصف الإسكار.

أمّا الحرمة الوصفيّة، فإنّها تتبدّل بتبدّل الوصف العنواني، فإنّ القتل مثلاً، الذي هو إزهاق النفس، إن وقع بوصف الظلم والعدوان فمحرّم، وإن وقع بوصف الدفاع عن النفس أو العرض كان راجحاً.

ولو كانت الحرمة على ذات الفعل، لما زالت إلّا بزوال الذات، وهذا المعنى هو المعبّر عنه بالعنوان الأوّلي.

وأمّا العنوان الوصفي، الذي يعبّر عنه بالعنوان الثانوي، فغالباً هو الذي يكون معروض الأحكام التكليفيّة. أمّا الأسباب الاعدادية الآلات فلا تتعلّق بها الحرمة، لا بذاتها ولا بوصفها، ولكن يطرأ عليها الوجوب والحرمة لسبب مقارن، أو كانت مقدّمة لواجب أو حرام، كبيع السلاح من أعداء الدين وأنصار الدين، فإنّ الحرمة والوجوب على نفس البيع والشراء، وهما غير السلاح، فهو ليس بمحرّم، بل بيعه وبيع الخشب والعنب ممّن يصنعهما ضمناً وخمراً، فبيعها حرام للسبب المقارن له، وهو الإعانة على الإثم، لكن بشرط القصد إلى هذا السبب.

أمّا إذا باع لا بهذا القصد، وإن باعه ممن يعمل الصنم، وإن ترتّب عليه الفعل فيما بعد، فلا حرمة قطعاً بالإجماع.

الدمام والطاس، فإن فرض ـ تنزّلاً مع الخصم كيفما أراد ـ أنّه مقدّمة للّهو فيحرم، وإلّا فيباح للإعلام.

فإنّ المقدّمة تابعة لذيها، فإن كان واجباً فتجب، وإن كان محرّماً فتحرم، لا لذاتها، بل لغيرها، وإن كان مستحباً فمستحبة وإن ترتّب عليه الأمر

الغير المقصود، نظير الخشب، فإنّه إذا باعه ممّن لا يعمله صنماً، أو باعه لا لئن يعمل صنماً، ووضعه من اشتراه تختاً وعبده، فهل يحرم النوم عليه مطلقاً، حتى لو اشتراه من لا يعبده؟ لا سبيل إلى التفوّه به.

فالدمام، لو سلّمنا أنّه الطبل، وأنّه صنع لأجل اللهو، وإن كان خلاف الوجدان؛ لأنّ مَن يصنع للطرب ليس بهذا الشكل، الذي يوجب إنفطار الدماغ سماعه.

هب أنّك تحسبه أحد ملاهي السودان، لكن إذا اشتراه من لا يضرب له لهواً، بل لقصد آخر، فيقال: حرام؛ لأنّه آلة لهو؟!

وسخافة أبي نؤاس المنسوبه إليه لا تقبل هذا، فإنّه قيل: رآه الرشيد يحمل زجاجة فارغة، فدعاه وقال له: وجب عليك الجلد.

قال: ولماذا؟

قال: لأنّك تشرب الخمر.

فقال: من أين لك هذا؟

قال: لهذه الزجاجة.

قال: أصلحك الله، إنّها فارغة.

فقال: نعم، ولكنّها آلة الخمر.

فقال: وارجمني أيضاً.

فقال: لماذا؟

قال: لأنّي أحمل آلة الزنا، وهو ... .

وتنظيره للمحرّم الذاتي بالكذب والسرقة والغناء وشرب الخمر، من قلّة الإحاطة.

أمّا الكذب، فالمحرّم منه ما كان بعنوان المفسدة، والجائز ما كان بعنوان المصلحة. بلى المفسدة محرّمة ذاتاً، لا ذات الكذب: الذي هو عدم المطابقة للواقع، وإلّا لزم حرمة التورية، وهو باطل قطعاً.

أمّا الخمر، فعلى مذاقه يجب شربها، إذا كان مقدّمة لحفظ النفس؛ لأنّ حفظ النفس عنده عزيمة، حسبما مرّ، وإمّا واجب فتجب مقدمته، وإمّا أهمّ، والأهم متعيّن الأخذ به، إذا كان حفظاً للنفس، ويجب تقليد الطبيب الحاذق.

وعلى جميع هذه التقادير، يجب عنده شرب الخمر، لهذه العناوين، وكون المحرّم واجب تدافع ظاهر.

أمّا السرقة، فالمحرّم منها ما كان عدواناً وظلماً، لا مطلق أخذ مال الغير، وإلّا لزم حرمة السرقة من المحارب في دار الحرب، وفساده ظاهر.

أمّا الغناء، فقد عرفت أنّ المحرّم منه ما كان لهواً أو قول زور، أحد العناوين السالفة، وعلى كلّ حال لا يستقيم كلامه.

وهذا التوجيه منّا؛ لئلا يقال: عالم شيعي يتكلّم عن غير قاعدة، ويورد من غير فائدة. وإلّا فالحرمة من أعمال الشبيه أبعد ممّا بين الثريا والثرى، فأعمال الشبيه إن لم تكن راجحة، فلا أقلّ من الإباحة.

فالحرمة في الطبل، أو الدمام، والصنج أو الطاس، إنّما تعلّقت بهما بعنوان اللهويّة والمطربيّة، والرحجان أو الإباحة إنّما هو بعنوان الإعلام والإشعار.

هذا ونظرك في قوله ص٢٩ يريك العجب العجاب، حيث أفصح مترنّماً: «إنّ التمثيل المسمّى بالشبيه ممّا نقول بحسنه ورجحانه، وبأنّه أعظم أسباب إقامة شعائر الحزن، لكن بشرط أن لا يشتمل على محرّم آخر، ولا شيء ينافي

الآداب والشنعة من الأشياء المارّ ذكرها، أو غيرها فـ ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ**﴾[١] **ولا يطاع الله من حيث يعصى**»[٢][٣].

انظر هذا التهافت القولي، لتعرف كيف يكون فضول الكلام؟!

تنسّم شذا هبوب هذه النسمات، واستنشق عطر طيب هذه النفحات، فقد جاءتك تحمل ذكي الاعتقاد الصحيح، وتقطر ندى العقيدة الصريح.

لا آخال السامع ـ ولو كان في الغباوة والبلادة في أقصاها غاية، وأبعدها شوطاً ـ تخفى عليه هذه المنّة، فلا يذكرها ويشكرها، ولا يرى أثراً لهذه النعمة، فينكرها ويكفرها، فإنّه قائل بالرجحان. وليت لامست تلك السانحة المقاليّة، ولاعنت لعين الناظر المفكّر هاتيك المتسرّبات الخالية.

ناشد حلمك أيّها الحليم، وذاكر مفكّرتك أيّها الحرّ الأديم، وراجع شعورك أيّها الشهم الكريم، وقل: لو قال أحد: أوجبت عليك الصلاة، التي هي محدودة بهيئتها الاجتماعيّة، ومعلومة أنّها مجموع أفعال وأقوال.

ولو قال: حرّمت عليك التكبير، والقراءة، والركوع والسجود و و و ما الذي هو الواجب؟! وليست الطفرة الفلسفية بأعجب وأغرب من هذه الطفرة اللقلقيّة.

فليسـت الثكلـى كمـا تـدّعي ثكلـى ومـن تـزعم مسـتأجرة

---

(١) المائدة (٥): ٢٧.

(٢) في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مرويّ عنهم عليهم السلام، وفي الجواهر ٢٢: ٤٦، والقواعد الفقهيّة ١: ٢٦٠ إنّه قول وليس حديثاً.

(٣) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٩٤.

قــد عــادت الثكلــى علــى زعمهــا لمثكليهـــــا حجـــــر المعثـــــرة

هـــذا ومـــا كـــان لهـــا قـــدرة فكيــف لــو تمــت لهــا السـيطرة

مــدت لأهــل الطعــن مــن لومهــا جســراً ومــا كــان لهــم قنطــرة

[المحرّمات الموجودة في رسالة التنزيه]

وليكن هذا آخر ما نريد إجالة النظر فيه من كلماته، وإليك الإشارة إلى ما اشتملت عليه رسالة «التنزيه» من المحرّمات، وهو أُمور:

الأوّل: العُجب، كقوله في تقريظ أحد كتبه بقوله: «لم يصنّف مثله»[١]، وقوله «لم يسبقنا إليه أحد»[٢].

الثاني: الغضب للحميّة الشخصيّة، لا الدينيّة، وذلك في قوله: «وأيم الله، لو لم يوجّه إلينا لسباته ولسعاته»[٣]، وفي قوله: «من أغضب ولم يغضب فهو حمار»[٤].

الثالث الرياء: في قوله: «أقمنا مجلساً»[٥] غرضه من تأليف هذه الرسالة إشهار ذلك المجلس.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٠.

(٢) المصدر السابق ٥: ١٩.

(٣) المصدر السابق ٥: ٥٤.

(٤) المصدر السابق ٥: ٥٤.

(٥) المصدر السابق ٥: ٩٦.

الرابع: البهتان على الشعية، في أنّهم يركبون النساء حواسر، مكشّفات الوجوه[١].

الخامس: الكذب في قوله: «إنّ هذه الأحاديث لم توجد في كتاب»[٢]، مع كونها موجودة.

السادس: الحسد والمنافسة لفضلاء عصره، من أن يكون لهم صوت، أو يشهر لهم صمت.

السابع: اتّباع الهوى، فإنّه تبع هوى نفسه، إلى أن ركب متن صعبة.

الثامن: حبّ إشاعة الفحشاء في المؤمنين، وإلصاق العار بهم، من أنّهم يشبّهون الفواحش بالفاطميات[٣].

التاسع: التكبّر، فإنّه يرى أن لا يكون أحد في العالم ينتقد على قوله.

العاشر: الحقد، فإنّه رمى معاصره بكلّ غثّ وسمين، حتى باللحن في العربيّة[٤].

الحادي عشر: الظلم، فإنّه وصف قرّاء التعزية بكلّ قبيح[٥]، وهذا ظلم لهم كما هو معلوم.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٦.

(٢) المصدر السابق ٥: ٥٣.

(٣) المصدر السابق ٥: ٩٧.

(٤) المصدر السابق ٥: ٣٢.

(٥) المصدر السابق ٥: ٢٩.

الثاني عشر: المجادلة بغير الحقّ، فإنّ كثيراً من المطالب مسلّمة بين المسلمين، كالصياح والحجامة، وما شاكلها.

الثالث عشر: إنكار ضروريّ من ضروريات المذهب، وهو عدم صدور الخطأ من المعصوم، وهو قائل بصدوره، وكثيراً ممّا يجده المتأمل بإجالة النظر فيها، فهي أولى بالتنزيه من الشبيه.

يا أيّها الرّجلُ المعلّمُ غيره ... هلّا لنفسك كانَ ذا التّعليم
تصف الدّواء لذي السّقام وذي الضّنا ... كيما يصحّ به وأنت سقيم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم[1]

(١) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، انظر ديوانه: ١٦٨ .

[الردّ على مقالة أحد البصريين]

وبعد الفراغ من تسويد هذه الرسالة، عثرنا على مقالة لرجل بصريّ، يعترض فيها المعترضين، وينتصر فيها لصولة البصري الحمقاء، ولتنزيه الشامي الشنعاء، وليست هي من قوسه؛ لأنّه بلا وتر.

وكيف كان، لا هو في العير، ولا في النفير.

فرعف القلم عند مطالعة «العرفان» الناشر لتلك المقالة ص٤٨٨ ج٤ مج١٧، فصرّح المقول مفصحاً بالبيان قائلاً: نشكر هتاف الصحف بتلك الصوادح الرنّانة، وبشهامة هذين المصلحين الكبيرين اللذين سلّا على الأُمّة سيف الفتنة، وفصما عرى الجامعة الإخائية بين المسلمين، في رسالتيهما الطاحنتين للديانة، والمحطّمتين للإسلام.

وحبذا تلك الزعامة الصحفيّة لهما، حتّى جعلهما المصلحين والزعيمين في فراسية النبز، وفروسيّة القذع على عقائد الشيعة، والقذف لمعتقدات الإماميّة، التي تلقّوها منذ فادحة الطفّ العظمى، وتأسيس الشبيه في عصر

آل بوية، ينتجه ذلك الانتقاد فضيلتهما التي نوّه البصريّ الذي نشر مقالته «العرفان» معترفاً لهما بالقيادة والزعامة، معتقداً لهما بالفضيلة الاشتراكيّة المدنيّة المحضة.

وأنّ وحشيّة إفريقيا، وهمجيّة السودان لغيرهما، ولهما مدنيّة اُروپا وأمريكا، فهما اروپاويان نقداً فكرياً، وأمريكيّان شعوراً فطريّاً.

وأنّه خاضع مع هذا لوحي رسالتيهما، الذي لم يكن نزل في أوّل الشريعة، ولا في ابتداء الإسلام ذاك الوقت، الذي لم تختلط فيه اُروپا بآسيا، فأصابتهما الحقيقة ضدّ خطأ الشيعة علقة لارتباط الأُروبي بالآسيويّ، لذاك تراه مخطئً للشيعة، خطأ مطلقاً.

على أنّ هذا البصريّ المفكّر أنّه ترجمان فكرة المصلحين المتنوّرة، فما تبجّح به من ثاقب فكرته، رأى أنّه قد طبق المعضل، بما أصاب من حقيقة المصلحة الحكميّة الاجتماعيّة، والفلسفة الأخلاقيّة، التي هي أحد أسباب نجاح الدين المستقبل، الذي تفطّن له المصلحان.

يزعم أنّه يرى ويريان الإصلاح، بخلع التقاليد القديمة الدينيّة السائدة في العصور، التي لم تستضيئ بأنوار المدنيّة الاروپاوية، فاتباع التقاليد الغربيّة الحديثة ضربة لازم، فاه مصرّحاً: «إنّ تلك المآتم العزائيّة تعتبر مدرسة دينيّة سيارة».

نطق الحقّ على لسانه، وإن خالفه اعتقاده، ولم يتكبّد تلك المجاشم، ويتقحّم تلك العقبات الكؤد، وبعزمه الوصول إلى الحقيقة ولو بنفوذ شعاع فكرته اللامع، يشفّ وراء تلك الكثافة التقليديّة، فتظهر بأجلى مظاهر الثقافة

الشفافة على نهج التخلية عنها، فتصبح حرّة الأديم، صقيلة المنظرة، خالصة مرآتها الصقيلة من الصدأ عن أيّ غبار يعوق نفوذ شفاعتها، ويعاوق إنعكاس أشعّتها.

فبينا هو كذلك يقطر شجاعة وحماسة، ويتحمّس بسالة على متّبعي التقاليد، إذ سقط عاثراً بحجر التقليد مرّتين، الذي هو معثرة في طريق المفكّرين: مرّة بتقليد الغرب، وأُخرى بتقليد الرسالتين «الصولة» و«التنزيه».

ومن كثب يرمي الحائدين عن تقليدهما بالخراطيش والبنادق الصفر الرنانة، ويقذف بمهارة قنابل ملامته أمام المستقيلين من زعامتهما التقليديّة.

ولمَ لا تكون تلك الإصلاحيّة المدعاة، هي أُسّ التلوّن الحربائي، كما رعف به قلم المسيطر المملي الممتلئ شحناء وغضباً وحشياً.

لها الذنب لا تجزى به، ولي العذر أيّها الحرّ المفكّر، والشاعر الثاقب الفكر، النافذ البصيرة.

قل لي بربّك، وتكلّم بملئ فيك: متى كانت الديانة والدين يقلّد الغرب والغربي؟! وما بعث النبي ﷺ إلّا على ضدّ ما يدين به الغرب، ويعتقده الغربي من الوثنيّة الإفريقيّة والثالوثيّة الاربيّة.

ما بالك تنتقد بتشبيه الرجال بالنساء؟! وهل هو إلّا عباءة امرأة لبسها رجل موقتاً؟

فأنت أيّها الآنف من هذه الصفة، تتشبّه بعطرياتهنّ من الأدهان، واستعمال البوطرة، والأصباغ المحمّرة. لا أخالك تجدها إلّا مكرمة أخلاقيّة، واحساساً تهذيبيّاً.

دعنا فنفسك وذوقها، اُنظر أمامك الأُمم المتمدّنة، غربيّة وشرقيّة، وتمثيلها الروايات بما لا أصفه لك، حيث إنّك تدري، لا أعتقد أنّك لم تحضر رواية تمثيليّة، ولا قيصر في حروبه.

هب أنّك لم تنصف، وكلّ ما يخطر بالبال يقال، ولو راجعت وجدانك ـ إن كنت صاحب وجدان ـ ووازنت بين هذه الأعمال التي نعيتها، ونعاها سالفاك، وشريكاك قبلك على الشيعة، وعدّدتها من همجيّة إفريقيا، من دون علم وإحاطة بالحقيقة مع الأعمال العقلائيّة، لوجدتها إحدى النتائج المدنيّة، التي جرى عليها المدنيّون وأرباب الرقي والعمران، من التمثيل الروايتي.

ألحظ المذاهب الأُخرى، الفرق الإسلاميّة، ممثلو لهودج المحمل، المزفوف عروساً إلى البيت الحرام بالموسيقى والطبول، تحفّه المدافع والجنود المدرّبة، وتماثيل الديانة النصرانيّة لا ألوك خبراً بها، فالجاحد لأمثال هذه الوقائع، يرد إلى وحش إفريقيا المتوغل في الصحراء الكبرى والواحات الواغلة، لا إحاطة له بالأوضاع، ولا إلمام له بمشاهدة الأفعال الحسيّة، يتقلب في واحاتها، ويتفيأ بظلال نباتاتها.

بيد أنّك لم تقلّد العقل، حيث تعريت من تقليد الشرع، ولو فعلت لأصبحتَ أحد المشاهير الباحثين عن الحقيقة.

فمركزيّة الاجتماع في المحاشد العموميّة، والمنتديات والمحافل، التي تضمّ الرجال والنساء، وكشف العضد والسواعد والصدور؟ أم كشف صدور الرجال في العزاء الحسيني؟ أي هذين تعدّه من وحشية إفريقيا؟!

وكأنّك لم تشهد الملاعب اليدويّة الرياضيّة، ومواقع الغطاس في المياه.

يكشف لطالب الحقيقة، أنّ أعمال الشيعة إن كانت همجيّة، فأعمال جميع العقلاء وعموم اُولئك الراقين، همجيّة ووحشيّة، وبكلا الأمرين يسقط النقاد عن الشيعة.

وإلّا فالتخطئة لهم من حماقة الرأي، وخطل الفكر، ولجاجة العدوّ الألدّ والخصم الشانئ.

وفي الحقيقة، الأعمال الشيعيّة في المواكب الحسينيّة، تلحظ ما تلحظه العقلاء في أعمالها، من النكات الدقيقة الحكميّة، والفلسفية الاجتماعيّة الأخلاقية، كما تلحظها الاُمم المتمدّنة الحرة في الاجتماعات في المنتديات والمحاشد.

فليس الصلف والوقاحة إلّا ما أوعزت إليه هذه الكلمة المشنوئة الشنعاء، التي لا مصحر لها في الحقيقة إلّا الويل والخبال، ولا مظهر لها في الفاكرة الحرّة إلّا التزويق في المقال.

أيّها المخادع عقله، والمكذّب وجدانه، ما بالك ـ حيث نزّلت نفسك منزلة المصلح، والحاكم المفلح، في الحكومة ورفع الخصومة بين المتشاجرين ـ لم تصرّح بالحقّ الواضح لديك، ولم تفصح بكلمة العدل لك أو عليك؟ وكيف ظهر من فلتات لسانك؟!

وإن كنت تتلهف غيظاً وحنقاً على تكبّد الهموم القاضية على النفس، أن فاتك الغلب، وأنّك لم تستطع أن تقضي على حياة الإماميّة، ولو بأن تدسّ نفسك في صفّهم، وتنزوي إلى جنتهم، وتنضوي في تلك الأحياز.

فأخذت تسرد المقالات العريضة ـ وقد قيل مثلاً: ذهبت فيها عريضة ـ ملصقاً بهم المخازي والمعايب، بما تسبّب لك ولنظرائك من حركة المصلحين الإصلاحيّة ذات الأهمية الكبرى في ممالك الديانة، البادي أظلم.

أنا ونوابغ المفكّرين، نلمح خلال فقراتك الممتلئة سماً وذعافاً ممقرا، الكلمات العقربيّة، ما أنسانا أنّك خصوم ألدّ.

لست من المحنّكين خبرة، ولا من المطلّعين على أسرار الحقيقة وخفايا الأفكار، بل الظليع المتطنّع تخبط عشواً.

وحيث وقفت أمام مصادمة الأفكار، في ميدان معركة الآراء، وانحزت ـ مع الخور والفشل ـ إلى أحد الفريقين، محامياً ومناضلاً، تريهم أنّك الذابّ عن تلك الحقيقة، والمجاهد عن شرف تلك الطريقة، فأخذت تقذف بنادق تسجيلاتك المرنّة، وتدوّي مدافع تهويلاتك الرنانة، عليهم أم لهم.

فهم وإن لم يتكبّدوا خسارة دنيويّة فيما صمموا عليه، لم يخسروا ديناً، وإن زعم الزاعم، وليقصع على خيشومة الحمم، بما استجلاه من الحقائق النيرة، وتلقّوه بعين صافية من أساطين الحكمة، وفلاسفة العالم، وعمد الديانة، وركن الإسلام، الذين كلّ فرد منهم حسنة من حسناة الدهر.

فلا أنت ولا غيرك، وإن وقفوا حجر عثرة في طريق تلك المساعي الحميدة، يتمكّن من دفاعهم، أو يرجع بهم القهقرى، أو يردّهم في عمىً، بعد الاستنارة والوضوح وسطوع البرهان. سوى أنّهم يتلهّفون فيتأسّفون على الحزب الذي انزويت إليه وانضويت، تسدد سهام اللائمة، وتأتي بالحاطمة والقاصمة، لا تبالي من أُصيب أشاري أم شامي؟

فأنت حيث كنت في حيّز الخمول، وأحد الأسرار المخفية، أصبحت شاهراً سمّك، وسيف نقمتك، وسوطك، آناً واحداً، مبتعداً في الغاية الذبذبيّة والمضمار السفسفي شوطك ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ**﴾[1].

فأصبحت الضدّ المعاند لأساسيات الدين القويمة، والندّ المندّد لسياسات الشرع القديمة، ناقماً على الشرع والمتشرّعين، تُلبس الحقّ بالباطل، وتضمر الصرامة بصورة الحنان والرأفة، مرجّحاً للخلاعة بزعم الوحشيّة والهمجيّة على عقائد الإسلام المتقنة المتينة، الموضوعة على القواعد المحكمة الرضية.

لا أخال أنّك يخفى عليك، أنّ موقفك هذا أمام معتقدات الإسلام، فضلاً عن الشيعة، فإنّ أفعال الحجّ، الذي قام على إمتثاله وأحد الدعائم والأعمدة القويّة للدين، توجّهت إليه الملامة من كلّ غربي:

بأنّ الرجل الشريف ذو البزّة والوقار، يتجرّد من أثوابه، مرتدياً كفناً، يركض حاسر الرأس، بلا عمامة ورداء، يلتقط الحصيات، يدورحول بناء رفعته أيدي البنّائين، كما هو محسوس.

ولكن عقد المعتقد أن ستسرى على هذه ، ولا تقف أنت وسالفاك عند حدّ ولا غاية، فجميع الإسلاميّين ـ فضلاً عن الشيعة ـ عليم بتلك النيّات، ولا أزعم أنّك لم تنهضك الحميّة، ولا مودّة المصلحين، بل «ما وراؤك

---

(١) الإنسان (٧٦): ١ .

يا عصام»[1]، وإن بلغ السيل الزبى، سيزول الشكّ، ويرتفع الارتياب، وتنقشع تلك الغياهب، وتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

ولا يستبعد الحرّ المفكّر عند مصادمة الحقائق، أن سيرى خذلانك لهما، ونكولك عنهما، ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾[2].

فما استوعبته هذه القارورة الفارغة، والمستغرقة أكثر من أربع صفحات، كلّها شذاذ، فارغة من المعاني، وتلك الشواذ المنفّرة إن خيل لها معنى، فأجوبته سطّرت في رسالتنا هذه.

وبتبجّحه في شططه عن الاعتدال، وافتخاره بأنّه شكر الحقيقة، حيث إنّ القرّاء اسمهم «الملالي»، فقال هذه اللفظة، ساطراً لنا على وجنة «العرفان» الأغر، متبعداً في شوطه التهكّمي، وجاعلاً هذه اللفظة وسيلة لكذب القرّاء الملالي، كما يزعمه ، مصيب الحقيقة الذي نهض للدفاع.

---

(١) مثل معروف ومشهور، قال المفضّل: «أوّل من قال ذلك، الحرت بن عمرو، ملك كندة، وذلك أنّه لمّا بلغه جمال ابنة عوف بن ملحم الشيباني، وكمالها وقوّة عقلها، دعا امرأة من كندة، يقال لها: عصام، ذات عقل ولسان وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتّى تعلمي لي علم ابنة عوف».

ثمّ ذكر ذهابها ورؤيتها لهذه البنت، ثمّ لما رجعت قال لها الحرث بن عوف: «ما وراؤك يا عصام»؟ فوصفت له البنت، فأرسل لأبيها وتزوّجها.

انظر: مجمع الأمثال: ٩٨ .

(٢) الأنفال (٨): ٤٨ .

ونحن نهنئ هذا النبيه على سخريّته النبيلة باقتناء هذه ، فإنّي لا أستبعد أنّه تحمّل المشاقّ، وتكبّد المصاعب، في استخراج تلك اللفظة، التي عجز عن استخراجها الجهابذة، ولم يوفّق للظفر بها الأساتذة، والنجاح والسعادة موفقية وحظ ينال بعض الأشخاص دون بعض، أمّا تشنيعه على الناهضين حميّة دينيّة، وحماسة مذهبيّة، في ردّ إنكار المنكر للحقّ والمباهت، ورماهم بالأصفر الرنّان.

ولعمري، لو لم تقرع كفّه الخاطئة تلك الصفر الرنّانة، ورنّت في مسمعه، فأدهشته وأذهلته، فقال ما قال، وقد قيل: خذ اللصّ قبل أن يأخذك.

ولا يحسب أنّ الشيعة كالذي يقال: «دخّن عليه» فطار تهويلاته وأسجاعه، ولا غيره ممّن قذف الشيعة كالبصري والشاميّ، ولا إشاعة بعض الصحف والمجلّات، أقوالاً عديدة، ومقالات غير سديدة، لفئام مجاهيل، وسموا أنفسهم بالتشيّع البريء من أعمالهم. بلى هم شيعة الأهواء والآراء، وبسبب التهافت على البيضاء والصفراء سوّدوا صحائف حياتهم، برمي الشيعة بهمجيّة إفريقية طوراً، ووحشية السودان أُخرى.

وليست هذه التشنيعات، بأعظم من التشنيع عليهم بالأكاذيب الملصقة بهم، شنار الكفر والزندقة والإلحاد ونسبة الإفتراء.

ومع هذه كلّها، ترى كلمتهم تعلو، ودرجتهم ترفع، والمواكب الشيعيّة والشعائر الحسينيّة تتقدّم كلّ يوم تقدماً مدهشاً، يقضي بحسرة مستقبلها. وما ذاك إلّا لعناية ربانيّة، وحراسة إلهيّة، تحفظها من الأغيار، وتردّ عنها عاديات الإنكار.

[أقوال المستشرقين عن الثورة الحسينيّة]

ورجال الشيعة لا يفتخرون بضخامة الألقاب، ولا يستكثرون بالمصنّفين، الذين لم ينهجوا طريقتهم، ولا يثقون بأهل التفريط، كما لا يعتنون بأهل الإفراط ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[1].

حسبي أن أكفّ وأعفّ ثمّ أقول: ما يعنيني.

وحيث كانت الطاحنة الملاميّة، توجّهت إلى أعمال الشيعة، بزعم إنكار الأُروپاويين، سأتحفك بما قال بعض فلاسفة الغرب في النهضة الحسينيّة، وشعائر الشيعة، وما فيها من الحكمة والفلسفة.

وأنّ أعداء الحسين عليه السلام تفطّنوا لتلك الدقائق الحكميّة، وخافوا من مستقبلها، فأخذوا يرمونها بكلّ معيب شائن، لينقصوها، فتسقط أمام طلبهم، فالتقف تلك المصادرات بعض المغفّلين فأخذ يزبر شدقة ويبرق ويرعد ويقول: أنا المحامي عن الديانة، والمصلح والمبشّر.

---

(١) البقرة (٢): ١٤٣.

وسأوقفك على بعض نكاتها الفلسفيّة وإن كانت ظاهرة غير خفيّة، ونحن ننقلها كما وجدناها في كتاب «ذخيرة الدارين» للسيّد عبد المجيد الحائري، فإنّه ثقة ثبت مأمون في النقل، والكتب التي اعتمد النقل منها كلّها معتبرة موثوق بها.

[كلام المستشرق الألماني مسيوماربين]

قال السيّد المرحوم المشار إليه في كتابه المذكور ص٨٣ ما نصّه:

«لمّا انجرّ بنا البحث إلى هنا، لاغرو أن نذكر ما ذكره بعض المسيحيّين الألمانيين المسمّى بـ «ميسوماربين»، وهو فيلسوف معروف، وحكيم مشهور، وأعلم الإفرنج بالسياسة الإسلاميّة، ومن المؤرّخين الكبار.

وذكر في هذه الرسالة المذكورة المبتنية على الفلسفة الإسلامية، فصلاً موسوماً بعنوان «الإنقلاب الكبير»، أحببت إيرادها في هذا الكتاب المبارك ـ يعني كتابه ـ لأنّي رأيت فيها من الدقائق والتحقيقات اللطيفة،التي يدلّ أكثرها على تأثير مصيبة الحسين عليه السلام، وقوّة استنباط المؤلّف، فإنّه يتكلّم عن اطلاع كثير، وفكر خطير، فلذا نذكر عبارته، قال في فلسفة مذهب الشيعة:

«الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهو سبط محمّد، ولدته ابنته وحبيبته فاطمة، ويمكن أن يقال: إنّه كان حاوياً لجميع الصفات والأخلاق المستحسنة عند العرب في ذلك الدور.

وقد ورث الشجاعة عن أبيه، وكان أعلم الناس بأحكام دين جدّه، وكان من السخاء الذي هو أحبّ الصفات في درجة الكمال، وكان بمكان من فصاحة البيان وطلاقة اللسان أجمع.

المسلمون متّفقون على حسن عقائدهم بالحسين عليه السلام، حتّى أنّ الطوائف التي كانت تسيئ القول في أبيه وأخيه ـ يعني الخوارج ـ تثني عليه وتمدحه، وكتبهم مشحونة من الملكات الحسنة، وسجاياه المستحسنة.

كان غيوراً، صادقاً، غير غيّاب.

إنّ أغلب فرق المسلمين، لهم بالحسين عقائد عظيمة، لكن الذي نقدر نكتبه في كتابنا ـ بكمال الاطمينان، بلا خوف إعتراض ـ إنّ أتباع علي عليه السلام ـ يعني الشيعة ـ يعتقدون في الحسين عليه السلام أكثر من قائد النصارى في المسيح، كما إنّا نقول: إنّ المسيح تحمّل المشاقّ الكثيرة لأجل العفو عن الذنوب، كذلك يقولون في الحسين، ويرونه في القيامة الشافع المطلق.

إذا أردنا أن نقول في الحسين عليه السلام ما لا سبيل إلى إنكاره، قلنا: إنّه أوّل شخص سياسي في ذلك العصر، ويمكن أن يقال: إنّه ما اختار أحد من أرباب الديانات مثل سياسته المؤثّرة.

وكان أبوه علي عليه السلام حكيم الإسلام، وحكمياته وكلياته لم تقصر عن العالم المعروفين، ومع ذلك لم يظهر منه مثل السياسة الحسينيّة، ولإثباة هذه النكتة ينبغي أن نعطف القول قليلاً في تاريخ العرب قبل الإسلام.

كان بين بني اُميّة وبني هاشم نسب قريب، بمعنى أنّهم بنو عم، فإنّ اُميّة وهاشماً ولدا عبد مناف.

وكانت العدواة بينهم من قبل الإسلام بمكان عظيم، بحيث إنّ كلاً منهم يطلب قتل الآخر.

كانت قريش أعزّ العرب، وكانت السيادة والعزّ في قريش لبني هاشم وبني أُميّة. فبنو أُميّة بالثروة والرياسة، وبنو هاشم بالعلم والروحانيّة، فالرئاسة الروحانيّة هي سدانة الكعبة، وإلى اليوم هي في اختيار بني هاشم، ولا يكون شريف مكّة إلّا منهم.

أخذت العداوة بين بني هاشم وبني أُميّة بالترقّي والإزدياد، حتّى فتح محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مكّة، فأذعنت له قريش وبنو أُميّة، وفي الحقيقة تصرّف في رئاستي العرب الروحانيّة والجسمانيّة. فعظم شأن بني هاشم في العرب، وأطاعتهم بنو أُميّة ظاهراً، وفي الباطن كانت نار الحقد تسعر في صدورهم.

وما زالوا يرصدون من بني هاشم ما يشفي ضغائنم القديمة، حتى قبض محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فوجدوا أوّلاً أن لا تجري خلافة محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على أُصول ولاية العهد، وقرّروها على أُصول أكثريّة الآراء، ومنعت قوّة مخالفة بني أُميّة أن تكون أكثريّة الآراء مع بني هاشم.

وبهذا السبيل نال بنو أُميّة ما طلبوا، وتغلّبوا على الهاشميّين، وبوسيلة تغيير الأمويين وضع الخلافة، حصل لهم المقام الرفيع فمهدوا طريق المستقبل لأنفسهم، وكان محلّهم يتسامى لدى خلفاء محمّد، حتى أصبحوا في أُمور السلطنة ركناً ركيناً.

إلى أن قام الخليفة الثالث من الأُمويين، هو عثمان، فصار لهم الفتق والرتق في كلّ أمر، وفي كلّ مكان، فأحكموا بناء مستقبلهم، وكانوا يظهرون شيئاً من خلوص العقيدة، وصدق النيّة بالنسبة إلى الإسلام. إلّا أنّهم في الباطن،

من حيث عداوتهم القديمة، والأوتار التي يطلبونها من الهاشميين، كانوا يستنكفون من إتباع دين مرسوم باسم بني هاشم.

لكن لكثرة المسلمين في ذلك الزمان، ولأنّ مقاصدهم لا تنال إلّا باتباع الدين لم يجهروا بالمخالفة، بل أظهروا التبعيّة، حتّى رأوا أنفسهم في المقامات العاليّة، وشيّدت لهم مباني العزّ والجلال، تمرّدوا عن الأحكام الإسلاميّة، واستهزأوا في المحشد العام بالذي جاءت به بنو هاشم.

أردأ أفعال يزيد اللعين وأقواله التي ذكرها، يوجب الإطناب.

لمّا رأت بنو هاشم أنّ الأمر قد انتهى إلى هذا المحل، ووقفوا على نيات الأُمويين، لم يغفلوا عنهم، بل أخذوا ينقمون على الخليفة الثالث أفعاله، ويظهرونها للناس بأساليب عجيبة غريبة، فثار المسلمون عليه وخالفوه وقتلوه، واشترك في قتله رؤساء المسلمين.

وعلى نهج أكثريّة الآراء، صار علي عليه السلام خليفة محمّد الرابع، فأيقنت بنو اُميّة أنّ بني هاشم ستحوي السيادة العظيمة، التي كانت لها في زمان محمّد، لذلك معاوية ـ الذي كان من قبل الخلفاءء السابقين أميراً على الشام، وكان رجلاً مقتدراً حازماً بصيراً بالعواقب ـ رفع راية الخلاف، متشبثاً بأنّ علياً هو الذي أشار بقتل عثمان، وألقى الخلاف بين المسلمين، وجرّد السيف بين العرب على المنوال الذي كان قبل الإسلام.

في هذه الحروب العديدة، وإن لم تكن الغلبة لمعاوية على علي عليه السلام، فإنّه لم يصر مغلوباً أيضاً، ولم يطل التواء الأُمويين عن رئاسة الهاشميين، حتّى

قتلوا عليّاً عليه السلام فتمّ الغلب لمعاوية بمصالحة الحسن عليه السلام أخ الحسين الأكبر سناً، الذي هو خليفة محمّد الخامس.

استقرّت الخلافة في الأُمويين، وكلّما ازداد معاوية اقتداراً، سعى ودبّر في اضمحلال بني هاشم، لا يفتر لحظة عن محوهم الأبدي.

وكان الحسين عليه السلام ـ مع أنّه تابع لأخيه الحسن عليه السلام ـ لا يرى طاعة بني أُميّة ولا مخالفتهم، كان الحسين عليه السلام يعلن قائلاً: سأقتل في طريق الحقّ، ولا أُعطي بيدي للباطل، وكانت بنو أُميّة تخافه.

ودام الخلاف حتّى قُبض الحسن عليه السلام، ومات معاوية لعنه الله، وجلس يزيد لعنه الله مكانه على أُصول ولاية العهد؛ لأنّ أكثريّة الآراء تركت بعد علي عليه السلام، غير أنّ وليّ العهد يتعيّن برضى من الأكابر، ويبايعه رؤساء القبائل.

رأى الحسين عليه السلام أنّ بني أُميّة، بما تمّ لهم من السلطنة المطلقة، ورئاسة الإسلام الروحانيّة، شارفوا أن يزعزعوا عقائد المسلمين عن دين جدّه.

ومن جهة أُخرى، علم أنّهم بما اشتملوا عليه من العداوة القديمة، لا يرعوون عن محو بني هاشم، أطاعهم أم لم يطعهم. وإذا استمر الأمر على هذا المنوال، لم يبقوا في العالم من بني هاشم اسماً ولا رسماً، فصمّم على أمر يحمل الناس على خلاف بني أُميّة.

فإنّه لمّا جلس يزيد بمكان معاوية، أوجب الحسين على نفسه مخالفته علماً، هذا مع جدّ يزيد لعنه الله في أخذ بيعته، وكذا الحسين لنجاح مقاصده العليّة وطّن نفسه على الموت، عالماً عامداً، أقدم على القتل بكيفية يهيج الإسلام.

وكلّ صاحب وجدان إذا دقّق في أوضاع ذلك الدور، ونفوذ بني اُميّة، ووضع تزعزع الإسلام، واستيلاء الأُمويين على عموم المسلمين، صدّق ـ بلا توقّف ـ أنّ الحسين عليه‌السلام أحيى بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام.

ولولا هذه الواقعة، وما نشأ بسبب الحسين عليه‌السلام من هياج المسلمين، لم يبق الإسلام على وصفه الحالي قطعاً، وبما أنّ ذلك في بدو الإسلام، أوشكت تُمحى رسومه وقوانينه دفعة واحدة.

إنّ الحسين عليه‌السلام ـ بعد أبيه ـ كان مصمّماً على إجراء هذا المقصد العالي، حتّى إذا استقرّ يزيد لعنه الله على سرير معاوية، توجّه إلى المراكز الإسلاميّة المهمة، كمكّة والعراق، ينشر فيها مقاصده الكبيرة، وكلّ أرض وطأها، تولّد فيها بغض المسلمين لبني اُميّة.

ويزيد اللعين فيها لم يغفل عن هذه النكات الدقيقة، علم أنّه متّى حصلت الثورة في جهة من جهات المملكة، ورفع الحسين عليه‌السلام راية الخلاف ـ هذا وقد كره المسلمون حكومة بني اُميّة وسيرتهم، وقلوبهم متوجّة نحو الحسين عليه‌السلام ـ أسرع الانقلاب في عموم الممالك الإسلاميّة، وزالت سلطنة الأُمويين في الأبد. فمن يوم جلوسه على التخت، صمّم على قتل الحسين عليه‌السلام قبل كلّ متّهم.

وهذا أكبر غلط سياسي صدر من الأُمويين، وبهذا الخطأ السياسي الواحد محوا من لوح العالم اسمهم ورسمهم.

أكبر دليل أنّ الحسين عليه السلام إنّما سار لمقتله، ولم تكن له قطّ حاجة في السلطنة والرئاسة، هو أنّ الحسين عليه السلام ـ بما كان لديه من العلم والسياسة، والتجربة التي اكتسبها في عهد أبيه وأخيه في محاربة الأُمويين ـ كان يعلم أنّ مقاومة يزيد لعنه الله غير ممكنة، لعدم استعداده، واستعداد يزيد.

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام بعد أبيه يخبر الناس بقتله، وساعة خروجه من المدينة، كشف الغطاء مصرّحاً قال: «إنّي أمضي لأُقتل» ولأجل إتمام الحجّة على أصحابه، أعلمهم بذلك جميعاً، ليترك صحبته من كان يطمع منه في نيل الجاه والجلال، وكان بلسانه يلهج بأنّي سالك سبيل مقتلي.

ولو لم يكن الحسين عليه السلام على هذا القصد، ولا أراده، لما سلّم نفسه للقتل، عالماً عامداً، بلى سعى جهده في جمع الجيوش، لا أنّه يفرّق من اجتمع حوله، لكنّه لم يكن له قصد سوى القتل، الذي هو مقدمة الهياج المنتج لمقاصده العالية المقدّسة، رأى أكبر الوسائل إليها وحدته وظلامته، فاختار أن تكون مصائبه أعظم تأثيراً في القلوب.

ولا يخفى أنّ الحسين عليه السلام، بالمحبّة التي كانت له في قلوب المسلمين في ذلك الزمان، لو أراد أن يجمع حوله الجيش العظيم، ولو قتل في هذه الحالة لقيل: إنّ قتله في طلب السلطنة، ولم تثبت مظلوميّته المنتجة لتلك الثورة العظمى.

ولهذا لم يترك معه سوى الذين لا يمكن انفكاكهم عنه، كولده، واخوته، وأولاد اخوته، وبني عمّه، وعدّة من خواصه التابعين له أمرهم

بالإنصراف، فلم يقبلوا، وهؤلاء أيضاً كانوا موصوفين عند المسلمين بالتقدّس والجلالة، وقتلهم مع الحسين عليه السلام زاد في عظم الواقعة، وشدة تأثيرها.

على أنّ الحسين عليه السلام، بقوّة علمه وسياسته، لم يأل جهده في إفشاء ظلم بني اُميّة وجورهم، وإظهار نيّاتهم في عداوة بني هاشم وأولاد محمّد صلى الله عليه وآله.

علم الحسين عليه السلام أنّ بني اُميّة؛ لشدّة عداوتهم له، ولأهل بيته، سيأسرون بعد قتله نساء وأطفال بني هاشم الذين هم آل محمّد.

وهذه الواقعة تؤثر جداً فوق ما يتصور في المسلمين، خصوصاً العرب، كما وقع ذلك بأنّ أفعالهم الظالمة، ومعاملاتهم القاسية مع حريم وأطفال نبيّهم، أثّر في قلوب المسلمين تأثيراً لم يكن أقلّ من قتل الحسين وأصحابه، وأظهرت للإسلام عداوة بني اُميّة، وسوء فعلهم مع أهل بين محمّد صلى الله عليه وآله، وأبانت عقائدهم الفاسدة.

ولذا، علانيّة أجاب الحسين عليه السلام أصدقاءه، الممانعين له عن سفر العراق، وقال: إنّي أمضي للقتل. وبما أنّ أفكارهم كانت محدودة، ولم يطّلعوا على مقاصد الحسين عليه السلام الجليلة، ألحّوا عليه بعدم المسير، فكان آخر جواب له: «قد شاء الله ذلك، وجدّي أمرني به»[1].

ولمّا قالوا له: هب أنّك تمضي للقتل، فما وجه حملك النسوة والأطفال؟ أجابهم: «إنّ الله قد شاء أن يراهم سبايا».

---

(١) الملهوف (اللهوف) على قتلى الطفوف: ١٠١.

ولم يمكنهم الردّ على كلماته هذه؛ لأنّ رئاسته الروحانيّة مسلّمة في ذلك الوقت.

كلّ ذلك يدلّ على أنّ الحسين عليه السلام لم يخطر بباله سوى إجراء مقاصده الرفيعة، لم يتحمّل هذه الصدمات لنيل السلطنة.

وأيضاً لم يقدم على هذه المهلكة العظمى من غير علم، كما توهّمه بعض مؤرخينا، بدليل أنّه كان يحدّث الألبّاء، وذوي العقول الشفافة من خواصّه ـ على سبيل التسليم ـ عن مصائبه قبل الوقوع، قائلاً: «إنّ الله سيظهر بعد قتلي جماعة، يميّزون بين الحقّ والباطل، يزورون قبورنا، ويبكون علينا، وينتقمون من أعدائنا آل محمد، اُولئك يؤيّدون دين الله وشريعة جدّي، وأنا اُحبّهم، يحشرون معنا يوم القيامة».

من نظر بدقّة صحيحة في كلمات الحسين عليه السلام وأفعاله، رأى أنّه بسياسته، لم يغفل دقيقة واحدة عن بيان شنائع الاُمويين، وظهور عداوتهم القلبيّة لبني هاشم، وبيان ظلامته.

وهذه السياسة العجيبة، وقوّة القلب، والجود بالنفس، هي التي مهّدت له طريق قصده، فثبت له.

وبآخر لمحة سياسيّة، في شأن طفله الرضيع، حيّر عقول الفلاسفة، فإنّه في ذلك الوقت ـ مع مقاساته الرزايا الجليلة، والأفكار المتراكمة، والعطش والجراحات الكثيرة أيضاً ـ لم يصرف النظر عن مقصده السامي، حمل الطفل على يده، واستسقى له، فأجابوه بالسهام.

علم أنّ بني اُميّة لا يرحمون حتّى الطفل الرضيع في تلك الحالة المدهشة، لكنّه أراد أن يعظم مصيبته، ويعلم جميع الناس شدّة عداوة الأُمويين للهاشميين، لئلّا يتوهّم أحدٌ أنّ يزيد اللعين أقدم على ما أقدم عليه مكرهاً، مدافعاً عن نفسه.

فإنّ قتل الرضيع في تلك الحالة المدهشة، لا يكون إلّا مجرّد التوحّش، والعداوة السبعيّة، المنافية لقواعد جميع الأديان والسير، وهذه النكتة الواحدة انكشف الستر عن قبائح أعمال الأُمويين، وفساد نيّاتهم وعقائدهم، وتظهر لأهل العالم جميعاً ـ خصوصاً المسلمين ـ أنّ بني اُميّة لم يكتفوا بمخالفة أحكام الإسلام فقط، بل سعوا على نهج العصبيّة الجاهليّة أن لا يبقوا لبني هاشم ـ خصوصاً ذرية محمّد صلى الله عليه وآله ـ أحداً.

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام، لوفور علمه وسياسته المسلّمة، إلى أن قُتل، لم يرتكب أمراً يلجئ بني اُميّة إلى مقاومته، فإنّه مع ما كان له يومئذ من نفوذ الكلمة والاقتدار المسلّم، لم يتغلب على بلد من بلاد الإسلام، ولم يحمل على محلّ حكومة يزيد لعنه الله.

نعم، قبل أن يظهر منه خلاف الطاعة، أو يقصد قصد الفتنة، حصروه في فلاة مجديّة.

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام ما قال: إنّي سلطان، وأُريد السلطنة، بل كان يعلن أفعال بني اُميّة الشنيعة، واضمحلال الإسلام من سوء أعمالهم، ويخبر أنّه سيقتل مظلوماً، وأيضاً لما حاصروه بتلك الفلاة، أبان أنّهم لو تركوه أخذ عياله وأطفاله وخرج عن سلطنة يزيد اللعين، أي الممالك الإسلامية.

وهذا الأمر يثبت سلامة نفس الحسين عليه السلام، يؤثّر جدّاً في قلوب المسلمين، ويحملهم على خلاف بين أُميّة.

وقد قتل قبل الحسين عليه السلام كثير من الرؤساء الروحانيّين ظلماً، وحدث الإنقلاب بعد قتلهم، وجرّد أتباعهم السيف على أعدائهم، كما وقع في بني إسرائيل مراراً.

وقصة يحيى، إحدى الوقائع التأريخيّة الكبيرة.

وأفعال اليهود مع حضرة المسيح.

ما علم من التأريخ، أنّ أحداً من الروحانيّين وأرباب الديانات، لأجل إدراك المقاصد العالية المستقبلة، يهب نفسه للقتل، عالماً عامداً، بمعنى أنّ كلّ من قتل من رؤساء الأديان، سطا عليه أعداؤه وقتلوه عنفاً وظلماً، وحصل بعدهم انقلاب ما.

لكن واقعة الحسين عليه السلام كانت عن علم وحكمة وسياسة، فلا نظير لها في تأريخ الدنيا.

إنّ الحسين عليه السلام في سنين متوالية، يهب نفسه للقتل، وكان مطمح نظره إلى مطلب عالٍ، ليس في التأريخ أنّ أحداً غير الحسين عليه السلام، لأجل تشييد دينه، بذل نفسه، عالماً عامداً.

المصائب التي اشتراها الحسين لنفسه في سبيل دين جدّه، لها المزيّة على رؤساء الدين السالفين، إذ لم ترد على أحدٍ من الماضين. وعلى فرض أن يقال: إنّ رجالاً آخرين أيضاً نفذوا حياتهم في سبيل الدين، لم يكونوا مثل الحسين.

إنّ الحسين عليه السلام بذل نفسه العزيزة، وسمح بأولاده الأعزّاء، وباخوته، وأولاد اخوته، وأحبّته، وذوي قرابته جميعاً، ووهب ماله وذهب عياله الأسر.

وهذه المصائب لم تفاجئه دفعة واحدة على حين غفلة، فيكون لها حكم المصيبة الواحدة، بل وردت عليه متتابعة في أزمنة متلاحقة، وهجوم مثل هذه الرزايا المتعاقبة في التأريخ مختصّ بالحسين.

ولعظم مصائب الحسين عليه السلام بمجرّد قتله، وصدور تلك المصائب المثيرة للأحزان، وأسر نسائه وبناته، انكشفت سرائر بني اُميّة دفعة واحدة، وظهرت قبائح أعمالهم، وبانت السياسية الحسينيّة، وتمّت مادة الانقلاب في المسلمين، وانتشر الخلاف على يزيد اللعين وبني اُميّة، وعلموا أنّهم الهادمون للإسلام، وأنكروا محدثاتهم وبدعهم، وسمّوهم الظالمين الغاصبين، وبني هاشم المظلومين المستحقين للرئاسة، وحقيقة الروحانيّة الإسلامية فيهم، كأنّ المسلمين حصلوا على حياة جديدة، وبان للروحانية الإسلاميّة رونق جديد.

رئاسة الإسلام الروحانيّة كانت زائلة، وكأنّ المسلمين نسوها، إلى أن تجدّدت مستنيرة شفافة.

كما سُلّم أنّ مصائب الحسين عليه السلام أعظم من مصائب السلف جميعاً، كذلك الانقلابات التي حصلت بعد وقعة الحسين عليه السلام، كانت لها المزيّة على انقلابات السلف، ومدتها أطول، وآثارها أكثر.

ومن هذا الوجه، أصبحت مظلوميّة آل محمّد علماً في العالم، وأنتج هذا الإنقلاب تجدّد الرئاسة الروحانيّة في عوالم السياسة الكثيرة الأهميّة في بني هاشم، وخصوصاً بني الحسين عليه السلام، أصبحت مسلّمة غرض المؤلّف، الأئمة

الأطهار إلى اليوم يعتبر المسلمون روحانيّة بني هاشم وخصوصاً الذين من نسل الحسين.

وما مضت الأيام حتّى انتزع الملك من ولد معاوية ويزيد سلطانهم، مع تلك السعة والاقتدار، وفي أقلّ من قرن سلبت السلطنة من بني اُميّة قاطبة، واضمحلوا بحيث لم يبق لهم اسم ولا رسم ولا علامة، وإذا ذكر لهم اسم في متون الكتب، قرن به المسلمون كلمة شماتة، وهذه كلها نتائج السياسة الحسينيّة.

يمكن أن يقال: ما ذكر في التأريخ في طبقة أرباب الديانات والروحانيين السالفين، مثل هذا الشخص المراعي العاقبة، البعيد النظر، المستقلّ المزاج.

لم تصل اُسارى الحسين بعد إلى يزيد حتّى رفعت الرايات في طلب ثاره، وانتشر إلهياج في مخالفة يزيد لعنه الله.

إنّ ظلم بني اُميّة للحسين كشف سرائر بني اُميّة، ورفع الستر عن وجه نيّاتهم، حتّى أنّ أهل بيت يزيد وحرمه أطلقوا عليه ألسنة اللوم والشماتة، قبل ذلك كان لا يمكن ذكر عليّ والحسين عليهما السلام بخير عند يزيد وحاشيته، وبعد هذه الوقعة يسمع برغمه في الخلأ والملأ ذكر الحسين وآل علي بالتقديس والتقديم والتعظيم والمظلوميّة.

وكان يعظم عليه سماع ذلك، لكن لا يجد بداً من السكوت، وكان يتبرّأ من هذه الأعمال، وينسبها إلى اُمرائه. ولكثرة ما سمع يزيد بعد تلك الواقعة

محامد الحسين عليه السلام قال يوماً: إنّ سلطنة الحسين كانت عليٍّ أسهل من نسبة هذا التعظيم والتقديس للعلويّين والهاشميّين.

وأخيراً وجد أتباع الحسين عليه السلام فائدة تلك الإنقلابات، وعظم شأن الهاشميين، وقوي أمرهم، ولم يمض إلّا أقلّ من قرن، حتّى استقرّت سلطنة الإسلام الوسيعة في بني هاشم، فقمعوا بني اُميّة، بحيث لم يبق لهم اسم ولا أثر.

إلّا أنّ رجالاً منهم بالتعاقب ملكوا في الأندلس سنيناً عديدة، على أنّه اليوم لا يوجد من تلك السلاطين العظام الذين تملكوا قروناً عديدة، وإن وجد منهم أحد، يكتم حسبه ونسبه؛ لأنّه مطعون.

ولمّا تقلّد السلطنة بنو هاشم، وكانوا بنو عمّ الحسين عليه السلام، اختار بنو الحسين عليه السلام الاعتزال، على أنّ رئاستهم الروحانيّة المطلقة مسلّمة عند الإسلام.

بنو عم الحسين عليه السلام ـ يعني بني العباس ـ لما نالوا السلطنة، ضغطوا بشدة على أهل الانقلاب، وهم شيعة الحسين، حذراً أن ينقلوا سلطنة الإسلام بالتدريج إلى بني الحسين، مع أنّهم لم ينالوا السلطنة إلّا ببركة ذلك الانقلاب، وبواسطة ضغط العباسيين أولاً، واستئصال بني اُميّة ثانياً، رفعت مادة الإنقلاب، وهدأت فورته تدريجاً.

ولما رأى العقلاء من شيعة عليّ والحسين عليهما السلام، سكون تلك الفورة، وشدّة معارضة العباسيّين المقتدرين، وتشتّت أفكار العموم، علموا أن لا طاقة

لهم بمقاومتهم، فسكتوا عن الهياج ظاهراً، وفي الباطن تلّقوه بصورة اُخرى، وهي اجتماعهم وذكر الوقائع والمصائب الواردة على الحسين عليه السلام، فأخذوا في إحياء تجديد تلك الإنقلابات العظيمة.

فعلم العباسيّون بتدبيرهم، وخافوا العاقبة، فشدّوا على الشيعة، بحيث إذا اشتهر أحد منهم بذلك عاقبوه بأعظم ما يعاقبون به أهل الجرائم السياسيّة، حتى قتلوا وصلبوا وحبسوا الألوف منهم.

ومع ذلك الضغط الشديد، لم يتمكّنوا من قلع موادّ الانقلابات، التي دبّرتها شيعة الحسين عليه السلام، وكلّما شدّدوا عليهم زادوهم قوة وشوكة.

فكان عاقبة ذلك التدبير ـ الذي دبّرته شيعة الحسين ـ انقراض دولة العباسيّين ـ مقصود المؤلّف نصير الدين الطوسي ـ على أنّ السلطنة كانت تنتقل في بني الحسين مدّة ـ غرض المؤلّف الخلفاء الفاطميّين ـ وكانت الرئاسة الروحانيّة بعد الحسين في أولاده ـ غرضه الأئمّة ـ.

وهؤلاء جعلوا إقامة عزاء الحسين عليه السلام الجزء الأعظم من المذهب، وهذه النكتة السياسيّة اتّسمت تدريجاً بسمات المذهب، وكلّما نتج ذلك في شيعة علي عليه السلام قوّة، زاد ذكر مصائب الحسين ظهوراً، وكلّما جدّوا في هذا الأمر زاد في ترقيهم وقوّتهم.

ثمّ إنّ رجالهم المتيقّظين ـ بحسب اقتضاء العصر ـ غيّروا وضع مآتم الحسين، وأضافوا عليها أشياء، جعلتها بمثابة لها ظهور عظيم، بكلّ موقع يوجد به المسلمون، وبالتدريج مشى ذلك في سائر الملل، خصوصاً أهل الهند

والصين. وسبب تأثيرها في أهل الهند، أنّهم جعلوا وضع تعازيهم مشابهاً لوضع تعازي اُولئك.

إنّ تعازي الحسين لم يمض على شيوعها في الهند أكثر من قرن، وقد عمّت جميع بلاد الهند، وفي كلّ يوم هي في إزياد.

بعض مؤلّفينا؛ لعدم وقوفه على كميّة وكيفيّة هذا الشعار المترقّي، ساق الكلام بلا إطّلاع، وعدّ أوضاع هذه المآتم الحسينيّة من جنون الشيعة، ولم يدقّقوا في هذه المسألة، كيف غيّرت وبدّلت الشؤون الإسلاميّة، ولا يرى في شعب من الشعوب ما يرى في المآتم، التي يقيمها هؤلاء القوم، من السياسة والحركة والهياج المذهبي.

مَن رأى في الهند ترقيات الشيعة على الذين جعلوا التعازي شعاراً لهم في مدّة مائة سنة، علم أنّهم تتبّعوا أكبر النكات مزيّة. وقبل مائة سنة كانت شيعة الحسين في الهند تعدّ بالأنامل، واليوم هم العدد الثالث فيهم.

وكذلك هم في سائر البلاد، إذا قسناهم بعمل دعاتنا المسيحيّين، مع كثرة ما ينفقون، ويصرفون من القوّة والثروة، رأيناهم لم تبلغ العشر من ترقيات هذه الفرقة.

على أنّ القسّيسين يذكرون مصائب المسيح عليه السلام، ولها التأثير التامّ في الناس، لكن ليس كوضع واُسلوب شيعة الحسين، ولا كترويجهم، ولعلّ السبب: أنّ مصائب المسيح ليس لها درجة تأثير مصائب الحسين في القلوب.

لو تتّبع مؤرّخونا حقيقة شعار هؤلاء الأجانب، لما نسبوها إلى الجنون.

إنّي أرى صيانة القوانين المحمديّة، وترقية المسلمين، ورونق الإسلام بقتل الحسين، وبصدور تلك الوقائع، وبواسطة إقامة مأتم الحسين.

ظهر في هؤلاء لبّ السياسة والحياة، وهي عبارة عن إباء الظلم والجور، وهذه الصفة عند الحكماء السياسيّين أشرف شعار، وأحسن سعادة، وأجمل خطّة ممدوحة في الإنسان، وما دامت لهم ملكة هذا العمل، تعذّر قبولهم الضعة والتبعية.

ينبغي التدقيق ليرى أيّ نكات دقيقة تهب روح الحياة، يتراجعون بها في مجالس تعزية الحسين ؟! وأيّ معان يتعلمونها»؟!

يقول المؤلّف في المآتم التي تنعقد للحسين في اسطانبول: «ومعي[1] ترجمان مخصوص، فرأيتهم يقول بعضهم لبعض: إنّ الحسين عليه السلام، الذي هو إمامنا وهادينا، والذي وجب اتّباعه وطاعته علينا، أبت نفسه أن يكون تابعاً ليزيد، وبذل النفس والمال والأولاد والعيال لأجل حفظ شرفه وحسبه وعظم مقامه، فعوّض عن ذلك الذكر الجميل في الدنيا، والشفاعة في الأُخرى، وقرب منزله من الله، وخسر أعداؤه الدنيا والآخرة.

ثمّ رأيت وعلمت أنّهم في الحقيقة يعلّم بعضهم بعضاً بالعلانية قائلاً: إن كنتم للحسين تابعين، ولكم شرف، وعندكم حسّيات طلب السيادة، ولكم جنبة افتخار، فأنتم أيضاً لا ينبغي لكم أن تختاروا تابعية نوع يزيد، ولا أن

---

(١) كذا في النسخة الخطيّة، التي بخطّ المولّف، والظاهر يوجد هنا سقط عدّة كلمات أو جُمل، ولعلّه: «حضرت أحداها».

تتحمّلوا أعباء الظلم، وحقيق بكم أن ترجّحوا موت العزّ على ذلّ الحياة، كي تنالوا الذكر الجميل والسعادة في الآخرة.

ولا ريب، أنّهم بمثل هذه التعليمات، التي يتداولونها من المهد إلى اللحد، ينالون الملكات العظيمة، والسجايا الرفيعة. نعم يدركون كلّ نوع من السعادة والشرف، يكون كلّ واحد منهم العميد الحقيقي للعزّ القوميّ والافتخار النوعي.

هذه نكتة التمدّن الحقيقيّة في أيام الملك المفتخرة، هذه تعليمات معرفة الحقوق، هذا معنى تعليماتنا الديلومانيّة.

نحن معاشر الأُورپاويين، بمجرّد أن نرى وضع الحركات القوميّة الظاهرة في القواعد المليّة والمذهبيّة، منافياً لأُصولنا، نسبناها إلى الجنون والتوحّش، ونغفل عمّا إذا تتبّعنا مقصودهم رأيناها عقلائيّة سياسيّة.

كما أنّ نتائج قولنا في هذه الفرقة ـ أي الشيعة ـ ظهرت بأحسن وجه.

ينبغي أن يتأمّل في حال سائر الفرق والملل، وإلّا فأهل آسيا لا يرتضون كثيراً من عاداتنا، ويرون أنّ بعض أفعالنا منافياً لآدابهم، ولا يرونها مهذّبة، بل يحسبونها وحشيّة، كرقص النساء مع الرجال في المحافل العموميّة.

إنّ المسلمين، مضافاً إلى ما ذكرناه من المنافع السياسيّة المؤثّرة، طبعاً يرون في هذا العمل ـ تعزية الحسين عليه السلام ـ نيل أرفع الدرجات الأُخرويّة.

كلّ مطّلع في التأريخ، واقف على طباع الآسيويين، يصدّق قولي: إنّ إصلاح الأخلاق والتعليمات السياسيّة في آسيا، لا يمكن اليوم إلى قرنين إلّا

بوسيلة المذهب، وبسبب المذهب تجتنى في آسيا ثمار حبّ الوطن، مثل القرون السابقة في اُروپا.

اليوم لا يمكن استخدام آسيا كاُروپا، باسم الخدمات النوعيّة والوطنيّة، نعم بذريعة المذهب يمكن تحصيل خدمات تعود ثمرتها إلى القوم والوطن.

إنّ نفوس المسلمين ثلاثمائة مليون، وليس المستقلّ منها إلّا خمسة ملايين، فإذا نبذ المسلمون مذهبهم وراء ظهورهم، وراموا الترقيات السياسيّة باسم القوميّة، أي يعدلون عن نهج تلك السياسات، نقصوا من حيث يطلبون الزيادة والنفع؛ لأنّ خمس حصص المسلمين مضطهدون في الملل الأُخرى، ومضمحلّون في سائر الشعوب.

ومتى طلبوا الترقّي باسم الجامعة الإسلاميّة، ظهرت روح الحياة في جميع آحاد المسلمين، وبواسطة الروابط الروحانيّة تنجو سائر الطبقات الإسلاميّة، التي تقاسي ضغط الشعوب من الاضمحلال.

لا يجد أحد مادة روحانيّة مروّجة في المسلمين، حاوية للحسيّات، مثل تعازي الحسين. النصف العمدة من الاستقلال الباقي إلى اليوم في المسلمين، بواسطة إتباع هذه النكات ـ مقصوده سلطنة الشيعة ـ.

وبسبب هذه الروابط سنرى يوماً تقوى فيه الدول الإسلاميّة، وبهذه الوسيلة ستجتمع بالاتحاد تحت لواء واحد، بعلّة أنّه لا يرى في جميع الفرق الإسلاميّة مَن ينكر ذكر مصائب الحسين أو يتنفّر منها.

ديانة العموم لهم، نوع رغبة طبيعيّة في آراء هذا الشعار المذهبي، ولا توجد في المسلمين المختلفين العقائد مسألة وفاقيّة غير هذه.

إنّ الحسين عليه السلام أشبه الروحانيّين بحضرة المسيح، لكن مصائبه أشدّ وأعظم، وأوائل تقدم شيعة الحسين أيضاً شبيهة بالمسيحيين في القرون الأوائل.

ولو أنّ المسيحيين جروا على مبادئ اُصول الشيعة، وأنّ المسلمين لو لم يقفوا في طريق الشيعة، لاستولى أحد هذين المذهبين على العالم قروناً عديدة، كما نراهم اليوم حين ارتفعت الموانع عنهم جروا كالسيول، وأخذوا يحيطون بسائر الملل وطبقات المسلمين».

[تعليق المؤلّف على كلام المستشرق الألماني]

انتهى ما حكاه الحائري، ونقول عطفاً على كلمة هذا الفيلسوف الشهير، والحكيم الكبير:

إنّا نجد اليوم من النوابغ المشهورين، والمصلحين والمبشّرين، من جلّق وقزوين، أخذوا ينزّهون المذهب الشيعي، ويصولون على هذه الأعمال، ولم يتركوا عاراً وشناراً إلّا وألصقوه بهذا الشعار، وأفحشوا في النسبة لأهل هذه الأعمال.

وهؤلاء زعماء الحكمة يدّعون، ونبلاء الفلسفة يزعمون، وبراهين تلك الفلسفة الصوفيّة، والجدليّة السفسطائيّة، اُصول مبادئها الشعريّة، وجدلياتها الخطابيّة، انتقاد الأغيار.

فلا أنت أيّها الفيلسوف، ولا أنبادقلس، ولا أفلاطون، ولا الشعراء والمشاؤون، ولا الإشراقيّون والرواقيّون، لا، ولا هرمس وعاذيمون وصلوا إلى

نكات تلك الحكمة، ولا تفطنّوا لدقائق تلك الفلسفة، التي زبّرتها «الصولة» وسطّرها «التنزيه»، فهي وحي وإلهام.

فمرّة تنشر زبور داود والمزامير، وأُخرى تتلو علينا الإنجيل وسفر التكوين، وترد النقد أصحاحاً أصحاحا.

تِلكَ المَكارِمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ … شِيبا بماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أبوالا[1]

وإليك أيّها القارئ الكريم، التنبيه على دقائق حكميّة، ونكات فلسفيّة، استودعتها كلمة هذا الفيلسوف.

ولسنا نريك جميع ما فيها، بل نشرح لك بعضها، ونقتصر على فلسفة الشعار والمواكب، دون فلسفة النهضة الحسينيّة، فإنّ موضوع بحثنا الشعار الحسيني؛ لأنّه بمزعم الطاعنين ملامة الأغيار. وكلمة هذا الفيلسوف مشحونة بالحكم، فعليك باتقانها، وإمعان النظر فيها فإنّ التدقيق أفيد:

١ ـ حذا بنو العباس حذو بني أُميّة ، في الضغط على العلويّين وشيعتهم، لا كما توهّمه المتوهّم.

٢ـ إنّ بني العباس أمكر وأغدر وأكفر للنعمة من بني أُميّة، وذلك أنّ سلطنتهم إنّما تمهّدت وتمّت بإهراق دم الحسين عليه السلام، وبه توصّلوا إلى نيل السلطنة، وتوسعة نطاق المملكة، وتمّ على يدهم استئصال الأُمويين، وما رفعوا تلك اليد إلّا ووضعوها بالجور على آل عليّ وشيعتهم.

---

(١) من مقطوعة شعريّة لأبي الصلت ابن أبي ربيعة الثقفي (ت قبل الإسلام) مطلعها:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن … ريم في البحر للأعداء أحوالا

انظر: كتاب السيرة لابن هشام ٥: ١١٠ .

٣ـ إنّ تأسيس المأتم والعزاء بفكرة العلماء؛ لأنّ المتعارف المعروف عند الفلاسفة أن يعبّروا عن العلماء بالعقلاء، حيث إنّهم علماء علم المعقول، لا يريدون من العقلاء بجامع الغريزي أو الفطري الهيولاني.

٤ـ إنّ سبب تأسيسهم لهذه الأعمال، خوف اندراس الدين، كما رآه الحسين عليه السلام.

٥ـ إنّ علاجه على يد الحسين عليه السلام كان بقتله وإراقة دمه، وعلى يد علماء الشيعة بإبراز المواكب، ونصب المآتم، وإقامة الشعار.

٦ ـ إنّ إرتقاء المذهب كما حصل بقتل الحسين، وترويج الديانة وحفظ الإسلام بسببه، كذلك حصل أخيراً ترويج الديانة وإرتقاء المذهب بتأسيس المآتم العزائيّة والمواكب الشعاريّة.

٧ ـ إنّ مطمح نظر العباسيّين إلى محو كلمة الشيعة بتفريق الاجتماعات، كمطمح نظر الأُمويّين إلى محو كلمة الإسلام عموماً، والشيعة خصوصاً.

٨ ـ خطأ العباسيّين في هذا الارتكاب الظالم، كخطأ الأُمويّين في ذلك الفعل الصارم.

٩ـ تكبّد الشيعة المصاعب وتحمّلهم المشاق، أثمر في سبيل ترقية الدين، كتحمّل الحسين المشاقّ في سبيل حماية الدين ووقاية الإسلام.

١٠ـ رواج الدين وسعادة المذهب متوقّفة على إقامة هذا الشعار، كتوقّفه على قتل الحسين.

١١ـ إنّ الشيعة أقدموا على ما أقدموا عليه علماً وعمداً، مع ضغط العباسيّين، كما أقدم سيّدهم الحسين عالماً عامداً، إذ لا سبيل لحياة الدين إلّا

بهذا التحمّل والتكبّد الشاقّ، فهم متأسّون بإمامهم في أفعاله الراقية المثمرة للنجاح في العاجل ولآجل.

١٢ ـ إنّ هذه الأعمال الموكبيّة، والشعائر العزائيّة، أكبر تدبير في عالم السياسة الإنسانيّة، وأعظمها تأثيراً في مادّة الإنقلاب، ولها مركزيّة ذات أهميّة عظمى، حتى أنّ أعداءهم تنبّهوا لهذه النكتة الدقيقة، فخافوا من مستقبلها، لذلك شدّدوا عليهم الوطئة، وأعلنوا النكير.

١٣ ـ إنّ حكمة فعل الحسين وفلسفة مقاصده، ظهرت نتائجها الناجحة وربحت بسقوط عرش سلطنة الأُمويّين. كذلك أفعال الشيعة في المآتم والاجتماعات العزائيّة وفلسفتها الراقية، ظهرت ثمرة سعيها الصالح، فأثمر سقوط عرش سلطنة العباسيّين، مع سعة نطاقها وضخامة ملكها، حتى تمّ سقوطها على يد نصير الملّة والدين الطوسي.

١٤ ـ حثّ الأئمّة سلام الله عليهم على إقامة العزاء، كما أشار إليه هذا الفيلسوف بقوله: هؤلاء.

١٥ـ إنّها من المسائل الدينيّة السياسيّة، ذات الأهميّة الكبرى، لا الهمجيّة الوحشية، كما يدعيه الخصماء.

١٦ ـ إنّ فلسفة المواكب، وحكمة الشعار العزائي، ترويج المذهب، وفائدته ترقّي الشيعة وتقوية الملّة، فكلّما زادت هذه الأعمال رونقاً وبهجة وبهاءً، زادت الفرقة الشيعيّة ترقّياً، وازداد المذهب فخامة.

١٧ ـ إنّ هذه الكيفيّة في أعمال المواكب هي المؤثّرة، وأنّها من وضع المتيقّظين، وعرفت أنّ الفلاسفة يعبّرون بهذه الألفاظ عن العلماء.

١٨ـ إنّها أعظم أسباب التأثير، ومن أكبر الوسائل لافتخار الشيعة، وزيادة مذهبهم نمواً واستعلاء، حتى أنّها أثّرت في الهند والصين، ودان قسم كبير بمذهب التشيع ببركة هذه الأعمال.

١٩ ـ إنّ تأثير هذه الأعمال في الهند كبير جداً، وأثرها عظيم غاية، حتّى قال ذلك الفيلسوف: إنّها لم يمض عليها أكثر من قرن حتّى عمّت جميع الهند، وكانت الشيعة تعدّ بالأنامل، فكانت اليوم العدد الثالث، كلّ ذلك ببركة الشعار.

٢٠ـ إنّ نقد الناقد من الأُروپاويين، ناشئ من الذهول، وعدم الاطّلاع على كيفيّة ترويج هذا الشعار.

٢١ ـ إنّ عدّهم له من جنون الشيعة، سببه الوحيد عدم وقوفهم على الحقائق، ولو وقفوا وحقّقوا في هذه الأوضاع ودقّقوا النظر، وأنّها كيف تبدّلت الشؤون في الإسلام وتطوّرت في الإرتقاء، التطور العظيم.

وهناك معنى لم يظهر من كلام هذا الفيلسوف، ولعلّه يشفّ من وراء الستر، وهو أنّ عقلاء الغربيين تفطّنوا لهذه الحقائق، وخافوا من عواقبها، ونظروا بعين صافية، أنّ في المسلمين ـ وخصوصاً الشيعة ـ غفّل بسطاء ومتعالمون كثيرون، كالقارّ الذائب يلتصق فيه كلّ غبار، ويحمل كلّ شيء مرّ به.

فألقوا هذه الأقاويل، مطمئنين أن ستؤثّر في نفوس اُولئك، ما يوجب تعويق تلك المساعي، ولو بأن يبطئ مسراها، فتسري على ريث ومهل، لا على سرعة وعجل.

لا يرون أنّ في المسلمين من هو عالم بأنّ أوضاعهم أكثر جنوناً وخرافات كالثالوث، والتّستر بالزوجات، ونصب الصلبان، واعتقاد التابوت: الذي هو صخرة معلّقة بين السماء والأرض، ونظائرها.. أياجَارتا ِبيني فإنَّكِ طالقة[1].

٢٢ ـ إنّ هذه الحركة السياسيّة، والهيجان المذهبي، هو السبب الوحيد في ترقية الشيعة، ومَن نظر إلى الهند، الذين كان فيه الشيعة أفراد معدودة، واليوم هم القسم الثالث، وكذلك باقي الأطراف، أيقن أنّ هذه أعظم نكتة محبوبة في العالم السياسي.

٢٣ ـ إنّ دعاة النصرانيّة، مع بذلها الأموال الطائلة، واستخدامها الأفكار بأنواع الاستخدامات، ما بلغت في تروجها المذهبي إلّا أقلّ قليل ممّا حصلته الشيعة من ترويجها، بسبب هذه المواكب والشعار الحسيني، حتّى صرّح هذا الفيلسوف: إنّهم ما بلغوا العشر، مع كثرة ما ينفقون ويصرفون من القوة والثروة.

٢٤ ـ إنّ القسيسين تشبّهوا بالشيعة بذكر مصائب المسيح، ولها تأثير، لكن لا يُقاس بأعمال الشيعة، وليس له درجة تأثير الشعار الحسيني.

فإذا عرفت أنّ روحانيّة الغرب أخذت تتدرّب تدريجاً، وتتطوّر على منهج الأعمال الشيعيّة، فكيف يُعدّ انتقادهم نقصاً واتنقاصاً.

فلابدّ لمن له مسكة دينيّة، أو حظ من علم، أو حنكة في تجربة، أو ذوق في فلسفة، أو نصيب في الإسلاميّة، أن يحمل تلك الانتقادات على

---

(١) مطلع قصيدة للأعشى، ميمون بن قيس (ت ٧ هـ)، وتمام البيت:

أيـا جَارتـا بينـي فإنَّـكِ طالِقَـةْ ... كَذَاك أُمُورُ الناس غـادٍ وطارقَـةْ

ديوان الأعشى: ١٣٨، قصيدة رقم ٤١.

الجهل بالحقيقة، كما قاله هذا المجرّب المحنّك، وأمّا على الحسد، حيث لم يتهيّأ لهم المقصود من الترويج والسياسية الدينيّة، التي عجز عنها الغرب، كما يفهمه فحوى كلام هذا المؤرّخ الشهير.

أيّهـــا العائــــب جهـــــلاً   أنـــت عنـــدي كثعالـــة[١]

أو يحمله على الخصومة العناديّة الضديّة المحضة، ولا يضرّ حينئذٍ:

كضــرائر الحســناء قُلنــا لوجههــا   حســداً وبغضــاً إنّــه لــذميم[٢]

٢٥ ـ إنّ هذه الأعمال ليست همجيّة، ولا وحشيّة، ولا جنون، بل هي سياسة صرفة، وحسيّات وشعور، وحركات فلسفيّة، وتطوّرات حكميّة، وتعاليم ديلومانيّة، ومعرفة حقوقيّة. ورونق الإسلام إنّما ظهر بواسطة أمرين: قتل الحسين عليه السلام، ومأتمه بما لها من الوضع الحالي.

٢٦ ـ إنّ هذه المحاشد والاجتماعات العزائيّة، عبارة عن حماسة دينيّة وحميّة إسلاميّة، تأبى قبول الظلم والجور والعدوان، وتأنف عن الخضوع

---

(١) من أبيات معروفة في مَن ذمّ الأُمور التي عجز عنها، وهي:

أيّهــا العائــبُ سَــلمى   أنْــتَ مِنهــا كَثُعَالَــةْ
رامَ عُنقــــوداً فلمّــــا   أبصَــر العُنقــودَ طالَــهْ
قــالَ هــذا حــامضٌ   لمّــا رأى أن لا يَنالَــهْ

والثعالة: اسم من أسماء الثعلب.

انظر: حياة الحيوان الكبرى، للدميري: ٢٤٣ .

(٢) من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان (ت ٩٦ هـ)، التي تعدُّ من عيون الأدب الخالد، ومطلعها:

حَسَدُوا الفَتى إذْ لَمْ يَنَالوُا سَعْيَهُ   فــالقَومُ أعــداءٌ لَــهُ وخُصُــومُ

انظر: خزانة الأدب: ١٦٣ .

والإنكسار والذلّ والاستعباد، وقد صرّح أنّ هذه الصفة عند الحكماء السياسيّين أشرف شعار وأحسن سعادة.

هذا، والخصم الألدّ، لمّا تفطّن لما غفل عنه الغفّل والبلهاء، وساذجة العقول والبسطاء من الشيعة، أخذ يدسّ الإنكار على هذه الأعمال، بصورة انتقاد الأجانب وشنائة الأغيار، ليلتقفه المتعالمون ومَن لا خبرة لهم ولا دربة.

٢٧ ـ إنّ هذه المجالس والتعازي، المنعقدة والاجتماعات المتحشّدة، مدارس سيّارة، وكلّيات كبرى فلسفية أخلاقية، ورياضيّة اجتماعيّة، وسياسيّة ممتازة، مدرّبة بالفنون الجميلة، زاهية بالمعارف والفضيلة، تُدرّس الأخلاق والسجايا المحمودة، والصفحات المستحسنة عند الحكماء، والعادات الفاضلة المرضيّة عند الفلاسفة، وحكى ما شاهده في الآستانة اصطنبول ما هو صريح فيما أفاده هنا.

٢٨ ـ إنّ نسبة الأعمال السياسيّة والأفعال الفلسفيّة إلى الجنون والوحشيّة والهمجيّة، لا يخرجها عن الحكمة والفلسفة، ويجعلها وحشيّة، بل ينسب زاعمها إلى الجهل والغباوة، وعدم المعرفة، وقلّة الإحاطة والاطّلاع، وخسارة الفكر من ربح التدقيق والتحقيق والتعمّق في المطالب البهيّة والمقاصد العالية.

فنسبة الأفراد من الأُروپاويين إلى الشيعة الجنون في هذه الأعمال، كنسبة أهل آسيا إلى أُروپا الجنون في الاجتماعات، التي تضمّ النساء والرجال في محشد واحد، فكأنّ نسبة الأسويين إلى الأُروپاويين هذه الوحشيّة والجنون، نشأ من قلّة التحقيق والتدقيق في المعاني التي يقصدها الأُروپاويون، من التعاضد والتعاون القومي والنشاط الجنسي.

كذلك نسبة أُروبا إلى الشيعة الجنون، نشأ بسبب الغفلة والذهول، وعدم التعمّق في مقاصد الشيعة الفاضلة، من التعاون الديني والتعاضد الملّي والمذهبي.

فأيّ لائمة تتوجّه من أُروبا إلى أعمال الشيعة، فمصروفة عنهم بصارف الغفلة والذهول.

٢٩ ـ إنّ هذه الأعمال الموكبيّة والأفعال العزائيّة، هي نتائج التمدّن والتعليمات الحقوقيّة، التي تبذل عليها الأموال الطائلة الأُمم المتمدّنة الحرة، وهي حاصلة مجاناً لهؤلاء بغير مقابلة عوض، ولا إتلاف ماليّة مهمّة؛ لأنّ هذه الاجتماعات قد أورثتهم النشاط، وأفادتهم التعاون، وما هو العزّ القومي والافتخار النوعي الذي تقصده الدول بتعليماتها الحقوقية إلّا هذه.

٣٠ ـ إنّ فيها منافع أُخرويّة آجلة بحسب معتقدهم، كما فيها منافع عاجلة، وأفعال أُروبا منافعها محدودة عاجلة فقط. والعمل كلّما كان أعمّ نفعاً وأكثر فائدة، كان نشاط أهله أكثر وعملهم أتقن.

٣١ ـ إنّ صلاح الأُمّة بإصلاح المذهب، والمسكة بالديانة، وتأكيد الروابط الدينيّة والجامعة الإسلاميّة، فالمسلمون إذا تمسّكوا بأُصول معتقداتهم، ولازموها وواضبوا عليها، حصل الارتباط بين ملايين نفوس مسلمين، متشتّتين في أقطار العالم، منبثّين في أرجاء المعمورة، مع اختلاف الألسن والعادات والأخلاق.

وبذلك يحصل النجاح، وتعلو كلمة الإسلام، وترقى الشعوب الحرة منهم، وتتملّص المستأسرة في أيدي الأجانب. فإذا رفضوا تلك التقاليد الدينيّة والعادات القديمة، وراموا التطوّر بأخلاق الأُمم الأُخرى وعاداتها، نقصوا من

حيث يطلبون الزيادة، وانحطّوا من حيث يطلبون الارتفاع، وتقهقروا بسبب انحلال تلك الروابط وانفصام تلك الجامعة؛ لأنّ أغلب المسلمين منغمرون في بقيّة الشعوب الأجنبيّة، مضطهدون بالخضوع للملل الخارجة، يقاسون ضربات ولزبات الشعوب عليهم، فهم يئنون من مقاسات تلك الآلام الصارمة.

تجد هذا المعنى حيث يقول: إنّ نفوس المسلمين تقرب من ثلاثمائة مليون، والمستقلّ منها خمسة ملايين.

٣٢ ـ إنّ من أكبر الوسائل وأعظم الطرق الممهّدة لنجاح المستقبل، والفوز بالتخلّص من مادّة الاستعباد، وهي المواضبة على الأعمال الموكبيّة، والأفعال العزائيّة، فإنّهم إن واضبوا عليها، وحافظوا على ترويجها، أورثتهم النشاط، ومهّدت لهم سبيل حياتهم الأبديّة.

٣٣ ـ إنّ الفرقة الشيعيّة، تشبه الأُمّة العيسويّة في الترقّي الدينيّ والتقدّم المذهبي. فإنّ ابتداء كلّ واحدة منهما عدداً يسيراً، وأخذتا تدريجاً في الترقّي المدهش، والتقدّم العجيب.

ولولا وقوف الأُمم في طريق مسعاهما، ووقوف المسلمين خصوصاً في طريق الشيعة، لاستولى أحد الفريقين على العالم بأسره. تجد هذا المعنى في قوله: «لولا وقوف المسلمين في طريق الشيعة»، وحيث يقول: «رأيناهم حين ارتفعت الموانع».

٣٤ ـ إنّ الجهة المرقيّة في أحد القبيلين مختلف، ففي الأُمّة العيسوّية سببه التبشير والدعوى، وبثّ العقائد، وبذل الأموال الطائلة، وتضحية النفوس النفيسة في هذا.

وبالجملة، وسائل التبشير عند المسيحيّين كثيرة، وفي الشيعة وسيلته واحدة، هي الأعمال العزائيّة والمآتم الحسينيّة.

وهذه الوسيلة أثّرت ما أثرته تلك الوسائل وزيادة، فلا نظير لها في سياسة العالم. وهذا الفوز والنجاح الحاصل بسبب هذه النكتة الوحيدة، يقضى برجحانها وتفوّقها وارتقائها إلى أعلى المراقي، وهذا من العجيب المدهش.

٣٥ ـ من خفايا هذه المقالة الفلسفيّة، وخباياها المودعة في لب أحشاء الحكمة، أنّ الأُمم الغربيّة والشرقيّة المتيقظة، أحسّت بفلسفة هذه الأعمال، وخافت من تفوّقها، فأخذت تنشر ضدّ ما تعلم من فضيلتها، وترمي أهلها بما يشوّه حياتها ويسوء تأريخها؛ لما استنبطته الغربيّة اليقظا لوفور فطنتها، وتوقّد ذكائها.

أنّ بعض الرجال الذين لهم اسم يذكر ولقب يشهر في الفرقة الشيعيّة، عطل من الحكمة، عزل من الفلسفة، يرون أنّ أدنى كلمة يلقيها نبز الغربيّ ضدّ أعمالهم هي الموجبة لخطأئهم الذاتي، فتتزلزل تلك العقيدة، وتتزعزع تلك الأركان الثابتة، وهذه يشير إليها خفيّة، وينظر إليها من بعيد.

ولعمري، إنّ سليم الفكرة، وصاحب الشعور والحسيّات، لحقيق بإصابة الواقع.

ولقد ألقى إلينا نقلة الآثار لهذا المطلب العالي، مؤيّدات شهيرة، كواقعة الحَكمين عمرو بن العاص والأشعري المغفّل، وحيث كان الثاني مغفّلاً، والأول متيقّظاً حاذقاً، أخذ يقدّمه ولا يتقدّمه، ويأمره أن يبدأ بالكلام قبله، قائلاً: إنّك أقدم صحبة منّي للنبيّ صلى الله عليه وآله وأقدم عنده، وأعلم بالكتاب والسنّة.

والغبيّ لم يشعر بمكيدة ذاك الخائن، الذي ما كان قصده ولا غرضه إظهار شرفه، ولا إثبات صحبته، وإنّما كان مطمح نظره لنيل مقصده، ونجاح مسعاه، الذي لا يتمّ له إلّا بتقديم ذاك المغفّل.

ولولا هذه المبادئ، والجري على تلك الأُصول، لكان سعيه خائباً وحجّته داحضة.

ومع ذلك، فإنّ ذوي الشعور والحسيّات والتيقظ من أصحاب علي عليه السلام، كالأشتر والحبر ونظرائهما، أوقفاه على تلك النكتة وأطلعاه على غرض ذاك الخائن، فأبى قبول نصائح النصحاء وأغمض عينه عن كشف ستار رفعه له الألباء، وأطبق جفنيه على سنة الغفلة والذهول.

هكذا مَن تصدّى بزعمه لمنصب التبشير والإصلاح، من نبلاء الجاه في الشيعة، لمّا طرقتهم تلك الطوارق، التقفوها، فاستعظموها واستفظعوها، وقد نبههّم العرفاء الإسلاميون والنبلاء الغربيّون على خطائهم واشتباههم، ولو على نحو خطاب: إياك أعني واسمعي يا جارة.

فلم تنفع تلك الإشارات الحسيّة، والإرشادات الفلسفيّة، فكأنّ الشمس في شروقها غربيّة.

ولمّا تكلّم بعض الأساتذه من أهل عنصرهم، بفضيلة تلك الأعمال، على نهج القانون الدينيّ، أغضبتهم تلك البيانات، وأسخطتهم تلك الإرشادات، فقاموا على قدم وساق، فلم يتركوا دناءة وحقارة، ولا شيناً وشناراً، إلّا وقذفوا به المواكب، ولم يدعوا قبيحاً ولا فحشاً وإلّا وألصقوه بأهلها.

قد قيلَ إنَّ الإله ذو ولد ... وقيل إنَّ الرسولَ قَد كهنا
ما سلم اللهُ والرسولُ معاً ... من لسان الورى فكيف أنا

ما نصنع قد قيل: أنفك منك ولو كان أجدع، ولكن نقول: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[١].

هذه خلاصة كلمي، وعليك بإمعان النظر في هذه المقالة، وغيرها من مقالات الغربيّين، كمقالة الدكتور جوزف الفر نساوي وأمثالهما.

نختم رسالتنا بحمد الله، والصلاة على نبيّه وآله.

محرّرها مؤلّفها، الأقل الأحقر، عبد الواحد آل شيخ أحمد آل مظفر، صادف الفراغ من نسخها ٥ ذي الحجّة سنة ١٣٤٧ .

---

(١) يوسف (١٢): ١٨ .

[كلام المستشرق جوزف الفرنسي]

بدا لنا أيّها الأخ الدينيّ، أن نوقفك على كلمة الدكتور جوزف الفرنساوي في فلسفة الشعار الحسيني، ونحن ننقلها كما نقلها السيّد عبد الحسين شرف الدين في مقدّمة كتابه «المجالس الفاخرة»، غرضنا استراحتك عن الكدّ والكدح في طلبها، واطلاعك عليها أتمّ للفائدة. نصّ عبارته في الكتاب المذكور، طبع في مطبعة العرفان ١٣٣٢ في ص٣٢:

نبّهك إلى بعضها ـ وغرضه فلسفة المأتم ـ حكيما الغربيّين وفيلسوفا المستشرقين: الدكتور جوزف الفرنساوي في كتابه «الإسلام والمسلمون»، والمستر ماربين الألماني في كتابه «السياسة الإسلاميّة».

وقد ترجمت جريدة «الحبل المتين» الفارسيّة في عدد ٨٢ من أعداد سنة ١٧ فصلين من ذينك الكتابين النفيسين، يحتويان على أسرار شهادة الحسين عليه السلام وفلسفة مأتمة، فإنّ لهما دويّ في العالم الإسلامي، وأخذا في الشرق دوراً مهما.

وترجما بالتركيّة والهنديّة، وعرّبهما سيّدنا الشريف الباحث السيّد صدري الموسوي، نجل الإمام الكبير حجّة الإسلام وآية الله في الأنام السيّد إسماعيل الصدر أبقاه الله، فنشرت مجلّة «العلم» أحد الفصلين، ومجلّة «العرفان» نشرت الآخر.

وإليك ما ذكره الدكتور جوزف تحت عنوان «الشيعة وترقياتها المحيّرة للعقول» قال من جملة كلام له طويل:

«لم تكن هذه الفرقة ـ يعني الشيعة ـ ظاهرة في القرون الأولى الإسلاميّة، كأُختها، ويمكن أن تُنسب قلتهم إلى سببين أحدهما: أنّ الرئاسة والحكومة ـ التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب ـ كانت بيد الفرقة الأُخرى، والسبب الآخر هو: القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة، حكم أحد أئمّتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقيّة فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدوّ ـ القويّ الشكيمة ـ من قتلهم والإغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً، ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلّا وارتقوا، حتّى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء. وهؤلاء بين مَن أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين مَن أظهره.

وبعد «تيمور»، حيث رجعت السطلة في إيران إلى الصفويّة، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا، أنّ الشيعة فعلاً سدس المسلمين أو سبعهم.

ونظراً إلى هذا الترقّي، الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل، من دون جبر ولا إكراه، يمكن أن يقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن أو

قرنين، والسبب في ذلك: هو إقامة عزاء الحسين، الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد والاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة.

فقد رأيت في نزل مارسل، شيعيّاً عربيّاً من أهالي البحرين، يقيم مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ويقسّم ما أحضره من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين:

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك.

وبعضهم يعيّن أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الأوّل.

ويمكن أن يقال: إنّ جميع فرق الإسلام، من حيث المجموع، لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم، بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها.

كلّ واحدٍ من هذه الفرقة، هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه، من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتبة على عملهم، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي.

ولكن حيث إنّ كلّ عمل في هذا العالم لا بدّ وأن يكون له أثر طبيعيّ في العالم الاجتماعي، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعيّة في هذا العالم.

ومن المعلوم، أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستّون مليون، لا بدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتّى أنّ الرؤساء الروحانيّين من هذه الفرقة، وسلاطينها ووزرائها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة.

وسعي الفقراء والضعفاء، في محافظة إقامة عزاء الحسين، من حيث انتفاعهم من هذا الباب، أكثر من الأعيان والأكابر؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة.

ولهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة، قد تركوا سائر أشغالهم المعاشيّة، وتفرغوا لهذا العمل، وهم يكابدون المشاقّ في تحرّي العبارات الرائقة والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم، ومصائب أهل البيت على المنابر في المجالس العموميّة.

ولأجل هذه المشقّات التي اختارتها هذه الجماعة، فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين.

وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد، يوجب اشمئزاز القلوب ومللها، وعدم التأثير، تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلاميّة الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتّى آل الأمر إلى عوامّ الشيعة ـ بفضل هؤلاء الخطباء ـ أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها.

كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة، وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً، أكثر من سائر المسلمين.

ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم، والصنعة والثروة، إنّما توجد بين الشيعة.

والدعوى التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم وإلى سائر الفرق الإسلاميّة غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد هذه الطائفة دعاة، وما دخلوا بين أُمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها.

وليس العدد الذي نراه في الهند من الشيعة، إلّا وهو أثر إقامة المأتم.

الشيعة لم تؤيّد دينها بقوّة ولا سيف، حتّى في زمن الصفويّة، بل أنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام، والدعوة التي أثرها أمضى من السيف.

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مواسم مذهبها مبلغاً عظيماً، حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود، والمجوس، وسائر المذاهب.

ومن المعلوم، أنّ بعد مضيّ قرن، ووصول هذه الأعمال بالإرث إلى أبناء أُولئك الطوائف، يذعنون بها، ويصدّقون هذا المذهب.

وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد، موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدّون منهم عند الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال.

ومن المعلوم، أنّ بمجرّد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل، إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقيّة، فيما عدى إيران، نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم.

ولكن من يوم استولت الدول الغربيّة على الممالك الشرقيّة، ومنحت جميع المذاهب الحرّية، قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحريّة فائدة تامة، حتّى أنّهم تركوا التقيّة لهذه الأسباب المذكورة.

وكانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف، لذلك ترى العمّال في هذه الفرقة أكثر ممّا تراه في سائر فرق المسلمين؛ لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل ممّا توجب احتياج الغير إليهم.

كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق، وصلالتهم الوداديّة مع غيرهم، تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة.

والأثر الذي يترتّب على هذه السيرة، هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب في رقيّ دين المسيح، مع تلك المصارف الباهظة.

ومن جملة الأُمور السياسيّة التي أظهرتها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبيّة منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب، هو قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مأتم الحسين.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عبادتهم، فأخذته أُروپا، وأخرجته بمقتضى السياسة في دور التمثيل للخاصّة والعامة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم غرضين: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأُمور السياسيّة.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواصّ والعوام، قد عاد.

ومن المعلوم أن تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين، مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على آل محمّد، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها، فوق ما يتصور.

وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن، أن ترك بعضهم دينه، أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة: فتارة في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة.

وحيث إنّ الفرق الأُخرى قلّما تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلاً خاصاً، وصاروا يدورون به في الأزقّة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد، عين الأثر الذي يحصل من التمثيل.

ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ، حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود، واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة.

كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ، أنّ أُصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفويّة، الذين هم أوّل مَن نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأُصول.

ومن جملة الأُمور التي أوجبت رقّي هذه الفرقة، وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق، من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار، بواسطة المجالس والمآتم، والشبيه، واللطم، والدوران، وحمل الرايات والألوية في عزاء الحسين.

إنّ من المعلوم، أنّ كلّ جمعيّة وجماعة، تجلب إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما، مثلاً لو كانت في بلد عشرة آلاف متفرقين، وفي محلّ ألف نفس مجتمعه، كانت شوكة الألف المجتمعين، وأُبهّتهم في أنظار الخاصّة والعامة أكثر من العشرة آلاف المتفرقين.

مضافاً إلى أنّهم إذا اجتمع ألف نفس، انضمّ إليهم من غيرهم مثل عددهم، إمّا للتفرّج، أو لأجل صداقة ورفاقة، أو لأغراض أُخر. وبهذا الانضمام تزيد هيبة الألف وقوّتهم في الأنظار تتضاعف.

ومن الأُمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة، في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم. وهذا التأثير من الأُمور الفطريّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم، ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً، من الظالم وإن كان محقّاً، ولا سيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفو أُروبا، الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله، مع أنّهم لا يعتقدون بهم، يذعنون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسمائهم إلّا مشمئزين.

وهذه الأُمور الطبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة». انتهى ما نقله السيّد المذكور من هذه المقالة الفلسفيّة لهذا الفيلسوف الماهر.

وحيث كانت هذه المقالة مشتملة على ما اشتملت عليه المقالة الأُولى وزيادة، انبّهك على بعض فوائدها الزائدة وأُحيل الباقي على فطنتك، وحيث إنّ هذه المقالة لم تكن كالأُولى مغلقة ولا متعمّقة في الفلسفة، بل سهلة ممتنعة، وسلسة صعبة، تلائم طبع الفلاسفة والعوام وسائر الطبقات المتوسطة بينهما، وهاك شذرة من تنبيهاتها:

١ـ إنّ هذه الجمعيّة بهيئتها الاجتماعيّة تتحلل إلى دعاة للديانة، فكلّ فرد منهم داع إلى مذهبه، ومروّج لدينه وديانته.

٢ـ إنّ فائدة هذه الإجتماعات، استعلاء كلمة الشيعة، وترقية مذهبهم، وترويج ديانتهم.

٣ـ إنّ هذه الفائدة، العائدة على الدين والديانة بأكبر النفع يجهلها المسلمون، بل لا يعرفها حتّى الشيعة أنفسهم، ولم يتفطّنوا لهذه الفضيلة، فلا يرون إلّا الثواب الخالص. ومن هنا تجد كلمة هذا الفيلسوف توعز برمزها الخفي، إلى صوادح الناقدين على الشيعة أنّهم جهلاء، والجاهل لا يعتد بنقدة.

٤ ـ إنّ هذه الأعمال مثمرة للنجاح والترقّي، تفطّن لها أهلها أم لا، وذلك بالطبع أنّ كلّ عمل لابدّ أن يكون له أثر طبيعيّ، قصده أم لم يقصده، فعدم القصد وعدم التفطّن لا يخرجه عن كونه ذا أثر.

وهذه الكلمة منه صادقة بالوجدان، فإنّ الذي يحمل الأثقال، يورث النشاط ورفع الكسل وإن لم يكن قاصداً لذاك الأثر، ولم يكن لاعباً باللعب المشهور زورخانة، فأثر صحة البدن يترتّب على مزاولة الأعمال وحمل الأثقال، قصد أم لم يقصد.

فالفرقة الشيعيّة، ثمرة عملها وفائدته في ترويج المذهب ونفعه في زيادة قوّتهم يحصل بالطبع، قصدوا ذلك أم لا، عرفوا فائدته أم لا.

٥ ـ إنّ هذه الأعمال المأتميّة والمواكبيّة، اشترك فيها عموم الشيعة، من وزراء وملوك، إلى ضعيف وصعلوك، وكذلك رؤساء الديانة والزعماء الروحانيّون مطلقاً.

ومن هنا تعلم، أنّ نقد الناقد مخالف لسيرة الشيعة جميعاً، ومعاند لأئمّتهم، ورادّ عليهم، من أيّ عنصر كان، ولأيّ مذهب انتحل.

٦ـ إنّ خطباء هذه الفرقة ـ والمراد بهم قرّاء التعزية ـ يفوقون خطباء جميع مَن في العالم فطانة وذكاء وإحاطة واطلاعاً، لذاك تراهم يتوصّلون

لإفهام العوام وتفهيمهم بما يلائم طباعهم، ويخاطبون كلّ شخص بما يفهم. فهم بهذا العمل فلاسفة حكماء، لا جهلاء أغبياء، كما يقوله المتحامل على التعازي الحسينيّة في «الصولة» و«التنزيه».

٧ـ إنّ هذه المآتم ليست تعازي فقط، بل مدارس دينيّة، وسياسيّة حقوقيّة، ومدنيّة وأخلاقيّة، تدرّس العلوم الدينيّة والمعارف والأخلاق.

فكلّ فرد من أفراد الشيعة، ببركة تلك المجالس الحسينيّة، تجده ـ ولفضل تلك التعليمات ـ عالماً بأُصول دينه وعقائده، وفروع ديانته، وأحكام شرعه، وعارفاً بالسير والتواريخ، ومحيطاً بالفضائل والأخلاق. يدرس أُصول دينه وفروعها درساً فلسفياً، لم يشغله عن تحصيل معاش أو كسب قوت.

فكلّ فرد يمكنه ـ بسبب تلك التعاليم ـ أن يناضل عن عقيدته ، لا أقل أن يستفيد رسوخ العقيدة، وعدم تزلزلها بالأراجيف.

٨ ـ إنّ هذه الفرقة باجتماعاتها العزائيّة وجمعيّتها الموكبيّة، مع كونها أعرف بمذهبها من سائر الفرق الإسلاميّة، وسائلها الراجعة إليها أكثر من سائر الوسائل لباقي الفرق الإسلامية، فكلّ فرد منهم خطيب، وعالم، وذاكر، وفيلسوف، وداع إلى ديانته، ومروّج لمذهبه. وإذا اختلطوا بالأُمم جذبوهم إليهم، وسرى هذا الأثر إلى قلوب تلك الأُمم، ولذلك ساد المذهب الشيعي في الهند.

٩ ـ إنّ الشيعة لم تويّد مذهبها، ولم تروّج ديانتها بسيف، حتّى في أيام سلاطينها النافذة الكلمة المطاعة، بل ترويجه وترقيته كلاميّة لفظيّة، ودعوتها خطابيّة فقط. وليست تلك الدعوة أن تقول لأحد: أدخل في مذهبي، أو اترك

ديانتك، بل هي تذكر فضائل أئمتها وتنشر سيرتها الفاضلة وتعدّد المصائب الواردة على أهل البيت بتأليف المآتم، ونظم المواكب.

فمن هذا وذاك راجت دعوتهم، وعلت كلمتهم.

١٠ـ إنّ اعتقادهم بنجاح مقاصدهم، وقضاء حوائجهم، منوط بشفاعة أئمتهم ونجاحها، ممّا يثبت اعتقادهم، ويزيد في بصيرتهم.

١١ـ إنّ اشتراك جميع الفرق معهم في أعمال الشبيه، كالهنود والمجوس وغيرهم، ممّا يزيدهم قوّة، ويورثهم نشاطاً.

١٢ـ إنّ هذه الفرقة، هي وحدها، دون بقية الفرق الإسلاميّة، لعلمها وعرفانها، تجري على هذا العمل، ممّا يوجب احتياج غيرهم إليهم، واستغنائهم عنه.

١٣ـ إنّ اختلاطهم مع سائر الفرق الأُخرى، وتواصلهم مع الأُمم، يلازم اشتراك الغير معهم في المجالس والمحافل، فيسمعون أُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعبارتهم، وبسببه يأنسون بطريقتهم ومذهبم.

١٤ـ إنّ هذا هو بعينه عمل دعاة الغرب، لترويج دين المسيح، لكن مع الصرفيّات الباهظة.

١٥ـ إنّ أهم الأُمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة، بصفة المذهب منذ قرون، التمثيل باسم الشبيه في مأتم الحسين، وبه جذبت قلب البعيد والقريب.

وهذه الكلمة تظهر لك جلياً أنّ الشبيه اختراع العلماء، أو بإجازتهم، وأنّه قديم، وثمرته ترقيّ المذهب.

فما يقوله المعاند المكابر، والحاقد المثابر، من الأباطيل التي لا مستند لها، لا عقلاً ولا نقلاً.

١٦ ـ إنّ حكماء الهند أوّل من أسس أعمال الشبيه في عبادتهم، وسمّوه تمثيلاً، ثمّ أخذته اُروپا والشيعة، فأُروپا وجدت فائدته في أمرين: تفريج النفوس، وجذب القلوب لأُمور السياسة. والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة مذهبيّة، وأثره يعود إلى قلوب الخواص والعوام.

وهذه الكلمة تظهر لك أنّ الشبيه أو التمثيل اشترك فيه الغرب والشرق، وبان لك ثمرته. فقل للجاهل الجاحد والخصم الألدّ: أنت من الوحش الإفريقي؛ لأنّك تروم مخالفة الدنيا كلّها والعالم الإنسي، وما قابل الإنسي فهو الوحش.

١٧ ـ إنّ عمل الشبيه إذا انضم إليه ثواب البكاء على الأئمّة، يكون شديد الأثر في رسوخ العقيدة في خواص هذه الفرقة وعوامها، تزيده هذه الزمرة أنّ المنكر لهذه لا عقيدة له ولا ديانة.

١٨ـ إنّ التمثيل أقسام : فتارة في مجالس مخصوصة، وتارة يدورون في الأزقة والطرقات وبين جميع الفرق، وبه تتأثر القلوب من جميع الفرق من قريب وبعيد، عين التمثيل في اُروپا.

هذه الكلمة مسلّمة؛ لأنّ من يرى هذه المواكب شاهرة السيوف، رافعة الأعلام السود، حاسرة الصدور، تلدم بالأيدي وسلاسل الحديد، لابدّ أن ينصدع قلبه ولو كان أقسى ما يكون.

وإذا سمع الصراخ والبكاء والنحيب، وصائح يصيح: وا إماماه، وآخر ينادي: وا حسيناه، لابدّ أن يلين ويرق ويسأل: مَن الحسين؟ ثمّ يتفحّص عن أحواله ويرزق الهداية.

١٩ ـ إنّ ملوك الشيعيّة كالصفويّة، بهذه الأعمال نالت السلطنة، وبإجازة العلماء والرؤساء الروحانيّين أثمرت. ومن هذه الكلمة يظهر لك جلياً أنّ اختراع الشبيه إمّا بأمر العلماء أو بإجازتهم.

وفوائد أُخر أُوكلها إلى فطنتك. واختم مقصودي بحمد الله والصلاة على نبيّه وآله.

عبد الواحد

المصادر

* القرآن الكريم.

١- الآيات الناسخة والمنسوخة، علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: علي جهاد الحساني، مؤسسة البلاغ - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر النجف الأشرف١٣٨٦هـ.

٣- الاختصاص، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي أبو عبد الله الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، رتّب فهارسه السيّد محمود الزرندي المحرمي، منشورات جماعة المدرسين بقم، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، محمّد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأسترآبادي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤٠٤هـ.

٥- أدب الطف، للسيّد جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٨م.

٦- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلاّمة الحلي (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: فارس الحسّون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي المشهور بالمفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٨- إرشاد القلوب إلى الصواب المنجي من عمل به من أليم العقاب، الحسن ابن أبي الحسن محمّد الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري)، تحقيق: هاشم الميلاني، دار الإسوة - إيران الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة، طهران الطبعة الرابعة ١٣٦٣ش.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١- أصل زيد النرسي (ت القرن الثاني الهجري)، المطبوع مع الأصول الستّة عشر، دار الشبستري للمطبوعات، قم الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٢- الأصول الستة عشر من الأصول الأوّلية، نخبة من الرواة في عصر المعصومين عليهم السلام، دار الشبستري للمطبوعات - قم الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٣- أصول الفقه، محمّد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٤- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٠م.

١٥- أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٦- أعلام النبوّة، أبو الحسن علي بن محمّد الماوردي الشافعي (ت٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ.

١٧- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

١٨- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت.

١٩- إقالة العاثر في إقامة الشعائر، السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت١٤٠٨هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٠- إقبال الأعمال، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢١- إكسير العبادات في أسرار الشهادات، الشيخ آغا بن عابد الشيرواني الحائري المعروف بالفاضل الدربندي (ت١٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد جمعة بادي وعبّاس ملاّ عطية الجمري، شركة المصطفى للخدمات الثقافية – المنامة الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٢- الأمالي، علي بن الطاهر أبو أحمد الحسين المعروف بالسيّد المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد محمّد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ .

٢٣- الأمالي، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة مؤسسة البعثة، دار الثقافة – قم الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٤- الأمالي، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة – قم الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٥- الأمالي، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: الحسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، دار المفيد – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٦- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: علي شيري، منشورات الشريف الرضي – قم الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٧- الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، الشيخ جعفر النقدي (ت ١٣٧٠هـ)، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف الطبعة الثانية ١٣٨١هـ.

٢٨- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق وتعليق: محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الأولى١٣٩٤هـ.

٢٩- البابليات، محمّد علي اليعقوبي، دار البيان للطباعة والنشر الطبعة الأولى١٩٥١م.

٣٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت الطبعة الثانية المصحّحة١٤٠٣هـ.

٣١- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

٣٢- البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة - بيروت الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

٣٣- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري (ت٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٤- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد عليهم السلام، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران١٤٠٤هـ.

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري دار الفكر - بيروت١٤١٤هـ.

٣٦- تاريخ الإسلام، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

٣٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٣٨- تاريخ الصحافة العراقية، السيّد عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان - صيدا الطبعة الثالثة١٣٩١هـ.

٣٩- تاريخ الطبري، محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاّء، مؤسسة الأعلمي - بيروت الطبعة الرابعة١٤٠٣هـ.

٤٠- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت١٤١٥هـ.

٤١- تاريخ المدينة المنوّرة، عمر بن شبّة النميري (ت٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمّد شلتوت، دار الفكر - قم الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٤٢- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت٢٨٤هـ)، دار صادر - بيروت.

٤٣- التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٤٤- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٤٥- تذكرة الخواص من الأُمّة بذكر خصائص الأئمّة، يوسف بن قزغلي ابن عبد الله التركي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حسين تقي زاده، نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - قم الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٤٦- تذكرة الفقهاء، العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٤٧- التنزيه لأعمال الشبيه، السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٤٨- تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل، أبو محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة - بيروت الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.

٤٩- تفسير البيضاوي المسمّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ)، دار الفكر - بيروت.

٥٠- التفسير الصافي، المولى محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني» (ت١٠٩١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مكتبة الصدر - طهران الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٥١- تفسير العياشي، محمّد بن مسعود بن عياش (ت٣٢٠هـ)، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلاّتي، المكتبة العلمية الإسلاميّة - طهران.

٥٢- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت٣٥٢هـ)، تحقيق: محمّد كاظم، مؤسسة الطبع والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٣- تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (ت٣٢٩هـ)، تصحيح وتحقيق: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب - قم الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٥٤- التفسير الكبير، الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.

٥٥- تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٦- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٥٧- التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٨- التمحيص، محمّد بن همّام الإسكافي (ت٣٣٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم.

٥٩- التنقيح في شرح العروة الوثقى، أبحاث أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١١هـ)، تقرير: الميرزا علي الغروي التبريزي، دار الهادي للمطبوعات – قم الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

٦٠- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة – طهران الطبعة الثالثة ١٣٦٤هـ ش.

٦١- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٦٢- التوحيد، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم المشرّفة.

٦٣- ثواب الأعمال، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، أمير – قم الطبعة الثانية١٣٦٨هـ ش.

٦٤- جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، محمّد بن محمّد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

٦٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر – بيروت١٤١٥هـ.

٦٦- جامع الشتات، أبو القاسم بن الحسن الجيلاني القمي (ت١٢٣١هـ)، منشورات شركة الرضوان - طهران.

٦٧- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٦٨- الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، عبد الوهّاب عبد اللطيف، دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية١٤٠٣هـ.

٦٩- الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي - بيروت١٤٠٥هـ.

٧٠- الجامع للشرائع، يحيى بن سعيد الحلّي الهذلي (ت٦٩٠هـ)، تحقيق: ثلّة من الفضلاء بإشراف الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام العلمية١٤٠٥هـ.

٧١- جامع المقاصد في شرح القواعد، الشيخ علي بن الحسين الكركي (ت٩٤٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

٧٢- الجعفريات (الأشعثيات)، محمّد بن محمّد بن أشعث الكوفي عن إسماعيل ابن موسى بن جعفر عليه السلام، مكتبة نينوى الحديثة - طهران بواسطة المكتبة الشاملة.

٧٣- جلاء العيون، السيّد عبد الله شبر (ت١٢٢٠هـ)، تصحيح وتخريج: كريم عبد الرضا، مكتبة فدك لإحياء التراث - قم١٤٢٧هـ.

٧٤- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبد الرحيم النجفي (ت١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عبّاس القوچاني، دار الكتاب الإسلامي - طهران الطبعة الثالثة١٣٦٧هـ ش.

٧٥- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة.

٧٦- حكم الإمام علي عليه السلام أو غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي التميمي (من أعلام القرن الخامس الهجري)، ترتيب وتصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٧٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية١٤٢٣هـ.

٧٨- حياة الميرزا الشيرزاي الكبير، مركز المصطفى صلى الله عليه وآله.

٧٩- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٨٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمّد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى١٩٩٨م.

٨١- الخصائص الحسينيّة، جعفر التستري (ت١٣٠٣هـ)، تحقيق: جعفر الحسيني، دار السرور - بيروت١٤٢٣هـ.

٨٢- الخصال، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة١٤٠٣هـ.

٨٣- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور ابن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف ابن علي أصغر فيضي، دار المعارف - القاهرة١٣٨٣هـ.

٨٤- دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (ت.ق٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة - قم الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

٨٥- الدمعة الساكبة في أحوال النبيّ والعترة الطاهرة، محمّد باقر بن عبد الكريم البهبهاني (ت١٢٨٥هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨٦- ديوان السيّد حيدر الحلّي، السيّد حيدر الحلّي (ت١٣٠٤هـ)، تحقيق: علي الخاقاني.

٨٧- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أبو العبّاس أحمد بن محمّد الطبري المكّي (ت٦٩٤هـ)، تحقيق وتعليق: أكرم البوشي، تقديم: محمود الأرناؤوط، مكتبة الصحابة - السعودية، جدّة الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٨٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرگ الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، دار الأضواء - بيروت الطبعة الثالثة١٤٠٣هـ.

٨٩- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمّد بن مكّي العاملي الشهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

٩٠- رجال الطوسي، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٩١- رسائل الشريف المرتضى، السيّد المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تقديم: السيّد أحمد الحسيني، إعداد: السيّد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم - قم١٤٠٥هـ.

٩٢- رسائل فقهية، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم الطبعة الأولى١٤١٤هـ.

٩٣- الرعاية في علم الدراية، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الحسين محمّد علي بقّال، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم الطبعة الثانية١٤٠٨هـ.

٩٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ).

٩٥- روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، الشهيد السعيد زين الدين الجبعي العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرّفة.

٩٦- روضة الواعظين، محمّد بن الفتال النيسابوري (ت٥٠٨هـ)، تقديم: محمّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي - قم.

٩٧- رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، السيّد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٩٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة، أحمد بن عبد الله بن محمّد الطبري الشافعي (ت٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٩- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمّد أبو علي نور الدين اليوسي (ت١١٠٢هـ).

١٠٠- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٠١- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي (ت٥٩٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

١٠٢- سرّ السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري النسّابة الشهير الشيخ أبو نصر سهل ابن عبد الله بن داود بن سليمان بن أبان بن عبد الله البخاري (ت.ق٤هـ)، قدّم له وعلّق عليه العلاّمة السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف ١٩٩٢م - ١٣٨١هـ.

١٠٣- سرور العباد، للشيخ مرتضى الأنصاري، الطبعة الحجريّة.

١٠٤- سقط الزند (ديوان أبي العلاء المعرّي)، أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت٤٤٩هـ)، دار بيروت ١٤٠٧هـ.

١٠٥- السقيفة وفدك، أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت٣٢٣هـ)، جمع وتحقيق: محمّد هادي الأميني، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

١٠٦- سنن ابن ماجة، محمّد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠٧- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر.

١٠٨- سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة التاسعة١٤١٣هـ.

١٠٩- السيرة الحلبية وهو المسمّى إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي(ت١٠٤٤هـ)، دار المعرفة - بيروت١٤٠٠هـ.

١١٠- سيماء الصلحاء، الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

١١١- الشافي في الإمامة للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي قدس سره(ت٤٣٦هـ)، حققه وعلق عليه: السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، راجعه السيّد فاضل الميلاني، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر طهران - إيران الطبعة الثانية١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة إسماعيليان - قم تاريخ النشر: ١٤١٠هـ ق.

١١٢- شجرة طوبى، محمّد مهدي الحائري (ت١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف الطبعة الخامسة ١٣٨٥هـ.

١١٣- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المشتهر بالمحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ)، تعليق: السيّد صادق الشيرازي، انتشارات استقلال - طهران الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

١١٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى- مصر الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٤هـ.

١١٥- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي النعمان بن محمّد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: محمّد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١١٦- شرح البدخشي المسمّى بمناهج العقول في شرح منهاج الوصول في علم الأصول للبيضاوي، محمّد بن الحسن البدخشي (ت٩٢٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٧- شرح معاني الآثار، أحمد بن محمّد بن سلمة (ت٣٢١هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد زهري النجار، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

١١٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية -بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

١١٩- شعراء الغري، لعلى الخاقاني، المكتبة المرعشية، قم.

١٢٠- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة - طهران الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٢١- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٢٢- الصحافة العراقية، منير بكر التكريتي، مطبعة الرشاد ١٩٦٩م.

١٢٣- صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ.

١٢٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٢٥- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمّد بن محمّد ابن علي بن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن ابن عبد الله التركي وكامل محمّد الخراط، مؤسّسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٢٦- صولة الحقّ على جولة الباطل، السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

١٢٧- الطباعة والنشر في البصرة قديماً وحديثاً (ضمن موسوعة البصرة الحضارية)، رحيم عبود محسن ومحمّد عودة عليوي، وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة البصرة المركز الثقافي ١٩٩٠م.

١٢٨- الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت.

١٢٩- عدّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الحلّي (ت٨٤١هـ)، تصحيح: أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني - قم.

١٣٠- عدم سهو النبيّ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، ودار المفيد - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٣١- العروة الوثقى، السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت١٣٣٧هـ)، تعليقات عدّة من الفقهاء، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٣٢- العقد الفريد، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلميّة -بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١٣٣- علل الشرائع، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تقديم: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف ١٣٨٥هـ.

١٣٤- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض الطبعة الأولى ١٩٩١م - ١٤١٢هـ.

١٣٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت٨٢٨هـ)، تصحيح: محمّد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ.

١٣٦- العناوين الفقهية، السيّد مير عبد الفتّاح الحسيني المراغي (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

١٣٧- عوائد الأيام، المولى أحمد النراقي (ت١٢٤٥هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

١٣٨- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (ج١٧، الإمام الحسين عليه السلام)، الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني (ت١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

١٣٩- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: الحاج مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشهداء - قم الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

١٤٠- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران الطبعة الثانية١٤٠٩هـ.

١٤١- عين العبرة في غبن العترة، السيّد أحمد آل طاووس (ت٦٧٧هـ)، دار الشهاب - قم.

١٤٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت١٤٠٤هـ.

١٤٣- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمّد الليثي الواسطي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث - قم الطبعة الأولى١٣٧٦ش.

١٤٤- الغاية القصوى في ترجمة العروة الوثقى، السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت١٣٧٧هـ)، ترجمة: الشيخ عبّاس القمّي، انتشارات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - طهران.

١٤٥- الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت الطبعة الرابعة١٣٩٧هـ.

١٤٦- غريب الحديث، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، صنع فهارسه نعيم زرزور دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة الأولى١٩٨٨م -١٤٠٨هـ.

١٤٧- غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى١٣٨٤هـ.

١٤٨- فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب في الاستخارات، أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: حامد الخفّاف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

١٤٩- كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء -بيروت الطبعة الأولى١٤١١هـ.

١٥٠- فرائد الأصول، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)، تحقيق وإعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، مجمع الفكر الإسلامي - قم الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

١٥١- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (ت٦٦٤هـ)، منشورات الرضي - قم١٣٦٣هـ ش.

١٥٢- الفصول الغروية في الأصول الفقهية، محمّد حسين بن عبد الرحيم الطهراني الحائري (ت١٢٥٠هـ)، دار إحياء العلوم الإسلاميّة - قم١٤٠٤هـ.

١٥٣- الفصول المختارة من العيون والمحاسن، علي بن الطاهر أبو أحمد الحسين المعروف بالسيّد المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: السيّد علي مير شريفي، دار المفيد - بيروت الطبعة الثانية١٤١٤هـ.

١٥٤- الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمّد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر - قم الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

١٥٥- الفضائل، أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل ابن أبي طالب القمي (ت٦٦٠هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها - النجف الأشرف١٣٨١هـ.

١٥٦- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، بواسطة المكتبة الشاملة.

١٥٧- فضائل الصحابة، أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي (ت٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥٨- الفقه المنسوب للإمام الرضاعليه السلام والمشتهر بفقه الرضا، علي بن بابويه (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضاعليه السلام - مشهد الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

١٥٩- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، دار العلم للجميع - بيروت.

١٦٠- قرب الإسناد الشيخ أبو العبّاس عبد الله بن جعفر الحميري، (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

١٦١- القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، أبو عبد الله محمّد بن مكّي العاملي المعروف بـ«الشهيد الأوّل»، (ت٧٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور السيّد عبد الهادي الحكيم، منشورات مكتبة المفيد - قم.

١٦٢- قوانين الأصول، الميرزا أبو القاسم بن الحسن الجيلاني المعروف بالمحققّ القمّي (ت ١٢٣١هـ)، الطبعة الحجريّة، مجلدان.

١٦٣- الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة - طهران الطبعة الخامسة١٣٦٣ش.

١٦٤- كامل الزيارات، لأبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة - قم الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

١٦٥- الكامل في التاريخ، علي بن محمّد بن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار صادر - بيروت١٣٨٥هـ.

١٦٦- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعين الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر١١٨٥هـ.

١٦٧- كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب، السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، مكتبة الحرمين - قم الطبعة الثانية١٣٨٢هـ.

١٦٨- كشف التمويه عن رسالة التنزيه، الشيخ محمّد الكنجي (ت حدود ١٣٦٠هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

١٦٩- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمّد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثالثة١٤٠٨هـ.

١٧٠- كتاب كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، المحقق والفقيه الأصولي العالم الكامل: الشيخ جعفر المدعو بكاشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ)، انتشارات مهدوي أصفهان بازار - باغ قلندرها پاساژ علوي (الطبعة الحجرية).

١٧١- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ)، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

١٧٢- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء - بيروت الطبعة الثانية١٤٠٥هـ.

١٧٣- كشف اللثام عن قواعد الأحكام، محمّد بن الحسن الأصفهاني المعروف بالفاضل الهندي (ت١١٣٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم المشرّفة الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

١٧٤- كشف المحجّة لثمرة المهجة، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحلّي (ت٦٦٤هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٧٠هـ.

١٧٥- الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمّد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

١٧٦- كفاية الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر، أبو القاسم علي بن محمّد بن علي الخزاز القمّي الرازي (من علماء القرن الرابع)، تحقيق: سيّد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، مطبعة الخيام – قم١٤٠١هـ.

١٧٧- كفاية الأصول، الآخوند محمّد كاظم الخراساني (ت١٣٢٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

١٧٨- كفاية الفقه المشتهر بـ (كفاية الأحكام)، محمّد باقر السبزواري (ت١٠٩٠هـ)، تحقيق: مرتضى الواعظي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم المشرّفة الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.

١٧٩- كلمة حول التذكار الحسيني، الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

١٨٠- كمال الدين وتمام النعمة، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرفة١٤٠٥هـ.

١٨١- كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتّقي بن حسام الدين الهندي (٩٧٥هـ)، صحّحه ووضع فهارسه: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسّسة الرسالة - بيروت١٤٠٩هـ.

١٨٢- كنز الفوائد، محمّد بن علي الكراجكي (ت٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي - قم الطبعة الثانية١٣٦٩ش.

١٨٣- لؤلؤ ومرجان، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق وتعليق: مصطفى درايتي، انتشارات أحمد المطهري الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.

١٨٤- لسان العرب، جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة - قم١٤٠٥هـ.

١٨٥- لغت نامه دهخدا، طبع جامعة طهران١٣٣٧ش.

١٨٦- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى - قم الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

١٨٧- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، سيّدي عبد الوهاب الشراني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، شريف محمود الحلبي وشركاءه خلفاء، الطبعة الثانية١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ.

١٨٨- المبسوط في فقه الإمامية، محمّد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: محمّد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية الطبعة الثالثة١٣٨٧هـ.

١٨٩- مثير الأحزان، نجم الدين محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ابن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٦٩هـ.

١٩٠- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.

١٩١- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة - قم الطبعة الثانية١٤٠٨هـ.

١٩٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي - بيروت الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

١٩٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت١٤٠٨هـ.

١٩٤- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، المولى أحمد الأردبيلي (ت٩٩٣هـ)، تصحيح وتعليق: مجتبى العراقي وعلي پناه الاشتهاردي وحسين اليزدي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة.

١٩٥- كتاب المحاسن، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت٢٧٤هـ)، تصحيح وتعليق: جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدّث، دار الكتب الإسلاميّة - طهران ١٣٧٠هـ.

١٩٦- مختصر البصائر، الحسن بن سليمان الحلّي (ت٨٣٠هـ)، تحقيق: مشتاق المظفّر.

١٩٧- مدارك الأحكام، السيّد محمّد العاملي (ت١٠٠٩هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث مشهد المقدّسة، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المشرّفة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٩٨- مدينة معاجز الأئمّة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيّد هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: عزّة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلاميّة - قم الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

١٩٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: أمير مهنّا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الأولى١٤٢١هـ.

٢٠٠- المزار، محمّد بن النعمان ابن المعلم أبو عبد الله العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، تحقيق السيّد محمّد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر - بيروت الطبعة الثانية١٩٩٣م - ١٤١٤هـ.

٢٠١- المزار، محمّد مكّي العاملي الجزيني الشهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المشرّفة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٠٢- المزار الكبير، محمّد بن المشهدي (ت٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

٢٠٣- مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، تحقيق وجمع: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضاعليه السلام - مشهد المقدّسة، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٢٠٤- مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، زين الدين بن علي العاملي المشتهر بالشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلاميّة - قم الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

٢٠٥- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

٢٠٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا النوري (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

٢٠٧- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، أحمد بن محمّد مهدي النراقي (ت١٢٤٥هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٢٠٨- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى االتميمي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق.

٢٠٩- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (ت٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٢١٠- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.

٢١١- مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ)، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى١٤٠٩هـ .

٢١٢- مصادقة الإخوان، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، إشراف: السيّد علي الخراساني الكاظمي، منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان العامّة - الكاظميّة.

٢١٣- مصباح الأصول، أبحاث أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١١هـ)، تقرير: محمّد سرور الواعظ الحسيني البهسودي، مكتبة الداوري - قم الطبعة الخامسة١٤١٧هـ.

٢١٤- مصباح الزائر، جمال العارفين رضيّ الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم١٤١٧هـ.

٢١٥- مصباح الشريعة، المنسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢١٦- مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني (ت١٣٢٢هـ)، منشورات مكتبة الصدر - طهران.

٢١٧- مصباح المتهجّد، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢١٨- المصباح المنير، أحمد بن محمّد بن علي الفيومي المقرىء (ت٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان – بيروت.

٢١٩- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٢٢٠- المصنّف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللحام، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى١٤٠٩هـ .

٢٢١- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمّد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطية.

٢٢٢- معارج الأصول، أبو القاسم جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق الحلّي (ت٦٧٦هـ)، إعداد: محمّد حسين الرضوي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

٢٢٣- معالم الدين وملاذ المجتهدين، الحسن نجل الشهيد الثاني زين الدين العاملي (ت١٠١١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم المشرّفة.

٢٢٤- معاني الأخبار، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم المشرّفة ١٣٧٩هـ.

٢٢٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي (ت٩٦٣هـ)، بواسطة المكتبة الشاملة.

٢٢٦- المعتبر في شرح المختصر، جعفر بن الحسن المشتهر بالمحقق الحلّي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق وتصحيح: عدّة من الأفاضل بإشراف ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام - قم ١٣٦٤ش.

٢٢٧- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٢٨- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ.

٢٢٩- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٣٠- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية.

٢٣١- معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٣٢- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمّد هارون الرئيس، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ.

٢٣٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمّد علي النجار، دار الدعوة - اسطنبول تركيا ١٩٨٩م.

٢٣٤- مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبّات والآداب، بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي (ت١٠٣١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٢٣٥- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دفتر نشر كتاب الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٣٦- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تقديم: كاظم المظفّر، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

٢٣٧- مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي (ت١٥٧هـ)، تعليق: حسن الغفاري.

٢٣٨- مقتل الحسين، الموفق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: محمّد السماوي، أنوار الهدى - قم الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٣٩- المقنع، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام ١٤١٥هـ.

٢٤٠- مكارم الأخلاق، أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ.

٢٤١- كتاب المكاسب، مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٤٢- الملل والنحل، محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمّد سيّد گيلاني، دار المعرفة - بيروت.

٢٤٣- مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف١٣٧٦هـ.

٢٤٤- مناقب الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، محمّد بن سليمان الكوفي (ت٣٠٠هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة - قم الطبعة الأولى١٤١٢هـ.

٢٤٥- المناقب والمثالب، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، مؤسسة الأعلمي - بيروت الطبعة الأولى٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.

٢٤٦- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مجمع البحوث الإسلاميّة - مشهد الطبعة الأولى١٤١٤هـ.

٢٤٧- المنجد في اللغة، دار المشرق - بيروت الطبعة الخامسة والثلاثون١٩٩٦م.

٢٤٨- من صحافة الخليج العربي (الصحافة البصرية)، رجب بركات، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الإرشاد - بغداد١٩٧٧م.

٢٤٩- المنطق، محمّد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة.

٢٥٠- من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرّفة الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٥١- المواكب الحسينيّة، الشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٥٢- المواكب الحسينيّة، الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٥٣- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٤- الموطأ، مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، تصحيح وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت١٤٠٦هـ.

٢٥٥- الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العليمة - قم المشرّفة.

٢٥٦- نخبة الأزهار في أحكام الخيار، بحث آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني بقلم الشيخ محمّد حسين السبحاني (ت١٣٩٢هـ)، تقديم: السيّد أحمد الحسيني١٣٩٨هـ.

٢٥٧- نصرة المظلوم، الشيخ حسن المظفر (ت١٣٨٨هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٥٨- نظرة دامعة، الشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٥٩- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي (ت ٧٥٠هـ)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة ١٣٧٧هـ.

٢٦٠- النقد النزيه لرسالة التنزيه، الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ)، المطبوع ضمن هذه المجموعة.

٢٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم الطبعة الرابعة ١٣٦٤ش.

٢٦٢- نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح: محمّد عبده، دار الذخائر - قم المصوّرة على طبعة دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٦٣- النوادر، فضل الله بن علي الحسني الراوندي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري دار الحديث - قم الطبعة الأولى ١٣٧٧ش.

٢٦٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٦٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (ت ٦٨١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦٦- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ)، شرح وتحقيق: مفيد محمّد قمحية، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

٢٦٧- ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الإسوّة ـ قم الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

الفهرس